

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



الثمن 100 فرنك



العدد الخامس • السنة الثانية
يراير 1959 • شعبان 1378

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة الثانية
يبراير 1959
شعبان 1378

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



يمثل المنظر جزء من مدينة تطوان، قاعدة المغرب الشمالية.

وقد اسست قصبة تطوان في عهد يوسف المريني سنة 685 هـ ثم اتسعت عمارتها طيلة العهد المريني الى صدر القرن التاسع، ثم هاجر اليها الاندلسيون فجددوا بناءها واصلحوا الكثير من مرافقها

بيانات إدارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» – قسم التحرير – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك، وللطلبة 500 فرنك فقط .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 – 485 – الرباط –
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» – قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
قسم التوزيع – بادارة المجلة .
تليفون 308.10 – الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد :

بين الحسرة والعمل

لعل بعض القراء ان يكونوا قد لاحظوا من تصفح العدد الماضي من هذه المجلة ، ان الموضوعات الدينية الواردة فيه ، او المتصلة بالدين من قريب او بعيد ، كلها او جلها محررة باقلام كتاب غير مغاربة ، فقد ورد فيه مقال ديني كتبه للمجلة السيد ابو الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان ، وعربه لها الاستاذ محمد كاظم ايضا ؛ ومقال ديني آخر بعثه للمجلة الاستاذ مصطفى الزرقا استاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة دمشق . كما ورد فيه مقال بعنوان « الدين والفن » نقلناه عن الكاتب المصري الكبير توفيق الحكيم من كتابه « فن الادب » ومقال بعنوان « الاتجاهات الدينية فى الادب المصرى المعاصر » كتبه الدكتور طه حسين بالفرنسية ، وترجمه للمجلة محمد برادة ، الى غير ذلك .

ولم يرد فى نفس العدد من الموضوعات الدينية لكاتب مغربي الا مقال واحد ، هو القسم الثالث من البحث المتسلسل « الموارد المالية فى دولة الاسلام » الذي يكتبه للمجلة الاستاذ محمد الطنجي .

ونحن لا ننكر ان هذه الملاحظة قد فاتتنا ونحن نحضر العدد الماضي ، ولم ينبهنا اليها الا بعض القراء من المدمنين للمجلة ، والمتتبعين لها بعطف وعناية .

ولعل ذلك الا يكون مستغربا (فمن شدة الظهور الخفاء) كما يقول البوصيري فى همزيته . ولعل الواقف عن كثب من المعركة ان يرى ما لا يراه من يخوضها .

والملاحظة فى حد ذاتها ليست من الاهمية بالقدر الكبير ، فنحن لا نريد للمجلة ان تكون وقفا على الكتاب المغاربة ، خصوصا فى الموضوعات الدينية ، وقد ابتدانا العمل قبل الشروع فى اصدار المجلة بالكتابة الى عدد كبير من العلماء والمهتمين بالدراسات الاسلامية فى كل البلاد الاسلامية ، كما كتبنا لاخوانهم داخل المغرب ، ودابنا منذ العدد الاول على الترحيب بكل ما يرد علينا من داخل المغرب وخارجه ، ما دامت فيه فائدة ، وما دام فى المستوى المطلوب للمجلة .

ولكن الملاحظة مع ذلك لها دلالتها المهمة البعيدة ، فهي تبعثنا على التساؤل عن علماء الدين فى المغرب اهم من القلة الى هذا الحد ؟ ام انهم قد قرروا ان يتخلوا عن مسؤولياتهم وان يصموا آذانهم وان ينسحبوا من الميدان ويتخلوا عن المعركة ويخلدوا للراحة والسكون وفراغ البال ؟ ؟

حقيقة ان الدين الاسلامي لا يعترف بوجود طبقة معينة تكون هي المسؤولة وحدها عن تبليغه وشرح

تعاليمه والدفاع عنه ، فكل المسلمين سواسية فى وجوب ذلك عليهم جميعا ، ولكن يبقى بعد ذلك ان من الضروري ان يكون بعضهم اعلم بالدين عن غيره ، واقدر على فهمه وتفهيمه ، وعلى شرح كلمته الحق فى كل ما يعرض للناس والمجتمعات فى حياتهم اليومية من النوازل، وما يضطربون فيه من معاملات وخلافات ، وما يربط بينهم من اواصر عائلية واجتماعية ، ومن علاقات سياسية ودية او عدائية او حيادية او غير ذلك .

ان الدين الاسلامي — كما هو معلوم — لا يهدف فقط الى اعداد المسلم للسعادة فى الآخرة ، ولكنه يهدف ايضا الى تحقيق السعادة لمعتنقيه فى الدنيا ايضا ، اذا وقفوا عند حدوده واسترشدوا بهديه واتبعوا تعاليمه السامية .

ان الاسلام دين ودستور معا ، واذا كان القرآن قد اهتم بالكليات دون الجزئيات ، فلكي يترك للعلماء المسلمين فى كل مكان وزمان ان يتخذوا من كلياته قاعدة يرتكزون عليها ، وان يستخرجوا منها من الجزئيات ، ما توحي به روحها من جهة ، حسب القواعد والاصول الموضوعة لذلك ، وما لا يتنافى من جهة اخرى ، مع مقتضيات العصر ومصالح المجتمع . ومن المسلم به ان اصول الدين الاسلامي اذا احسن فهمها واستعمالها لا تتنافى مع مقتضيات اي عصر من العصور ، ولا مع مصالح اي مجتمع من المجتمعات .

والواقع ان العلماء المسلمين فى الماضي قد قاموا بواجبهم هذا احسن قيام ، واسهموا بذلك ، لا فى نصرة الدين الاسلامي وتدعيمه فحسب ، بل فى رقي البشرية بأجمعها ، وفى تقدم العقل الانساني وازدهار الثقافة والحضارة فى كل مكان على وجه المعمور ، وقد قام علماء الاسلام المغاربة بدورهم فى ذلك فى الماضي احسن قيام ، وكان على خلفهم اليوم ان يستمروا فى القيام بهذا الدور ، والاضطلاع بهذا العبء ، وتحمل هذه المسؤولية ، ولكنهم — ولسنا ندري لماذا — رضوا عن طواعية ان يتخلوا عن ميدانهم ، وان يكتفوا بالبكاء من بعيد على جهل الناس بالدين واهمالهم له وتنكبهم طريقه ، وبالحسرة على تفشي الرذيلة والاستهتار والميع والانحلال . وكأنك بالواحد يعتقد انه اذا فعل ذلك فقد برأ ذمته ، واضطلع بواجبه ! اليس قد غير المنكر بقلبه ، ما دام لا يستطيع ان يغيره بلسانه ولا بيديه .... ؟؟

ومرة اخرى لا ندري لماذا لا يستطيع ان يغير المنكر بأكثر من قلبه ، لماذا لا يعمل على تغييره بلسانه وقلمه وحجته ، ولماذا لا يصطنع لكل ذلك الاسلوب الملائم ، الاسلوب الذي استعمله بنجاح كبير جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ، او الاسلوب الذي يستعمله اليوم فى كل كتاباته السيد ابو الاعلى المودودي وغيره من اعلام الاسلام فى الشرق العربي والاسلامي ، او غير ذلك من الاساليب الملائمة .

اننا لا نستطيع ان نعتقد ان هناك من يقرا — مثلا — مقالات السيد المودودي التي نشرت فى هذه المجلة دون ان تترك اثرا فى عقله وفى قلبه ، كما لا نستطيع ان نعتقد ان هناك من يقرا بعض الدراسات الاسلامية التي نشرت فى هذه المجلة لبعض الكتاب والعلماء المغاربة وغيرهم ، دون ان تجد من قلبه استجابة ، وان يزداد اكبارا للدين الاسلامي وايمانا بعظمته ومقدرته الخارقة على ضمان السعادة الروحية والمادية لمعتنقيه .

❋

اننا — فى المغرب — نخوض معركة كبيرة لاعادة بناء وطننا ودولتنا من جديد ، بعد ان انتزعنا استقلالنا انتزاعا من المستعمر الغاصب ، ومن واجب كل واحد منا ان يضع لبنته فى هذا البناء ؛ فى الفصل ان كان مدرسا ، وفى الصحيفة ان كان كاتبا وفى الحقل ان كان فلاحا وفى المصنع ان كان عاملا ، وفى الادارة ان كان موظفا ، وفى الميدان السياسي ان كان من رجال السياسة ، او فى غير ذلك من الميادين حسب نوع المسؤولية والاستعداد والاهلية .

فهل يرضى علماء الدين ان يظل مكانهم شاغرا فى الزحف ، وان يكتفوا من بعيد بالمراقبة والملاحظة والحسرة والحكم على اعمال الناس ؟ ؟

اما نحن ـ ومعنا المواطنون جميعا فى ذلك ـ فلسنا نرضى لهم هذا الموقف السلبي ، واذا كانوا هم مقتنعين بعدم امكانية تأثيرهم اذا ما اتخذوا موقفا ايجابيا ، فنحن مقتنعون بأن مدى هذا التأثير ، انما يختلف باختلاف الاسلوب الذي ينهجونه لاحداثه .
ولسنا نعني بالاسلوب القالب اللغوي فقط ، وانما نعني به المنهج العقلي والقالب المنطقي والصياغة الواضحة؛ نعني به المنهج الذي يكفل الاقناع ، والذي يدل على اقتناع صاحبه نفسه ، واخلاصه لفكرته ، وتحمسه لها ، ورغبته الصادقة فى ابلاغها الى الناس فى سهولة ويسر ، لان الدين يسر لا عسر ، وكذلك الدعوة اليه يجب ان تكون يسيرة لا عسر فيها ، وان تستمد روحها وطابعها من المحجة البيضاء ، كتاب الله وسنة رسوله .

*

ان المغرب يتوفر على جامعتين اسلاميتين ، (القرويين) فى فاس و (ابن يوسف) فى مراكش ، كما اصبح يتوفر على عدد لا بأس به من المعاهد الدينية التابعة لهاتين الجامعتين ، وهي كلها من غير شك تضم عددا غير قليل من الاساتذة والمدرسين ، وتخرج فى كل سنة عددا من العلماء فى الشريعة الاسلامية ، ولكنا لا نكاد اطلاقا نسمع صوتا لاي واحد من هؤلاء او اولئك ، كأن مهمة الاساتذة والمدرسين تنتهي عند تحضير الدروس وتلقينها للطلاب ، وكأن مهمة العلماء المتخرجين تنتهي عند الحصول على «الشهادة» والجلوس الى كرسي فى حجرة من حجرات التدريس او مكتب من مكاتب الحكومة .

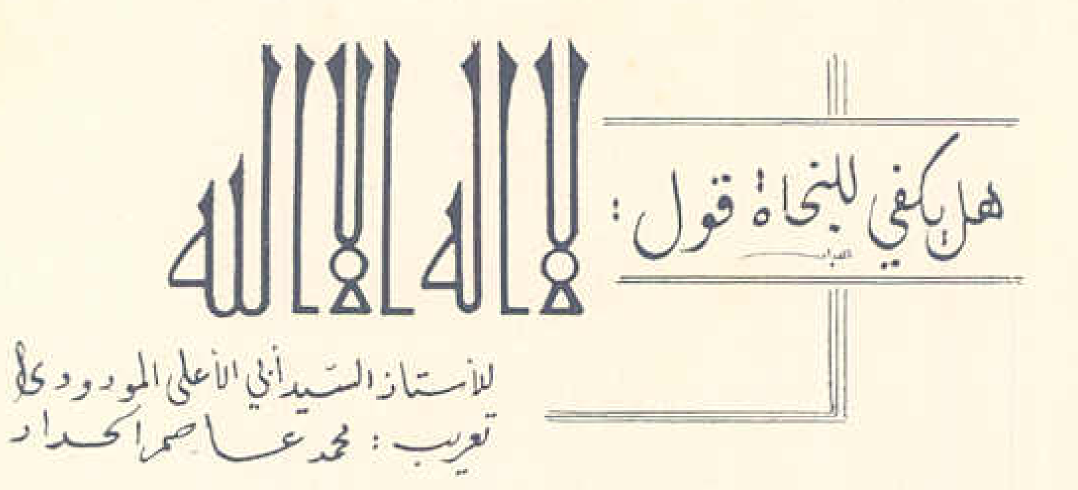
ان المفروض فى الجامعة ان تكون مركزا للاشعاع، لا مجرد بناية من البنايات الرسمية ، وما دامت (القرويين) و (ابن يوسف) والمعاهد التابعة لهما لا تهتم بمد اشعاعها الروحي والعلمي الى ابعد حد ممكن ، فستظل مقصرة فى مهمتها ، مهما يكن التجديد الذي يلحقها ونوع التطور الذي يدخل على اساليبها ومناهجها .

*

اما فيما يتعلق بهذه المجلة ، فانها لا تستطيع ان تفعل شيئا اكثر من ان تكون واسطة بين العلماء المهتمين بالاصلاح الديني والدراسات الاسلامية ، وبين جمهور القراء ، وهي دائما على استعداد لان تقوم بواجبها ، ما دامت تجد منهم الاستعداد الكافي لان يعطوها معناها الحقيقي وقيمتها العملية ، اما اذا تخلوا عنها فسيكونون وحدهم هم المسؤولين عن اخفاقها .

ونحن لا نزال نرجو لهؤلاء العلماء ان يراجعوا موقفهم ، وان يخرجوا من صمتهم وعزلتهم ، وان يواجهوا مسؤولياتهم بشجاعة وحزم وتصميم .

دعوة الحق



« من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » فهذا الحديث يبشر الانسان بدخول الجنة بمجرد ان يؤمن بالله ووحدانيته ، سواء آمن – مع هذا الايمان بالله ووحدانيته – بالرسول او لم يؤمن ، على حين ان القرآن يؤكد الايمان بالرسول بشدة لا مزيد عليها في غير آية من آياته ، حتى ان الانسان لا يمكنه على حسب بيان القرآن ، ان يهتدي الى طريق الحق او ينال نصيبا في الآخرة ان لم يؤمن بالرسول . وفوق هذا ، فان الحديث لا يشترط على الانسان لنجاته في الآخرة ان يعمل صالحا ، مع أن العمل بالصالحات ، وان لم يكن من اجزاء الايمان ، لا نجاة بدونه ، والقرآن لا يبشر بالفوز والغفران والجنة والنعيم في الآخرة الا من كان مع ايمانه قد عمل الصالحات ، كما يتضح هذا من غير آية من آيات القرآن كآية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات ...) او كآية (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيأته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار ....) او كآية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..... جزاؤهم عند ربهم جنات عدن ...) مثلا : فبناء على كل هذا من رأينا ان هذا الحديث معارض للقرآن ، وعسى ان تكتب الينا برأيك حتى تطمئن قلوبنا ونعلم ان الرسول قد صدق» .

هذا ما وصلني به احد اصدقائي من مدينة ... فكتبت اليه بما يلي :

ان اول ما يجب ان يزول عن الذهن بشأن هذا الحديث هو انه معارض للقرآن ، فان القرآن نفسه قد جاء فيه من الآيات ما يدل على نفس المعنى الذي يدل عليه هذا الحديث كآية « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » (السجدة : 30)، فكما انه لا يصح ان يستخرج من هذه الآية ان مجرد الاعتقاد بالتوحيد يكفي في النجاة والغفران ودخول الجنة دون ما حاجة الى الايمان بالرسول وعمل الصالحات ، كذلك لا يصح ان يتطرق الى الذهن هذا الخيال الفاسد من الحديث المذكور ، وكما ان هذه الآية لا تعارض ما سردت من الآيات في سؤالك ، كذلك لا يعارضها هذا الحديث .

هذه واحدة ، والثانية ان هناك خطأ يتورط فيه عامة الناس عندما يحاولون فهم القرآن والحديث وهو انهم يشتهون ان يجدوا القرآن والحديث ، كعامة التصانيف الانسانية يبينان كل موضوع بتمامه وكماله في موضع واحد ، الا ان الواقع ليس كذلك .

فقد نزل القرآن منجما خلال 23 سنة على فترات مختلفة على حسب ما اقتضته الحالات والحاجات المختلفة ، وكذلك جاءت احكام الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليمه متفرقة في مختلف احاديثه حسب ما اقتضته الحالات والحاجات المختلفة . وكل ما ذكر في القرآن ، وكذلك في الحديث هو على نوعين : تعاليم الاسلام الاساسية ، وتفاصيل هذه التعاليم جاءت متجمعة في موضع ومتفرقة في مواضع اخرى حسب ما عرض للمجتمع الاسلامي من الاحوال والحاجات المتطورة المتنوعة . فعلى هذا ، اننا اذا اردنا الاستنتاج الصحيح سواء من آيات القرآن او من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلابد ان نلقي عليهما نظرة شاملة ، واما اذا التقطنا جزءا من آية واحدة او حديث واحد صارفين النظر عن سائر الاجزاء المتعلقة به المذكورة في سائر آيات القرآن او

احاديث الرسول ، وحسبنا انه هو الكل ، فلا شيء ينقذنا من التورط فى الخطأ . وان شئت المثال ، فانظر القرآن تارة اكد الايمان بالله فحسب ، كما هو فى آية « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .... المذكورة آنفا ، وتارة اكد الحاجة الى الايمان بالآخرة فقط (الانعام :) وتارة انما ذكر اليوم الآخر مع الايمان بالله (النور :) وتارة اكد الحاجة الى الاعتقاد بالآخرة والكتب الالهية فقط (النساء :) وتارة قرر انكار الانسان للانبياء والملائكة كفرا وفسقا (البقرة :) وتارة بين ان للايمان خمسة اجزاء : الايمان بالله والايمان بالرسل والايمان بالكتب والايمان بالملائكة والايمان باليوم الآخر (البقرة :)

والحقيقة ان هذه المواضع كلها لا تعارض بينها بل انما جاء فيها ذكر مختلف اجزاء الايمان مؤكدة حسب الحاجات والمقتضيات العارضة فى مختلف المراحل ، فاذا صرفنا النظر عن هذا المبدا واخذنا آية خاصة من آيات القرآن الكثيرة وادعينا ، بناء على ما جاء فيه من عدد اجزاء الايمان ، وان لا حاجة للانسان لكونه مومنا الا الى الايمان بالتوحيد أو بالله واليوم الآخر او بالله والرسل فقط ، وان الاقرار ببعض اجزاء الايمان دون بعضها يكفي له فى النجاة ، فلن تكون على الصواب ابدا ولا تكون هذه الدعوى منا الا نتيجة لجهلنا بلغة القرآن واسلوبه فى البيان .

وعلى غرار هذا ، فان القرآن يؤكد تارة الايمان فحسب ، وتارة يشترط النجاة بالايمان مع عمل الصالحات والتقوى كما هو فى آية « وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم (آل عمران :) وسورة العصر . ثم انه يؤكد عملا فى موضع وآخر فى غيره ، فيؤكد تارة الصلاة والزكاة ، وتارة الصدق والاخلاص وحسن المعاملة ، وتارة العفاف وحفظ الفروج وتارة الرحم وحقوق ذوي القرابة ، وتارة مواساة اليتامى والمساكين وتارة البر بالوالدين وتارة حدود القانون للحياة الاجتماعية وتارة اكل الحلال وترك الحرام ...... وهكذا فانه يبين كل واحد من هذه الامور ويؤكد فى موضعه كان عليه المدار للنجاة والفلاح . فاذا قطعنا النظر عن هذه المجموعة المتكاملة لاحكام القرآن وتعاليمه وتناولنا بالنظر لاحدى آياته دون غيرها وقلنا ان القرآن يبشر بالنجاة بمجرد الايمان دون ان يكون معه العمل أو انه يكتفي بواحد من الاعمال الصالحة كالصلاة او الزكاة او العفاف او صلة الرحم او غيرها سواء أكان هذا العمل مقترنا بالحسنات او لم يكن ، فلا يكون منا هذا القول ايضا الا نتيجة لقلة فهمنا للقرآن وعدم تدبرنا فى اسلوبه للبيان . الحقيقة ان القرآن يعرض فى مجموعة تعاليمه خطة شاملة متكاملة للحياة الفكرية والعملية حيث قد وضع فيها كل شيء من اجزاء الايمان والاخلاق والقوانين العملية فى موضعه اللائق به ، الا انه سلك لتوكيد هذه الامور وارساخها فى اذهان الناس طريقا خاصا يقوم قبل كل شيء وبعده على الحكمة البالغة والموعظة الحسنة ، وهو ان لا ينزل هداية للناس الا عند المواقع المناسبة لها على حدة . فاذا عرض للناس حادث وكانت اذهانهم مستعدة عندها لقبول هداية خاصة مثلا ، انزل لهم تلك الهداية على الفور بمناسبة ذلك الحادث حتى لا تلبث ان تملأ اذهانهم وتلتحم مع قلوبهم وارواحهم ؛ واحيانا امر الرسول بتهذيب طائفة خاصة منهم ، فانزل من التعاليم العامة ، على حسب ما تتطلبه احوال تلك الطائفة ، ما كان ضروريا لهدايتها الى الحق . واحيانا اذا وجد المجتمع بحاجة الى تعليم خاص ، هيأ القلوب والاذهان لتلقيه بالقبول : اولا بضرب الامثال وبيان نظائر الامم الماضية واحوال الانبياء السابقين والدعوة الى النظر فى الآفاق والانفس ، ثم انزل ذلك التعليم حتى تقع من نفوسهم الموقع الحسن وتأخذ بمجامع قلوبهم . وهذا الطريق الخاص لتعليم الناس وتهذيبهم انما سلكه الله سبحانه وتعالى لانه ما كان يريد ان يرتب خطة من خطط الاصلاح ويرسم منهجا من مناهج التعليم والارشاد فحسب ، بل كان يريد ان ينفذ خطته فعلا ويحدث بها الانقلاب فى حياة الناس الفردية والاجتماعية ، شيء ما كان بد فيه من التدريج والترتيب ورعاية المواقع والاحاسيس النفسية .

ونفس هذا الطريق ــ القائم على الحكمة والموعظة الحسنة ــ سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فى تعليم اتباعه وتزكية نفوسهم واصلاح احوالهم ودعوتهم الى الحق وتبليغهم احكام ربهم طوال حياته النبوية . فكان يأتيه كل نوع من الناس يسألونه فى مشاكلهم واحوالهم ، وكان كل واحد منهم مختلفا عن غيره فى عقليته وكفاءته للقبول وحالته الخلقية والاعتقادية والعملية . فلو انه صلى الله عليه وسلم لم يخاطب كل واحد منهم فى كل حين الا بحديث بعينه ولم يزوده الا بنوع خاص من الهداية ، لما لقي فى دعوته من النجاح والتوفيق ما قد احدث الانقلاب فى التاريخ كان تلميذا للحكيم المطلق فما كان يتبع فى حياته الا نفس الطريق الذي سلكه ذلك الحكيم المطلق فى كتابه فكان كل تعليم من تعاليمه مع الرعاية للمناسبة

والموقع ولا ينطق فى كل مناسبة الا بما يوافقها ويسارع الى الوقوع من قلوب الناس واذهانهم . وانك لن تعرف تعليم الرسول الكامل وطريقه الشامل فى ارساخه فى اذهان الناس ، الا اذا نظرت نظرة جامعة شاملة فى فى هذه الامور المنتشرة فى مختلف المواضع من كتب الحديث . واما اذا لم تجمع بين هذه الوحدات المنتشرة ولم تركبها على هيئة عدد منظم ، واخذت تستخرج النتائج من كل وحدة من هذه الوحدات بصفتها الفردية المستقلة ، لا تلبث ان تبوء بمثل الخطأ الذي يقع فيه الانسان بنظره فى مختلف آيات القرآن متفرقة .

راع هذه القاعدة وانظر نظرة شاملة فى الاحاديث التي قد بين فيها الرسول صلى الله عليه وسلم تعاليم الاسلام على غير اسلوب واحد :

ذات مرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فجاءه اعرابي وقال : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال : تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم .

انظر ماذا فى هذا الحديث ؟ رجل يومن بالرسول واليوم الآخر وقد دخل فى حظيرة الاسلام ، فلا حاجة به الى ان يعرف اجزاء الايمان والاخلاق مفصلة ، وانما يبتغي الهداية والارشاد للتقرب الى الله سبحانه وتعالى ، فيعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، على قدر حاجته ، أن يستقيم على العقيدة التي يقوم عليها الاسلام ويترسخ فيها ويؤدي ما عليه من الحقوق لله ولعباده .

وذات مرة اخرى اتى اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة » فقال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان » قال « والذي نفسي بيده لا ازيد على هذا ولا انقص منه » . فلما ولى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة ، فلينظر الى هذا » (متفق عليه) .

فماذا ههنا ؟ مسلم صادق يظهر استعداده لقبول كل هداية من الرسول بالاخلاص وصدق النية ، فيكفي أن يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم انه لا يحتاج لدخول الجنة الى ان يروض نفسه على المراقبات والمجاهدات والاوراد والوظائف الطويلة العريضة ، بل له اذا حفظ عقيدته من الشرك ولم يقصر فى اداء ما عليه من فرائض الله فى حياته الدنيا ، ان يدخل الجنة .

ويجدر بنا ان ننظر الآن فى نوع آخر من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى اليمن وقال « انك تأتي قوما اهل كتاب فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله ، فان هم اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة فى اموالهم توخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم ، فان هم اطاعوك لذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب » رواه الجماعة) .

وفى حديث آخر من هذا النوع انه صلى الله عليه وسلم قال « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة ، فاذا فعلوا عصموا دماءهم واموالهم وحسابهم عند الله ، وفى رواية اخرى لهذا الحديث انه قال « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويومنوا بي وبما جئت به ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله . (رواهما البخاري) .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما بين فى هذه الاحاديث قانون الاسلام الدستوري (Constitution Law) وهو ان كل انسان اذا آمن بوحدانية الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم دخل فى دائرة الاسلام وصار مواطنا من مواطني الدولة الاسلامية . واما هل هو صادق فى ايمانه فى حقيقة الامر ام لا ، فهذا ما على الله حسابه وليس من حقنا ان نشق قلبه ونقضي عليه بشيء . يقول صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « لم اومر ان اشق عن قلوب الناس ولا عن بطونهم » . ان الضمان بصيانة النفس والمال والعرض يناله الانسان بمجرد شهادته بالتوحيد واقراره بعقيدة الرسالة وليس من حق غيره ابدا ، بعد هذا ، ان يسلبه حقا من حقوق المواطنة فى الدولة الاسلامية الا بحق الاسلام اي اذا ابى ان يؤدي شيئا مما عليه من الحقوق لله وللخلق ، فسيعاقب على قدر جريمته .

انظر ما فى هذا النوع من الاحاديث ؟ ليس هناك رجل يسال الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء وانما هناك رجل يبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم حاكما من قبله لناحية من نواحي الدولة ويزوده بالتعليمات القانونية، فيكتفي بأن يبين له حدود القانون

ولا يقول له ان الجنة تجب لكل كافر اذا قرا بلسانه بالتوحيد والرسالة وادى الفرائض ، وكذلك لا يأمره بان يخبر الناس جميعا باجزاء الايمان والقوانين العملية كلها ، لانه انما يقصد هنا ان يبين له ما هو الحد بين الاسلام وغير الاسلام وما هي الحقوق الدستورية التي ينالها الانسان بمجرد دخوله فى الاسلام . وهذا موافق بتمامه لما جاء فى آية « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » فاذن لا يصح لاحد من الناس ان يستنتج من هذه التعليمات القانونية ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما كان يرى الاسلام منحصرا فى الاعتقاد بالتوحيد والرسالة واقام الصلاة وايتاء الزكاة وما كانت فى نظره اهمية لاي شيء سوى هذه الامور .

قد رايت نوعين من الاحاديث : احاديث يتوجه الخطاب فيها الى اشخاص بعينهم على حساب حاجاتهم وحالاتهم المخصوصة . واحاديث لا تتناول بالبحث احوال الاشخاص بعينهم وانما غايتها ان تبين ما للسلم من الحقوق الدستورية وما هو الفرق بينه وبين الكافر من جهة القانون فى الدولة الاسلامية . وهذان النوعان من الاحاديث لا يخفى عليك ما فى اسلوب بيانهما من الفرق الواضح . فبينا ان الرسول فى الاحاديث من النوع الاول انما يتكلم باعتباره المرشد الروحاني لعامة المسلمين ، اذ هو فى الاحاديث من النوع الثاني يتكلم باعتباره رئيسا للدولة الاسلامية وواضعا للقانون لنوع جديد من النظام السياسي .

هذا ويجدر بنا ان نلقي نظرة فى احاديث من غير هذين النوعين ، الخطاب موجه فيها خاصة الى اولئك الافراد المتازين من العرب ، الذين اصطفاهم الرسول صلى الله عليه وسلم واختارهم لصحبته من بين افراد المجتمع العربي فى زمانه وكان يعني بتربيتهم وتزكية نفوسهم على عينه عناية غير عادية حتى يأتي منهم رجال يتشبعون بروح الاسلام ويكونون مساعديه فى القيام بواجبات الرسالة وتبليغها وتعميمها فى العالم كله فى حياته وبعد وفاته :

عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال : « يا معاذ » ! قال « لبيك وسعديك يا رسول الله » قال : « يا معاذ » ! قال « لبيك يا رسول الله وسعديك » قال : يا معاذ » ! قال « لبيك يا رسول الله وسعديك » ثلاثا ، قال : « ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار » قال : « يا رسول الله ! افلا اخبر به الناس فيستبشروا ؟ » قال: « اذن يتكلوا » (متفق عليه) ومعنى « اذن يتكلوا » انهم لا يفهمون روحه فيقعون فى سوء الظن بأن النجاة تلزم بمجرد اداء الشهادتين باللسان .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا ابو بكر وعمر فى نفر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين اظهرنا فابطأ علينا وخشينا ان يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت اول من فزع فخرجت ابتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتيت حائطا للانصار لبني النجار فدرت به هل اجد له بابا فلم اجد فاذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجه والربيع الجدول) فاحتفزت فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابو هريرة ؟ فقلت « نعم يا رسول الله ! » قال : « ما شانك ؟ » قلت : كنت بين اظهرنا ، فقمت فابطأت علينا فخشينا ان تقتطع دوننا ففزعنا ، فكنت اول من فزع فاتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب ، وهؤلاء الناس ورائي » فقال : يا ابا هريرة — واعطاني نعليه — «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيك من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة ، فكان اول من لقيت عمر ، فقال : ما هاتان النعلان يا ابا هريرة ؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيت يشهد ان لا الهالا الله مستيقنا بها قلبهبشرته بالجنة » فضرب عمر بين ثديي فخررت بها لاستي ، فقال ارجع يا ابا هريرة . فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهشت بالبكاء وركبني عمر واذا هو على اثري ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مالك يا ابا هريرة» ؟ قلت : لقيت عمر فاخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت بها لاستي ، فقال ارجع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمر ما حملك على ما فعلت ؟ فقال يا رسول الله بابي انت وامي ابعثت ابا هريرة بنعليك من لقي يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال : نعم . قال « فلا تفعل فاني اخشى ان يتكل الناس عليها فخلهم يعملون » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فخلهم» . (رواه مسلم)

وعن ابي ذر رضي الله عنه قال : اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض وهو نائم ثم اتيته وقد استيقظ ، فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك دخل الجنة . قلت وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق . قلت وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق . قال وان زنى وان سرق على رغم انف ابي ذر (متفق عليه) .

انظر فى هذه الاحاديث الثلاثة : الخطاب فيها للافراد الذين لا شك فى كونهم قد بلغوا الذروة فى حسن الاسلام وكماله ، فما كان الامر يقتصر على انهم كانوا يعرفون تعاليم القرآن وقوانين الاسلام ، بل كانوا ، فوق هذا ، يعملون بها عملا تاما . فالذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم لهؤلاء لا مجال لان يخاف منه انهم سيكتفون بالتوحيد ويعدون كل ما سواه من عقائد الاسلام وحقوقه وواجباته شيئا لا يستحق الاهمية ولا حاجة اليه للانسان فى حياته ، فلهذا اقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على ان يبين لهم جوهر الاسلام واساسه وهو الاعتقاد بالتوحيد وان الغاية الحقيقية من بعثة الانبياء ان يخرجوا الناس من ظلمات عبودية غير الله الى نور عبودية الله وحده وان المدار لنجاة الانسان و فلاحه فى الدنيا والآخرة انما هو فى خروجه من عبودية غير الله الى عبودية الله وحده ، وان من ادرك هذه الحقيقة وعلم احسن العلم ان ليس فى الدنيا شيء غير الله له نوع من الالوهية ، وان عليه ان لا يعبد ولا يستعين ولا يطيع الا الله وحده ، لانه اذا فعل هذا ، فلابد ان يتجنب فى حياته الطرق المعوجة المتفرقة ولا يتبع الا الصراط المستقيم ، ويتحرى فى افكاره واعماله الصدق والاخلاص ولا يلبث ان يقبله ويقبل عليه حيثما وجده ويتقي الله ويؤدي ما امره الله بادائه من الحقوق ويقوم بكل ما جعله عليه من الواجبات .

لهذا فان الاعتقاد بالتوحيد ، هو الذي سيضمن له الصحة فى الفكر والراي والطهارة فى الاخلاق والاعمال واما ان يصدر عنه ــ بناء على ما هو مفطور عليه من الضعف والوهن ــ شيء من الذنوب والخطايا ، فان ايمانه بالله سيجبره على ان يتوب عنه ولا يصر عليه ابدا ، لان البقاء على الذنوب والاصرار على الفسق مما يتنافى مع الايمان .

فهذا المفهوم للاحاديث المذكورة وما فى معناها من الاحاديث الاخرى ، هو الذي كان قد ادركه الصحابة رضي الله عنهم وهو مفهومها الصحيح . وما كان احد منهم ظن ، بناء على ما جاء فيها ، ان الاعتقاد بالتوحيد هو الكافي للانسان فى نجاته ولا حاجة له بعده الى الايمان بالرسول او الكاتب ولا الى ان يكون فى حياته طاهر الاخلاق صالح الاعمال .

وبعد فكيف كان لهم ان يقعوا فى هذا الوهم الخاطىء اذ كان واضحا لهم ما هو الاسلام وما فيه من امور يجب الاعتقاد بها وعبادات يجب التزامها وحدود يجب حفظها والقيام عندها وقوانين يجب طاعتها وطرق يجب اجتنابها ؟ ولاجل هذا ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين هذه الحقيقة الا للكاملين فى ايمانهم الراسخين فى عملهم من اصحابه ، ونهاهم ان يبينوها لعامة المسلمين . لماذا ؟ قد بين هذا ايضا بنفسه بقوله « اذن يتكلوا » فى حديث معاذ بن جبل .

نعم قد تساور الانسان الشبهة فى حديث ابي هريرة بان الرسول صلى الله عليه وسلم لعله امره بتبليغها عامة المسلمين ، بل فعلا قد ساورت هذه الشبهة عمر بن الخطاب ، الا ان الواقع ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما اراد ان يبشر بدخول الجنة الا الكاملين فى ايمانهم الراسخين فى عملهم من المسلمين . فلهذا لما اعرب عمر عن هذه الشبهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافقه على رايه .

وكذلك من المحال ان يظن من حديث ابي ذر ان المراد بقول « لا اله الا الله » انما هو القول باللسان ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه قد بين فى المناسبات الاخرى ان دخول الانسان فى الجنة يحتاج الى الايمان الكامل بالتوحيد . فقد جاء فى بعض الاحاديث قوله « مستيقنا بها قلبه » وفى بعضها قوله « مخلصا من قلبه » وفى بعضها قوله « غير شاك » وفى بعضها الفاظ تدل على نفس هذا المعنى .

وعلى كل ، فالواجب ان تعرف احسن المعرفة ان الاحاديث جاء فيها ذكر اهمية التوحيد انما الخطاب فيها فى حقيقة الواقع للذين قد دخلوا فى دائرة الاسلام بجميع ما تحمل كلمة « الاسلام » من الشروط والواجبات ، وليس الخطاب فيها عاما حتى للذين لم يدخلوا فى الاسلام . وبعد ، فانه ليس المراد بتبشير المسلمين بدخول الجنة اذا كانوا يعتقدون بالتوحيد ، ان يعتقدوا ان الله واحد لا ثاني له ثم يقتحموا الى اذقانهم فى ما شاؤوا من انواع لفسق والفجور والرذائل والمعاصي والبدع ، بل المراد بهذا التبشير ان المدار لنجاة المسلم هو على صحة عقيدته بالتوحيد ورسوخها واستحكامها قبل كل شيء آخر ، وانه اذا كانت عقيدته هذه فاسدة ، لا ينفعه اي شيء آخر ، وانه اذا كانت هذه العقيدة صحيحة قوية ، فلابد ان ينال النجاة آخر الامر . ومن هذه الجهة ان جميع الاحاديث فى هذا المعنى تطابق مطابقة تامة الآية القرآنية التي قيل فيها « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الحج مؤتمر اسلامي سنوي

للاستاذ : الرحالي الفاروقي

شاء الرب الكريم ان يكون كاتب هذه الحروف الوجيزة المتواضعة من بين الذين مازوا في هذه السنة بشرف القصد والارادة ، وفازوا بلذة النسك والعبادة في بلدة حرمها الله تعالى وجعلها مثابة للناس وامنا وفي اول بيت وضع للناس بركة وهدى ، ودعا اليه الطائفين والعاكفين والراكعين والساجدين فتأمنت النفوس الطيعة واطمانت القلوب اللينة وتسامت الروح الطيبة وامسى الاحرام المعقود بالنية والتلبية ، والطواف المتواتر باركان الكعبة ، والسعي المترادف بجوانب الصفا والمروة ، والحضور بعرفات والنزول بمنى والمزدلفة ، واتخاذ الحذر الى طواف الصدر ، سنة المومنين وشرعة المتقين ، ورغبة الناسك المتخشع وبغية السالك المتضرع ، كما شخصت الابصار ، واشرابت الاعناق وهوت الافئدة الى موضع الهجرة ودار الانصار للسلام على لباب مضر ، وخلاصة البشر ، صلوات الله عليه وسلامه ، وللوقوف على آثار الاسلام ومواقع الشهداء ومشاهد العظماء .

اجل كانت الرحلة في جو السماء على متن طائرة ميمونة يمسكها الرحمن ويملأها الايمان ، وتترقبها السلامة ، وتتقبلها السعادة ، وكان السفر قاصدا ، والعيش راضيا ، والسلوك سلميا ، والله بنا حفيا ، والحجاج الاكارم مبتهجون برحلتهم ، مغتبطون بوجهتهم ، تبدو على ملامحهم الغبطة والنعمة ، وعلى وجوههم السكينة والوقار ، ولسانهم رطب بالثناء على خالقهم ، طلق بالدعاء لمن ساهم في راحتهم ، وحرص على مصلحتهم ، يحدوهم الامل ويدعوهم الشوق ، ويندبهم الواجب الى مقابلة مكة المكرمة ، ومصافحة البيت المحرم .

وايم الله ان القرار بالبلد الحرام ، والبيت الحرام ليستوجب شديد الاحتراس ومزيد الاحترام ، ويستدعي كمال القصد ، وصلاح القلب ، وصفاء النفس ، واقامة رقيب عليها حتى لا تخطيء او تبطيء في العمل ، وتلزم حدود الادب ، وتأخذ طريق الصواب فلا انانة ولا كبرياء ، ولا فخر ولا رياء ، ولا فحش ولا مراء ، ولكنه الصفاء والنقاء والتقوى ، والتطهر من اوثان المادة وارجاس الدنيا ، والله يحب المتطهرين ، وانما يتقبل الله من المتقين .

فالحج اول النسكين ، واحد الجهادين ، وفرض سنة من فروض العين ، ومؤتمر يتداعى اليه المسلمون على اختلاف السنتهم والوانهم وتباعد ديارهم واوطانهم ، وتباين جفرافيتهم وطبيعة ارضهم ، لاداء مناسكهم وشعائرهم ، وللتداول في شؤونهم ومصالحهم، وللتضامن فيما يقتضيه واقع الحياة في بلادهم ، من عهدة ووحدة ، وعدة ونصرة وذلك ما تخبو به نيران المعتدين ، وتصفو به اجواء المسلمين ، فينعمون سعداء بانتظامهم والتئامهم ويعيشون احرارا في سوادهم وبياضهم .

لكنه يتراءى للناظر المعمن ان المسلمين لآخر الساعة لم يتنبهوا الى استغلال قوة هذا المؤتمر الواعية ، واستخدام طاقته الكبرى ، في سياسة مصالحهم وتنمية اقتصادهم واستعراض مهامهم ومشاكلهم والتباحث فيما يلزم لتطور حياتهم ، والتضافر على ما يلائم طبيعة ظروفهم . ويقتضي هذا ان ينظم المؤتمر اثر الفراغ من مراسم الحج تنظيما فنيا ، كما يقضي بتكتل الجهود تكتلا واقعيا .

ولو ان العالم الاسلامي ، استطاع ان يكشف عن هذه القوة الكامنة بجنبه ويصرفها بنفسه ، في تطور اسباب حياته ، ويحملها الى معرض السياسة في كفاح صحيح واطار متين ثم يرفع صوته عاليا قويا ، في مطالبه الشرعية ، وقضاياه المستعصية ، في نطاق الاتحاد الذي لا ينقسم والرباط الذي لا ينفصم ، لهز العالم بصوته ، وجعله يستمع الى قوله ، وفرض الحلول العاجلة على منظمته السياسية ، واجتماعاته الاستثنائية ، فان اول قوة تلحظ في الميدان الدولي ، ويستقصي فيها الحساب هي قوة

ارتباط القلوب ، واجتماع الصفوف ، ووفرة الانصار، ومدى ما تبلغ اليه تلك القوة من الاهداف ، وتحققه من النتائج .

ولا يتكيف العالم المسلم بهذه الكيفية الناجحة الا بالاقدام على عمل ابتكاري ، يطابق بين حاضر الاسلام الجديد وماضيه المجيد الخالد ، وباعتماد الوسائل القوية التي شرحها الاسلام شرحا مفصلا واوصى باعتبارها في الحياة ايصاء مؤكدا ، على انها قد جربت طويلا من الزمن ، فآتت اتاها طيبا ، وحققت تحولا في الافكار ، وتقدما في الاقطار . والتاريخ خير دليل ، واصدق شاهد ، فلا تهمة ولا استرابة .

واعتبار هذه الوسائل ضروري لاتحاد المسلمين وجمع شتاتهم ، وكفيل بقوتهم وتحررهم ، ومن اول هذه الوسائل تبادل الاحترام ، وتواصل الاجتماع ، والمشاطرة في الامل والالم ، والمصارحة في القول والعمل والغاء التنابز بالالقاب ، والتعاظم بالاموال والانساب ، مع التسامح والتغاضي ، والتفاوض والتراضي ، ومع القيام بما يبسط نفوذ الاسلام في الارض ، ويفتق افكار ابنائه في مادة الحياة الجديدة ، ويعدهم للبحث والمشاركة في بناء الحضارة القادمة .

وهذه القوة التي اومانا اليها وربطناها بما سبق آنفا اوجدها الاسلام منذ نشاته الاولى ، الا ان اصحابها قد تناسوها وتجاهلوها ، وهناك عدة اسباب ادت الى اغفالها واهمالها ، لا موجب لذكرها في هذا المجال . ومع حاجتهم الى القوة وبحثهم عن جهتها ، لا يسعهم الا ان يبعثوها من مرقدها ، ويثيروها من مكمنها ، الذي يوجد عندهم وبايديهم ، من دون ان يذهبوا هنا وهناك ، ويقيموا من ذلك قوة جبارة تحترم نفسها ، وتفرض وجودها ، بين القوات العالمية لاثبات سيادتها ، وتصريف سياستها .

ومن الواضح ان الاسلام عزيز منيع ، لا يرضى ان يسير في ظلال الكفر ، وضلال الشرك ولا يعيش تحت تاثيرهما ونفوذهما ، كما انه نظام عميق ، بعيد الغور ، عظيم الاثر ، فلا يرى من العبادات الرسوم الظاهرة فحسب ، بل يريد الى ذلك قوة واجماعا ، وعملا وابداعا ، ونظاما واحكاما ، وعدلا وسلاما . والنظر الى مقاصد الشريعة ومعاني الحياة ، امر لازم وحكم ثابت ، والوقوف عند الطقوس والظواهر جهل وغرور واثم وزور . ولا ننسى **أن الدعاية الاسلامية قد نسجت خيوطها ، وحبكت خططها ، في اوقات الحج،** ثم تتابع امرها الى ان اصبحت قائمة منتصرة ودعائمها ثابتة مستحكمة ، وسار سائرها في المشرقين ، وسرى سرها في الخافقين .

واذا ما عدنا الى طبيعة الدعوة الاسلامية ، وجدناها قد مزجت بين الروح والمادة ، ووحدت روابطهم ، ومتنت علائقهم ،واحكمت شؤون الحياة فيما بينهم وهيأتهم للعمل صفا واحدا ؛ فامة الاسلام في اساسها وطبيعتها امة واحدة في اولها وآخرها وفي عقيدتها وشعورها ، وفي طاعتها وعبادتها ، وفي مجموع نظام حياتها .

وبينما نحن نراها بهذا الاعتبار متصلة مجتمعة ، نراها في الوجود الخارجي منفصلة مفترقة ، لا تتكافل كما هو التكافل في حقيقته ولا تجتمع كما هو التجمع في معناه الصحيح ، ولا تكون كتلة لا تتغير على نفسها ، ولا قوة لا تتاثر بغيرها مع اشتباك وارتباك امرها ؛ وهذا ما دعا الى شيوع بدعة الاستعمار ، التي بغت وطغت في الارض وجعلت من القهر والغدر مبررا لوجودها ودخولها ، ومبيحا لملكها وتصرفها ، وان كان من القضايا المسلمة ان الغصب والعداء لا يملكان ابدا ، وانه لا يمكن ان تكون القوة سببا من اسباب الملك العادي،ولا بابا من ابواب التصرف الشرعي ، وبالرغم من هذا ، ونظرا الى التفكك الواقع ، تهجم الاستعمار، واقتحم سياسة الارهاق والادماج ، واعتمد برنامج التفرقة والتجزئة ، وظاهر المستبدين والمفسدين وعبيد المال المتنفعين ، وكان كلما توقع تقاربا في جهة من الجهات ، اجلب بخيله ورجله ، وارجف بقوله وفعله وسار سيرا قسيا وسمعت له قصفا ودويا ، ولو لقيت هذه السياسة التعسفية من اولي الامر ، وعظمات القوم ، في نظام واجماع معارضة قطعية ، ومناهضة جدية ، لسدوا الباب على من تشابهت مناكبهم ورؤوسهم ، وتنفسوا الصعداء ، واستراحوا من كيد وشماتة الاعداء ، وكان هذا الضعف البادي في الشعوب المتاخرة ادبيا وماديا ، هو السبب الاول في معاناة المشاكل القائمة ، ومقاساة المآسي الحاضرة ، التي تولدت عن طبيعة الاستعمار وسوء تصرفه .

والظن القوي ان التفاهم الودي السالم والتعاون الجدي الصادق بين البلدان التي تتقارب منافعها وتتشابه مشاكلها ، وتتضامن ارواحها هو الدواء الناجع : والحل النافع ، الذي يجعل هذه البلدان قادرة على ادارة مصالحها بيدها ، وتدبير معاشها واقتصادها بنفسها ، في شكل جديد يوافق شكل

الحضارة ، ولا يخالف شعار الحق والعدالة ، كما يجعلها بمفازة عن الاستعمار على اختلاف اشكاله وانواعه ، وبمعزل من تحكم لغاته وعوائده .

ومن الجدير بالذكر انه قد آن الخلاص ، وجاء دور التحرر ، وهذا الدور اتى به انتشار الوعي القومي وعموم الشعور والتطور العالمي ، ولا جرم ان ذلك هو سبيل الخلاص فى كل امة استعبدت على وجه الارض ، فما دامت الامة راضية بما يفرض عليها وبما يطلب منها ، فهي لا شك ترزح تحت سياط الظلم والعدوان ، واذا استيقظت من سباتها وعمها الشعور بحقها فى الحياة على حدودها الطبيعية والتاريخية فلا محالة تتخلص من الذين يسطون بها ويسيطرون عليها . ولا راحة لشعوب افريقيا الشمالية وحتى بعض شعوب الشرق الا اذا تحررت كل اجزائها، وتقلص ظل الاستعمار من جميع اراضيها . فمعركة الجزائر هي معركة الشعوب المحبة للحرية على العموم، ومعركة المغرب وتونس على الخصوص لانهما يتعرضان للشر مباشرة ، ودليل ذلك بقاء الاستعمار رابضا فى ارضهما ، ممانعا فى الجلاء التام عنهما ، رغم الاعتراف باستقلالهما ، ورغم تكرر احتجاجهما ، وما بدا من اتحاد هذه الاجزاء ، والتعاون المتين المفيد بينها فى سائر ميادين الحياة ، مما يقوي مركزها ، ويشد ازرها ، ويجعلها فى منعة وحماية من الاحلام الشيطانية والحركات الجنونية ، واذا كانت شعوب الغرب وهي اقوى وامنع تبحث عن وسائل الاتحاد ، فكيف لا تنشد الاتحاد ، ونحن اضعف منها ، واكثر عرضة للخطر ، وقد كنا مرتبطين سياسيا ، واقتصاديا وثقافيا ، — وما بالعهد من قدم — وحياة التعارف والتعاون هي الحياة المامور بها فى الاسلام ، والمعتد بها عند ارقى الامم ، ولاسيما الذين تتاكد بينهم القرابة وتربطهم الروابط ، وتجمعهم الخصائص ، وعسى ان ياتي يوم يجتمع فيه المسلمون والعرب ، على كلمة واحدة ،و يسيرون فى عظم الطريق بخطى متساوية الامر الذي يحفظ حرمتهم ، ويعزز جانبهم ويبعث تاريخهم .

ولئن كانت هناك وسلية ايجابية للقضاء على السمسرة الاجنبية ، التي الفتهم ، والسياسة الاستغلالية التي لزمتهم ، فهي الاتحاد الكامل الشامل فى الداخل والخارج ، الا انه من الطبيعي ان يدخل هذا الاتحاد فى طور العمل شيئا فشيئا ، ويبتديء مشروعه تدريجياالىان يتناهى باذنالله كلياواجماعيا، اذ ليس من السهل اصطلاح الشعوب ، واستصلاح القلوب ، فى امد غير بعيد ، مع طول اليد الاجنبية ، التي ما زالت تكيد فى ظلام الليل ، وبياض النهار ، وتعمل لاعادة نفوذها ، وضمان استمرارها ، مع ما تاتيه من التضليل والتدجيل والمغالطة .

ومما ينصر هذا الاتحاد المرقوب ، ويعقد راية هذه القوة المنتظرة ، ان جلالة محمد الخامس الواثق بالعروبة والاسلام ، وثوقا عميقا ، يومن بهذه القوة النائمة ، ويعمل للتعجيل بنهضتها والاسراع بقومتها ، بما يملكه من رياسة وسياسة ، ويتمتع به من ثقة وامانة ، وكيف لا وجلالته خالص النسب ، كريم المركب، صادق فى وطنيته وامانته ، شديد الايمان بعقيدته ، وهو يوحي بالاتحاد ، ويدعو الى التواطيء باحكام الوسائل ، وتسخير الاسباب للوصول الى هذا الغرض الاكيد ، والهدف المطلوب ، واحسن الطرق المستعجلة توحيد الثقافة واتجاهها اتجاها واحدا ، وتبادل البعثات والنشرات ، والكتب والصحف والمحاضرات ، واقرار التعاون فى سائر ميادين التعليم ، وتشجيع هيئة المهاجرين ، وتوسيع دائرة المعلمين والفنيين ، وذلك من اهم ما تجب مراعاته والمحافظة عليه وتنمية وسائله واعداد برامجه .

وربما يكون **من الخلس الحميدة والفرص المناسبة التي تهتبل لدراسة موضوع الاتحاد واستخلاص فوائده وابراز خطوطه ومراميه بوجه اعم، موسم الحج الاكبر الذي شرعه الله لصالح المسلمين دينا ودنيا ، واخصها باطلاق ، حفظ كيانهم والدفاع عن وجودهم واسترجاع سيادتهم كامة لها رسالة سامية ، وحضارة مشهودة تعمل لسعادة البشر وتساهم فى حضارة الانسان بمواهبها الفكرية ومواردها الطبيعية وتاريخها الممدود .**

واذا ما شاءت حكومة المملكة السعودية ان تسهل امر هذا المؤتمر وتسهر على نظامه ونجاحه والتفاهم بين اعضائه ، فانها تكون قد اسدت للمسلمين والعرب خيرا كثيرا وقامت بمجهود عظيم تنال به رضى الله ورضى عباده ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم .

ثم فى الحج الذي هو دعامة من الدعائم الاولى لحركة الاسلام عظات ونصائح تدعو الى التدبر والتبصر وتحمل على النظر والاعتبار ، ومن تلك العظات الاخوة والوحدة والسلام وتلك من المباديء الاساسية فى الدعوة الاسلامية ، ومن التعاليم الممثلة فى اعمال الحج باستمرار .

فاذا ما رايت الجموع المتعددة والحشود المختلفة التي اتت من كل فج عميق ونسلت من كل حدب عاقدة قلبها على امر ربها هاتفة باسمه خاشعة لجلاله مستجيبة لندائه ، تنتزع ملابسها الرسمية وتتردى برداء الحج وتلبس لباس التقوى وتمتنع من المناكح والروائح والقوادح وتنزل الى ام القرى قاصدة البيت العتيق فتحف به فى جميع الاوقات تطوف حواليه وتسعى بجانبه وتصلي الى قبلته ثم تتوجه فى وقت معين خاص الى مقام عرفات ومنها الى نحر البوائك وحلق القوادم ورمى الجمرات هدفها واحد وشعارها واحد تسال التوبة والانابة ، وتجتنب الاذاية والنكاية ، فلا يتشاكسون ولا يتخاصمون ولا يتعايرون ولا يتعايبون ، وانما هي الاخوة الناطقة والقوة الصامتة والاجتماع الظاهر والسلام الدائم ، ولا يبالون برغبات العيش ولا بلفحات الشمس ولا بما يلقون من الوعثاء واللأواء بل افكارهم انصرفت عن حياة المادة ودنيا الفناء وتوجهت الى الملا الاعلى والدار الآخرة لا تبغي الا الرحمة والمغفرة ولا تريد الا رضى الله وسعادة الابد ، فاذا ما لاحظت ذلك بعقلك وتحركت فيه بفكرك استيقنت ان الوحدة والسلام من شعار الاسلام، وانهما تخللا جميع شرائعه وتمثلا فى كافة مظاهره ، وعرفت ان ما ينادي به منبر المنظمة الاممية من المحافظة على الامن والسلم قد نادى بهما الاسلام من قرون بعيدة فى اقواله واعماله ، وفى كل حقيقة من حقائقه .

وبذلك يكون الاسلام اول من ساهم فى السلام العالمي ، ولو ان قادة العالم يفكرون فى اوضاع الاسلام الكبرى وانظمته العليا ، تفكيرا نزيها وبريئا ، ولو شاهدوا هذه الجنود المجندة فى صعيد واحد يدعون ربهم ويستنزلون رحمته ويستجلبون هدايته ويستشعرون خشيته فى هدوء تام وخشوع عام من دون مسابقة فى امر الدنيا ، لآمنوا بعمق نظر الاسلام وسمو عقيدته وشرف اهدافه ، ولادركوا ان السلام والتآخي يتمثلان خير تمثيل فى موسم الحج السنوي، ولرجعوا الى انفسهم فاقلعوا عن تطاحنهم وتاخروا عن تنافسهم فى تدمير الكون وتهديد السلم وترعيب الخلق والله سبحانه يدعو كافة العباد الى الرحمة والمحبة والى التوحيد والطاعة .



« يفران » فى الشتاء

الموارد المالية في دولة الاسلام

للاستاذ :
محمد الطنجي

- 4 -

تكلمنا في الاحاديث السابقة على كيفية تحصيل موارد لخزينة الدولة العامة طبق التشريع الاسلامي لتقوم الخزينة بمصالح ضرورية لحياة اجتماعية يقرها الاسلام وقلنا انه لا يوجد مانع يمنع الحاكم المسلم من فرض ضرائب تلك المصالح المشروعة المشتركة على جميع المنتفعين بها .

كما تكلمنا على جباية الزكاة من الاموال وجلبنا اقوال ائمة يقولون بوجوب الزكاة في المال وقت استفادته من غير اشتراط مرور الحول عليه لان ذلك لم يرد به كتاب الله ولا ثبت في سنة صحيحة ونقلنا قول شيخ الاسلام بن تيمية تجب الزكاة في جميع اصناف الاجرة المقبوضة

كما تكلمنا على زكاة ما تنبته الارض وعلى اخذ ابي حنيفة بعموم حديث فيما سقت السماء العشر ونقلنا مذهب اهل الظاهر الذين يعملون بحديث الخمسة او سق فيما يكال ويدخر من الحبوب ويعملون بحديث فيما سقت السماء العشر فيما عدى ذلك ، فيقولون بالزكاة في قليلة وكثيره مع من يقول بمذهب ابي حنيفة من الصحابة وغيرهم وقد حكى القاضي عياض من المالكية عن داود ان كل ما يدخل فيه الكيل يراعى فيه النصاب وما لا يدخل فيه الكيل ففي قليله وكثيره الزكاة

قال الحافظ بن حجر في الفتح وهو نوع من الجمع بين الحديثين المذكورين وقال ابن العربي اقوى المذاهب واحوطها للمساكين قول ابي حنيفة وهو التمسك بالعموم نقله في فتح الباري وكان مما يناسب موضوعنا ان نتكلم عن الثروات الطبيعية من المعادن والغابات وغير ذلك حيث ان بعض الائمة يرى في المعادن الزكاة وبعضهم يرى فيها الخمس بينما نص الامام مالك على ان النظر للامام اي لامير المومنين في معادن ارض المغرب، فاستدل بذلك بعض الفقهاء على ان ارض المغرب فتحت عنوة ، وحيث اختلف الائمة هل تخمس المعادن او تزكى وكان امامنا مالك يفوض في ارض المغرب النظر للامام ، فالاولى ان تكون هذه الاشياء من مصالح الدولة واملاكها ، ينبغي ان تؤمم وتستغل على اكمل وجه ممكن لصالح الدولة وتصرف مداخيلها في وجوهها المشروعة ليرتفع المستوى الاجتماعي وتستفيد منها الامة في مجموعها اكمل استفادة

اما مصاريف الزكاة : فقد قال الحافظ بن قيم الجوزية ان الرب سبحانه تولى قسم الصدقة بنفسه وجزاها ثمانية اجزاء يجمعها صنفان من الناس من ياخذ لحاجته فياخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل.

والصنف الثاني من ياخذ لمنفعته وهم العاملون والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الاخذ محتاجا ولا فيه مصلحة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة .

هذه هي جهات مصارف الزكاة وبعض الائمة يقول لابد من استيعابها كلها ومن هؤلاء الامام الشافعي والحافظ بن حزم ومن الائمة من يقول بجواز صرفها لبعض الجهات دون بعض بل يقول بجواز صرفها لصنف واحد ومن هؤلاء الامامان مالك وابو حنيفة .

صرف الزكاة في اهم المصالح : وللامام مالك نظر في غاية الاهمية في مهمة الزكاة وهو الالتفات الى اهم

المصالح الاسلامية واشد الاصناف حاجة لصرف الزكاة فيها باجتهاد الوالي واعتبار الاحوال التي طرات على الامة الاسلامية ويتجلى نظره هذا فى موضوعين :

الاول النظر المصلحي فيما نصت عليه آية الصدقات فمن المعلوم ان المؤلفة قلوبهم قوم من اشراف العرب كان رسول الله يتالفهم على ان يثبتوا على الاسلام فيرضخ لهم من الصدقات حيث كان فى المسلمين قلة ، ولما جاء مالك فى عنوان الدولة الاسلامية وسيادتها قال لا مؤلفة اليوم ، وقال الشافعي وابو حنيفة بل حق المؤلفة باق الى اليوم اذا راى الامام ذلك وهذا تفويض منهما للامام ، قال ابن رشد فى كتابه بداية المجتهد قال مالك لا حاجة الى المؤلفة اليوم لقوة الاسلام ، وهذا كما قلنا التفات منه الى المصالح . فالامام مالك ينفي اولا وجودهم وينفي ثانيا الحاجة اليهم وفى ضمن ذلك يعتبر نص آية الصدقات عليهم حاجة ماسة كانت موجودة وقت ضعف الاسلام ثم زالت بقوته وسيادته حيث تغير الحال .

والموضوع الثاني فى صرف عامة الزكاة فى ناحية واحدة اذا اشتدت حاجة المسلمين الى الانفاق فى تلك الجهة ويستند مالك فى هذا الامرين :

الاول عمل والي المسلمين والثاني نظر المرضيين ممن ادركه من اهل العلم ، ففي كتاب الموطا قال مالك الامر عندنا فى قسم الصدقات ان ذلك لا يكون الا على وجه الاجتهاد من الوالي فاي الاصناف كانت فيه الحاجة والعدد اوثر ذلك الصنف بقدر ما يرى الوالي وعسى ان ينتقل ذلك الى الصنف الآخر بعد عام او عامين او اعوام فيوثر اهل الحاجة والعدد حيث كان ذلك وعلى هذا ادركت من ارضى من اهل العلم .

ومن المعلوم ان سبيل الله باب واسع فالغازي يحل له ان يتجهز من الزكاة لانه ساع فى سبيل الله قال القاضي شرف الدين الحسين بن محمد المغربي شارح بلوغ المرام ويلحق به من كان قائما بمصلحة عامة من مصالح المسلمين كالقضاء والافتاء والتدريس وان كان غنيا ، وادخل ابو عبيد من كان فى مصلحة عامة فى العاملين عليها واشار اليه البخاري حيث قال : « باب رزق الحاكم والعاملين عليها » واراد بالرزق ما يرزقه الامام من بيت المال لمن يقوم بمصالح المسلمين كالقضاء والافتاء والتدريس فله الاخذ من الزكاة فيما يقوم به مدة القيام بالمصلحة وان كان غنيا قاله الصنعاني وفى شرح المواق عند قول خليل «ومجاهد والله ولو غنيا» روى ابن وهب لا ياخذ الفرس المعطى فى السبيل الا من يعلم من نفسه القوة على التقدم للأسنة ولم ينقل اللخمي غير قول ابن الحكم يجعل من الزكاة نصيب فى الحملان والسلاح ويشترى منها القسي والمساحي اي آلات الهدم والحفر ،و الحبال وما يحتاج اليه لحفر الخنادق والمنجنات للحصون وتنشا منها المراكب للغزو وكراء النواتية (اي العاملين فى مراكب البحر) ويعطى منها للجواسيس الذين يأتون باخبار العدو مسلمين كانوا او نصارى ويبني منها حصن للمسلمين ، وارى كل ذلك داخلا فى عموم قوله وفى سبيل الله » ه كلامه .

فانت ترى ان مصارف الزكاة فى نظر هؤلاء الائمة تناولت كثيرامن المشاريع والاعمال المدنيةوالاستعدادات الحربية وهذا ما يفسح امام المسلمين آفاقا فسيحة الارجاء على اساس جباية الزكاة الشرعية لتنظيم شؤونهم وجمع شملهم وتقوية شوكتهم ويفتح فى وجوه المخلصين باب الاصلاحات الاجتماعية الكبرى وسد الحاجات الضرورية القسوى بفضل جبايات الزكاة مما يجبر كسر هذه الامة ويقويها ماديا ومعنويا فان الاسلام دين اجتماعي مظهره العام تكافل جماعته بمختلف الوسائل وتعاونها على ما فيه الصالح العام طبق ما يرشد اليه قول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» صدق الله العظيم والله يقول الله وهو يهدي السبيل .

المسلمون في فنلاندة

للاستاذ حبيب الرحمان شاكر



... مدير مجلة « دعوة الحق » الغراء

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ

انه ليسرني جدا ان اخبر حضرتكم انه وصلت الينا مجموعتان من مجلتكم « دعوة الحق » . فاغتنم الفرصة لاقدم الى حضرتكم الشكر العميق على هداياكم القيمة الاسلامية هذه . وقد ابديتم بخدمتكم هذه علامة اخلاصكم ومحبتكم للحركة الاسلامية لا فى بلادكم فقط ، بل فى بلاد بعيدة جدا **(كفنلاندة)** التي هي اقصى المعمورة فى العالم ، وليست اهميتها بقليلة بالنسبة للعالم الاسلامي . فجزاكم الله عنا وعن الاسلام خيراً .

واني كما وعدت اكتب اليكم مقالا بعنوان **(المسلمون فى فنلاندة)** رجاء ان تنشروه فى مجلتكم الغراء حتى يكون معينا على التعارف والتواصل بيننا وبين اخواننا المسلمين فى المغرب ، ان شاء الله .

حبيب الرحمن ابن شاكر خان البلغاري ـ امام مسلمي فنلاندة ، والقائم بتبليغ الدين الاسلامي بها .



ان الجالية الاسلامية فى فنلاندة لا تكون الا جزءا لا يتجزأ من مسلمي روسيا الذين كان عددهم فوق الثلاثين مليونا من المسلمين قبل الحرب العالمية الاولى والذين يذكرهم حضرة الشيخ طنطاوي جوهري فى كتابه « **القرآن والعلوم العصرية** » بقوله « **وفى ولاية روسيا الاوروبية ـ ومنها التتر الذين هم اهم قسم ـ 35 مليونا من الاتراك ...** » .

هؤلاء المسلمون كانوا يعيشون متفرقين فى اطراف روسيا ، التي لم تكن توجد فيها بقعة لم يتغلغل فيها التجار المسلمون ، وليس فيها نقطة مهما تباعدت لم يرتفع فيها صوت الاذان . وهم فى الغالب من مسلمي **(ايدل ـ اورال)** الذين كانوا يحترفون التجارة ويؤسسون الاحياء والمستعمرات لانفسهم . كما كانوا يؤسسون الاحياء الاسلامية ، ويشيدون الجوامع والمدارس فى العواصم الروسية **كمسكو وبطرسبورج** .

وان اقصى مسجد فى شمال الدنيا لهو المسجد الموجود فى مدينة **(آركانجل)** على ساحل البحر المتجمد الشمالي اسسه مسلمو **قازان** .

والاقطار العربية التي عاش فيها المسلمون كتلا كبيرة فى الروسيا القديمة هي التوركستان 14 مليونا والقوقاز 7 ملايين والقريم نصف مليون ، وسايبريا مليون واحد وروسيا الداخلية 800 الف ، ومنهم المسلمون الفنلانديون الذين كانوا قبل الحرب العالمية الاولى يتجولون بالتجارة بين روسيا وفنلانده ، فكانوا فى الشتاء يشتغلون بالتجارة فى فنلانده وفى الصيف يشتغلون فى بلادهم بالزراعة ، وبعد الحرب العالمية الاولى والانقلاب الشيوعي فى روسيا هاجروا منها الى فنلانده وعائلاتهم واولادهم كليا . اي انهم تركوا بلادهم شتاء وصيفا ، فهم يعيشون الآن بفنلاندة متفرقين فى مدائن وقرى متباعدة ، واكثرهم فى

(هيلسينكي) عاصمة فنلانده وفى مدينة **(تامبيري)** التي هي اعظم مركز للصناعة فيها ــ وهذه المدينة اي (تامبيري) هي ايضا مركز ديني للمسيحيين ــ وهي مدينة كبيرة عامرة هادئة جدا .

وفكرة بناء مسجد لمسلمي فنلاندة انما نشات اولا من طرف مسلمي هذه المدينة ، وكان قد تأسس لهذا الغرض المبارك وكالة فى مصر ، تجتهد وتعمل لبناء مسجد فى مدينة **(تامبيري)** بفنلاندة الا انها قد فشلت ، والباقي منهم اي من مسلمي فنلانده موزعون فى المدائن والقرى المتفرقة ، ولهم محلتان **(المحلة فى عرف هؤلاء بمعنى الحي)** واممان رسميان ، معترف بهما من طرف الحكومة فى **(هيلسينكي)** وفى مدينة **(تامبيري)** ، والامام فى مدينة **(هيلسينكي)** **(ولي احمد حكيم)** الذي يعيش بينهم كامام منذ اربعين سنة تقريبا .

والمسلمون فى فنلانده ولو انقطعت كل المعاملات بينهم وبين وطنهم الاصلي ــ اعني وطنهم روسيا ــ الا ان صلتهم الروحية والودية به باقية الى الابد ، لان لبعضهم بين المسلمين فى روسيا ، الآباء والامهات ، ولبعضهم الاخوان والاخوات، ولبعضهم البنون والبنات.

وجدير بالذكر ان مسلمي فنلاندة كباقي مسلمي هذه البلاد ، كانوا تابعين للمحكمة الاسلامية فى بلدة **(اوفا)** التي كانت اذ ذاك مركزا لمسلمي روسيا . فكان ائمتهم ومدرسوهم كباقي الائمة والمدرسين فى البلاد الروسية ، ياخذون مناشيرهم للامامة والتدريس من طرف هذه المحكمة ، وبعد الحرب العالمية الاولى واستقلال فنلانده ، بقيت الجالية الاسلامية بها بلا مركز ، وبغير مرجع يرجعون اليها عند الحاجة فى شؤونهم الدينية والاسلامية .

واما احوال هؤلاء المسلمين التاريخية ، وتاريخ اعتناقهم الدين الاسلامي فذلك قديم جدا ، وهم ينتمون فى الاصل الى **(بلغار)** الذين يذكر المؤرخون العرب وغيرهم فى مصنفاتهم انهم اسلموا فى عهد الدولة العباسية فى خلافتي المامون والواثق .

واما **(البلغار)** التي ينتمون اليها فهي كما يذكر المسعودي فى مروج الذهب وغيره ، واقعة على ساحل **(مانطش)** فى الاقليم السابع ، وخلقها نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم اليهم ، الا ان ذلك من بوادي غيرهم من الترك .

وينقل عن شمس الدين الدمشقي ان اهل بلغار منسوبون الى الصقع ، وهم مسلمون اسلموا ايام المقتدر ، وبعث ملكهم الى المقتدر يطلب منه فقيها يعرفه قواعد الاسلام ، فاجابه الى ذلك .

ثم وصلت جماعة من البلغار الى بغداد يريدون الحج ، فاقيم لهم من الديوان الاقامات الوافرة وما استعانوا به ، وسالهم سائل : من اي الامم انتم وما البلغار ؟! فقالوا : قوم متولدون بين الترك والصقالبة.

ويذكر ابن الاثير بعد ذكره الواقعة فى كامله ، فى اثناء ذكره حوادث سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة انهم (اي اهل بلغار) كانوا كفار فاسلموا عن قريب ، وهم على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه .

وفى البداية والنهاية لابن كثير ــ فيما يذكر وقائع سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة : وفيها دخل بغداد رجل من البلغار يريد الحج ، وذكر انه من كبارهم ، فانزل بدار الخلافة واجريت عليه الارزاق ، وذكر انهم متولدون من الترك والصقالبة ، وانهم فى اقصى بلاد الترك ، وان النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات ، وكذلك الليل ، وعندهم عيون وزروع على غير مطر ولا سقي .

ولقد يذكر ان **(بلغار طونه)** قد تفرق من **(بلغار قازان)** فى سنة 60 من الهجرة النبوية ، فيقال لمن بقي فى اصل مملكتهم **(البلغارية الكبرى)** ولهؤلاء المهاجرين الى جهة طونة **(البلغارية الصغرى)** وربما يقال للاولى **(البلغارية الداخلية)** وللثانية **(البلغارية الخارجية)** .

وعلى كل حال ــ بناء على ما فى التواريخ الاسلامية وغيرها ــ فان اهل **(بلغار قازان)** قد تشرفوا بشرف الايمان والاسلام ، وغرسوا الشجرة الطيبة الاسلامية فى وسط بستان مملكتهم ايام المقتدر بالله ، ، اي بعد الثلاثمائة او قبلها بقليل ، وكان حينئذ ملكهم **(الماس خان ابن سيلكي)** ويقال انه هو الذي ارسل رسولا الى مدينة بغداد مدينة العلم والفضل ليبايع الخليفة المقتدر بالله العباسي ، وليظهر متابعته له وطاعته اياه ، ويلتمس منه الفقهاء والعلماء ليوقفوهم على شعائر الاسلام ويعلموهم احكام معالم الدين القويم ، فقبل المقتدر التماس ملك بلغار فارسل رسوله اليه ، وكان وصول رسول المقتدر الى بلغار يوم الاحد لاثنتي عشرة خلت من المحرم سنة 310 هجرية ،

كذلك ينقل عن ياقوت الحموي فى كتابه معجم البلدان وقيل : تسمى ملك بلغار آلماس ابن سلكي بعد اسلامه بجعفر بن عبد الله امير بلغار مولي امير المؤمنين .

وقال الفاضل المرجاني فى كتابه (مستفاد الاخبار) انه لما توفى امير البلغار الامير جعفر ابن عبد الله الذي هو اول من اسلم منهم ، جلس مكانه على كرسيه ولي عهده وولده الامير طالب ، وكان بقاء الامير جعفر الى سنة 332 هجرية ، ولما توفي الامير طالب جلس بعده على كرسي السلطنة ولده وولي عهده الامير مؤمن ، وفى عصره اي سنة 358 هجرية هجمت الروس على بلغار ، وخربوا البلاد وقتلوا العباد ، واكثروا من الافساد ، وحصل للبلغار فى تلك المحاربة انكسار عظيم ، وفى سنة 1237 الميلادية المطابقة للسنة 653 الهجرية هجمت التاتار على البلغار ، وكان ملكهم باتوخان ، وقيل انه احرق كرسي سلطنة بلغار ، وحوله رمادا ، وامر بقتل اهله فى اوائل فصل الخريف، وكان امير بلغار حين ذاك المسمى (الهام خان) ، وقيل انه لما راى عجزه عن مقاومة التاتار عن بلغار ، صالح امير التاتار على ان يضرب السكة باسمهم ويعطيهم العسكر وقت الضرورة ، وبذلك صارت مملكة بلغار جزءا من مملكة التاتار من التاريخ المذكور ، ولكن بقي لهم الاستقلال فى دائرة امورهم الداخلية ونصب **(الخوانين)** من انفسهم كما فى السابق . وبعده خربت البلاد البلغارية كليا ، فقيل انها خربت التاتار ، وقيل خربها **(تيمرلنك)** وقال بعضهم انه خربها الروس حين استيلائهم على مدينة **قازان** .

وعلى اي حال فان مدينة بلغار قد كانت من قديم الايام من المدن القديمة البناء ، وكانت من المدن المتقدمة بسبب تمدن اهلها وتقدمهم فى المعارف والعلوم ، وكانت اقدم البلاد اسلاما فى اوربا بعد الاندلس ، واما الآن فهي خربة ما بقي منها شيء سوى بعض آثارها ، مثل منارات بعض جوامعها ، وبعض الابنية ، واطلالها الدارسة ، وبعض الاشجار ، والخنادق المحيطة بالبلاد .

ثم بعد ما خربت **(بلغار)** بنيت كخلف لها مدينة **(قازان)** التي هي الآن عاصمة **(تارستان)** فى روسيا وينسب بناء هذه المدينة الجديدة الى **(صرتق خان ابن باتوخان)** وقد اجتمع فى هذه المدينة خلق عظيم من التاتار وسرماتيا (جرمس) وجواس وواتاك وبرطاس (موردوا) وبلغار وغيرهم ، وكلهم كانوا مسلمين ، واهل قازان الآن من نسل هؤلاء الاجناس المختلفة المختلطة ، وكانت تلك الاقوام المختلفة قد هربوا سابقا من ولاية **(راستوف)** حين دخل **(ولاديمير ملك الروس)** فى النصرانية ، يعني واجبرهم على ذلك ، فاستوطنوا فى تلك النواحي ، وكانت بلدة قازان واقعة فى حدود بلغار، يعني فى داخل حدودها .

فاصل الجالية الاسلامية فى فنلاندة ، واصل مسلمي روسيا يرجع الى اصل واحد ، هو ترك البلغار القديمة فى التمدن والدين . وتاريخ اعتناقهم الدين الاسلامي يرجع الى زمن المقتدر بالله ، وهم يتكلمون باللغة التركية الاصلية ، لا بالتركية الفاسدة بالاختلاط بالاجانب ، ويكتبون بالحروف العربية منذ اعتناقهم الدين الاسلامي . والاسلام عندهم اعز والذ من كل شيء . فهم يتركون للاسلام الوطن العزيز والاموال المحبوبة لديهم . ويرون الآخرة خيرا لهم من الاولى .



نبذ دين النصرانية

ان اهم الروابط الاجتماعية، رابطة العقيدة ورابطة اللغة ورابطة القوانين والاحكام المشتركة وما ينشأ عن كل ذلك من توحيد فى المشاعر والاهداف والغايات الحميدة من الحياة .

ومن المعلوم فى التاريخ ان الحضارات البشرية يلقح بعضها بعضا حتى تتماسك حلقاتها وتبلغ المدى الذي قدر لها فى كل امة .

ولا ينكر منصف ان العقيدة والشريعة الاسلامية بعثت روحا جديدة فى الفرس والروم وغيرهم كما اقتبس العرب اصحاب الدعوة الاسلامية الاولون من حضارات اولئك ومزاجهم ما ساعد على تكوين مدنية جديدة مطبوعة بطابع الاسلام من جهة وطابع الفرس والروم واليونان وغيرهم من جهة اخرى ، تكونت تلك المدنية فى ظل الاسلام ورعايته من علوم وفنون على اختلاف انواعها مما لا يزال لها وجود او صدى يرن فى اذن التاريخ .

وان مغربنا من الامم القوية التي ساهمت بنصيبها الوافر فى هذا الميدان ولا يزال فيه ما يشهد بازدهار ماضيه ، ولكنه اصابته غفوة فى التاريخ ، تاخر فيها عن ركب الامم السباقة . فاستفاق الآن واخذ يسترجع شخصيته بفضل مساعي ابنائه المخلصين ، من قوة عقيدة ولغة ومكانة علمية ودولية . فقد كان المغرب فى فترة الاحتلال محجرا عليه فى نشر عقيدته وتعميم الاحكام الاسلامية بين اهله فى قبائل الشلوح والبربر ، وكذلك لم يكن المحتلون يسمحون للمسيحيين واليهود باعتناق الاسلام ، الا بعد بحث واجراءات يصعب على الكثيرين اجتيازها . ولكن بعد ان اخذ المغرب استقلاله رجعت الشريعة الاسلامية الى محاكم البربر وامر سيدنا نصره الله بابطال تلك الاجراءات التعسفية وبقبول الدخول فى الاسلام من كل احد يريده ، فاصدرت وزارة العدل منشورا بذلك لسائر القضاة . وبالرغم من عدم قيام العلماء المسلمين بمهمة التبشير بالاسلام بين غير المسلمين من الساكنين بالمغرب ، فقد دخل عدد مهم منهم فى دين الاسلام مما يبشر بمستقبل زاهر لعقيدة الاسلام من جديد .

وبما ان شهادات ورسوم الداخلين فى الاسلام تتوارد من المحاكم على وزارة الاوقاف فانني ازف بشرى للمسلمين بان عدد الداخلين فى الاسلام منذ استقلال المغرب فقط يناهز الستمائة 600 من الاشخاص من مختلف الطبقات بما فى ذلك الدكاترة والمؤلفين والاساتذة .

وبما اننا فى مستهل سنة ميلاد المسيح عليه السلام ، اريد ان اوجه كلمة للمسيحيين الذين اسلموا واليهود الذين اسلموا تتعلق بشهادات الاسلام التي بايديهم كما اوجه كلمة اخرى لقضاة المحاكم الذين يكتبون وثائق شهادات الاسلام لمن يكرمه الله بهدايته، ذلك ان تلك الشهادات يرد فيها فى حق المسيحي الذي اسلم ، انه نبذ دين النصرانية ، وفى حق الموسوي الاسرائلي الذي اسلم انه نبذ دين اليهودية ، والحقيقة ان هذا التعبير غلط من كاتبه وملقنه ، فالذي اسلم من المسيحيين ، انما زاد على ايمانه بعيسى الايمان بمحمد ، وترك غلو اهل الانجيل فى حق عيسى .

كما ان من اسلم من اليهود زاد على ايمانه بموسى بدخوله فى الاسلام الايمان بمحمد والايمان

بعيسى كرسول من عند الله ، لان هذا الاعتقاد فى حق عيسى هو الذي جاء به نبينا ، اما ما يدعى من نسخ بعض الشرائع ، فكما وقع فى الشرائع قبل شريعتنا وقع فى نفس شريعتنا ، والادلة على ما نقول تفوق الحصر وان اطبق كتاب الوثائق فى المحاكم عمليا على عبارة نبذ الدين السابق ، فقد ورد وصف القرآن بكونه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، وهذا صريح فى الاعتراف به وفى ضمنه استمرار المومنين على هذه العقيدة فيه ، وقال تعالى : آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين احد من رسله . » وفى صحيح مسلم ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وادرك النبي ص فآمن به واتبعه وصدقه فله اجران الحديث . وفى شراح مسلم : اخرج الدار قطني من سبعة طرق كلها تبتت عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ص (اذا اسلم الكافر وحسن اسلامه كتب الله له كل حسنة اسلفها ، ومحا عنه كل سيئة عملها) فعمل الخير السابق لا يزيده العمل الخيري اللاحق الا قوة وثبوتا ولا معنى لنبذه بل لو كان المرء على غير دين وانما كان يعمل بعض الاعمال الصالحة ، ثم اسلم ، فان اجره فيها يثبت ولا يبطل ولا ينبذ بحال ، وفى صحيح مسلم ان حكيم بن حزام قال لرسول الله (ص) اي رسول الله ارايت امورا كنت اتحنث بها فى الجاهلية من صدقة او عتاقة او صلة رحم افيها اجر ؟ فقال رسول الله (ص) : اسلمت على ما اسلفت من خير .

على ان قضية الخلاف بين العلماء هل شرع من قبلنا شرع لنا تتصل بموضوعنا من جهة الجماعة المقرة لذلك اتصالا مباشرا .

ويشير الى موضوعنا ما روى فى الصحيح عن ابي هريرة قال : كان اهل الكتاب يقراون التوراة بالعبرانية ويقراونها بالعربية لاهل الاسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيؤون من ربهم — الآية . وفى رواية الطحاوي عن ابي عبلة الانصاري زيادة توضيح للحديث السابق وهي قوله عليه السلام : فان كان حقا لم تكذبوهم ، وان كان باطلا لم تصدقوهم . وهذا يشير الى ان فى كتابيهما الحق الذي لا يجوز تكذيبه. وقد قال الله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) . فكيف مع هذا كله يكتب نبذ دين موسى ودين عيسى .

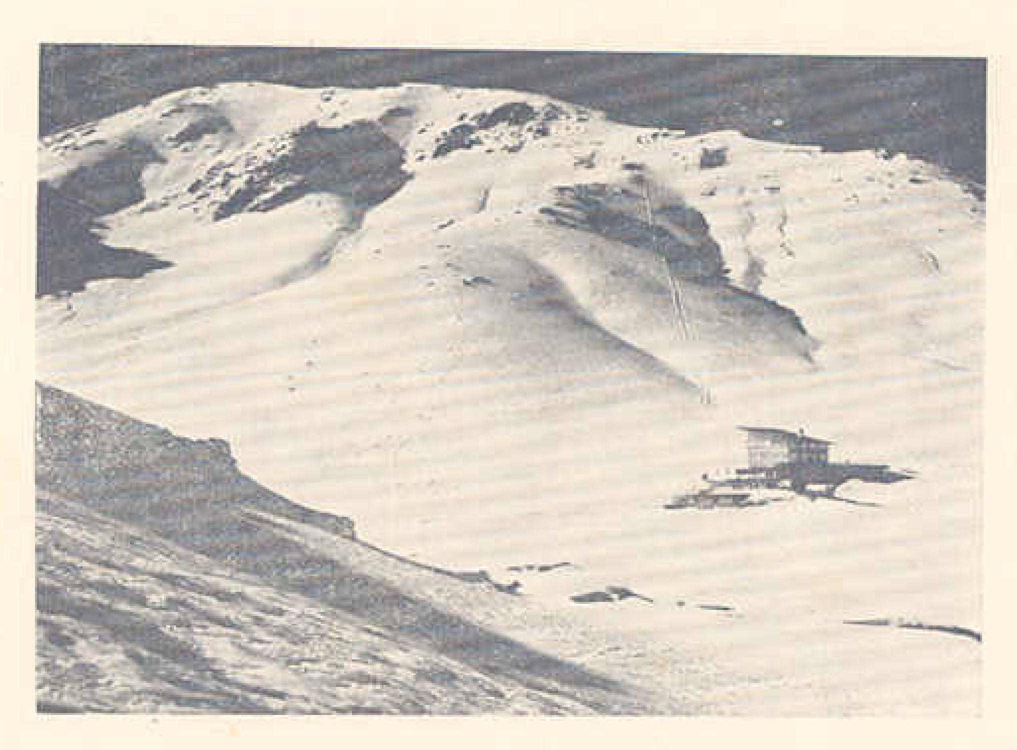
وليعلم كل داخل فى الاسلام ان الاسلام عقد بينه وبين ربه لا تتوقف نجاته فى العالم الاخروي على شهادة شاهد ولا كتابة كاتب وانما هذه اجراءات احدثت لتوقف العمل فى الدنيا عليها لمعاملته معاملة المسلمين فى الحقوق والواجبات والارث ، تحقيقا للقول المأثور من اسلم فله ما لنا وعليه ما علينا ، ولما صح عن رسول الله (ص) من قوله : المسلمون كاسنان المشط تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم .و قد نبه الحافظ ابوبكر بن العربي عند قوله تعالى (اذا جاءك المومنات يبايعنك الى آخر الآيات على ذلك حيث قال المسالة الرابعة عشر فى صفة البيعة لمن اسلم من الكفار وذلك لانها كانت فى صدر الاسلام مقبولة وهي اليوم مكتوبة اذ كان فى عصر النبي (ص) لا يكتب الا القرآن وقد اختلف فى السنة على ما بيناه فى اصول الفقه وغيرها وكان النبي لا يكتب اصحابه ولا يجمعهم له ديوان حافظ اللهم الا انه قال يوما اكتبوا لي من يلفظ الاسلام لامر عرض له ، فأما اليوم فيكتب اسلام الكفرة كما يكتب سائر معالم الدين المهمة والتوابع منها لضرورة حفظها حيث فسد الناس وخفت اماناتهم ومرج امرهم ونسخة ما يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم **لله اسلم** فلان بن فلان من اهل ارض كذا وآمن به وبرسوله محمد (ص) وشهد له بشهادة الصدق واقر بدعوة الحق لا اله الا الله محمد رسول الله والتزم الصلوات الخمس باركانها واوصافها واداء الزكاة بشروطها وصوم رمضان والحج الى البيت الحرام اذا استطاع اليه سبيلا ويغتسل من الجنابة ويتوضأ من الحدث وخلع الانداد من دون الله ، وتحقق انالله وحده لاشريك له، وان كان نصرانيا قلت وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . وان كان يهوديا قلت وان العزير عبد الله الى ان يقول وكذلك من كان على مذهب من الكفر اعتمدته بالبراءة منه بالذكر ويقول فى الالتزامات ، والتزم ان لا يقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يسرق ولا يزني ولا يشرب الخمر ولا يتكلم بالزور ويكون مع اخوانه المومنين كاحدهم لا يسلمهم ولا يسلمونه ولا يظلمهم ولا يظلمونه واعلم ان للدين فرائض وشرائع

وسنتنا فعاهد الله على ان يلتزم كل خصلة منها على نعتها بقلب سليم وسنن قويم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وشهد انه من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . شهد على ان فلان بن فلان من اشهد عليه وهو صحيح العقل هـ وان آية مبايعة النساء التي اعتمدت ايضا فى حق الرجال تبين لنا بوضوح انه لم يكن فيها نبذ دين نصرانية ولا نبذ غيره وانما فيها زيادة على معالم الامر بيان وظائف النهي ، وقد عاب الحافظ بن العربي بالتقصير من اقتصر على بيان معالم الامر فى اسلام الكفار دون وظائف النهي .

فعلينا معشر المسلمين الا نجرح عواطف وشعور من اسلم من المسيحيين واليهود بانهم نبذوا دين النصرانية واليهودية ، فاننا نعتقد ان موسى وعيسى انعم الله بهما على البشرية رسولين هاديين من اولى العزم ومن اعظم هداة البشر وان كلا منهما ادى رسالته وبلغ الامانة ، وبشر بخاتم النبيئين وان اهل الكتاب مطلوبون بالايمان بمحمد كرسول من عند الله تحقيقا لبشائر انبيائهم به ، وهناك مهمة كبرى امام علماء الدين وهي تعليم هؤلاء الذين اكرمهم الله بهداية الاسلام فروض الدين وشرائعه وآدابه حتى يعرفوها ليمكنهم القيام بها خير قيام . وفق الله جمعيات علماء الدين لبيان ما علموه من كتاب الله المبين وسنة رسوله الامين ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

محمد الطنجي

رئيس قسم الوعظ والارشاد بوزارة عموم الاوقاف



جبل « اوكايمدن »بالاطلس الكبير ، تكسوه الثلوج ، وهو من أهم مراكز التزحلق على الجليد بالمغرب ، فجهز بمصعد لنقل اللاعبين من السفح الى القمة ، اي الى علو 000 3 متر

ابن عبد الملك المراكشي

للأستاذ محمد العابد بن عبد الله الفاسي

- 2 -

نسبه ونشاته :

هو قاضي الجماعة العلامة النسابة الناقد ابو عبد الله محمد بن الفقيه المقرىء ابي عبد الله محمد ابن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي ، هكذا رفع تعدده الامام الخطيب ابن مرزوق التلمساني فيما كتب بخط يده على اول ورقة من الجزء السادس (نسخة باريس) وعلى اي حال فنسب ابن عبد الملك يرجع الى الانصار ثم الى الاوس منهم ، وليس لدينا تحقيق عن اول داخل من سلفه الى المغرب ولا في اي تاريخ وقعت هجرة آبائه ، وهل الورود كان من الاندلس او من المشرق مباشرة ؛ لكن يغلب على ظننا ان هذه الهجرة كانت من الاندلس .

وقد عرف من عائلات هذه البلاد جماعة تنتسب الى الانصار من الاوس والخزرج ، كما في جمهرة ابن حزم ، بل ربما كانت للمترجم علاقة القرابة مع استاذه محمد بن هشام الاوسي المراكشي ، ولا نستبعد اتصاله العائلي بابي اسحق ابراهيم بن يوسف بن دهاق شارح الارشاد ، سيما وكل منهما يحمل لقب ابن دهاق كما في الجذوة ، وينتسب للاوس ، فما هو نوع القرابة بينهما اذن ؟ لا يمكن ان نجزم بشيء ، وكل ما اتضح لدينا : الجرثومة اندلسية والقرابة . اما نشاة المترجم فنرجح انها كانت بمراكش ، ولا اعرف نصا صريحا في ذلك عدا القرائن والوصف بالمراكشي في كثير من النصوص .

نباهة ابن عبد الملك وبيئته :

يظهر من المصادر القليلة التي بين ايدينا ان عائلة ابن عبد الملك كانت عريقة في النباهة ، مشارا اليها بالسؤدد ؛ وقد رايت ابن مرزوق كما سبق يحلي والده بالفقيه المقرىء ، وشاهدت ابن عبد الملك في عدة تراجم من الذيل والتكملة يشير الى علاقة المترجم عنده مع والده ، وذكروا في ترجمة ابن البناء المراكشي اخذه عن عبد الملك واخيه ؛ وصاحب الذيل نفسه يغتنم مناسبة استجازته الاشياخ الكبار فيشرك معه ابناءه في ذلك ، اليس مجموع ما ذكر يشعر ان بيتة ابن عبد الملك لها علاقة عريقة بالعلوم والمعارف .

دخوله مدينة فاس :

في ترجمة محمد بن احمد بن عامر السالمي من كتاب الذيل والتكملة ، التنصيص من المؤلف على انه كان بفاس في سفره الى تلمسان بتاريخ جمادى الاخرى سنة 699 ثم لا ندري شيئا عن تفاصيل اقامته بهذه المدينة وهل كان نصيبها منه كنصيبها من ابي عبد الله العبدري صاحب الرحلة الذي لم يقم فيها بعد الاوبة من الحجاز الا اياما معدودة ، وكحظها ايضا من اثير الدين ابي حيان الذي لم يمكث بها الا ثلاثة ايام اتصل خلالها بالنحوي الشهير ابي القاسم المزياتي . على اي حال حلول ابن عبد الملك بفاس شيء ثابت وواقعي ، وقد بقي ذكره كابي حيان علي صاحب الجذوة فهما من المستدرك عليه .

ولايته خطة القضاء بمراكش :

من المحقق عندنا ولاية المترجم لهذه الخطة ، ولا ندري هل اضيفت لها خطتا الامامة والخطابة ، حيث من المعروف ان قاضي الجماعة تضافا اليه غالبا، وهما من اعلا الخطط الدينية بالاندلس والمغرب ؛ ونجهل بالضبط تاريخ ولايته ، وفي الواقع لا تخرج عن دائرة محصورة بين سنتي 685 و 699 وقد ذكر ابن ابي زرع في الانيس المطرب هذه الولاية ، فقال عند ذكر قضاة ابي يعقوب .. وقضاته بحضرة مراكش الفقيه ابو فارس العمراني والفقيه ابو عبد الله السقطي ثم الفقيه ابو عبد الله ابن عبد الملك .

اشياخه :

اشياخ ابن عبد الملك جمهرة كبيرة يطول تتبعها واستقصاء جميع افرادها ، وهم فيما يظهر منقسمون الى طبقتين : طبقة اخذ عنها مباشرة وسمع منها فتعتبر من اشياخه المباشرين ، مثل ابي زكرياء ابن ابي عتيق وابي القاسم البلوي وابي الحسن الرعيني وكثير من هذا النوع .

وطبقة ثانية اخذ عنها بطريق الاجازة والرواية التي كان لها رواج كبير بين اوساط اهل العلم ، خاصة اصحاب الحديث والاسناد ، وهذا النوع من اشياخ ابن عبد الملك لا يعد كثرة ، فقد كان له رحمه الله شغف كبير بهذا الفن ، وحرص شديد على الاتصال بالاشياخ وان بعدت المسافة وعظمت الشقة يستجيز من البلاد البعيدة رجالها ، ويستروي علماءها الامجاد ، اما الاندلس والمغرب وافريقيا فحدث ولا حرج ، وقد استجاز له صاحبه ابو عبد الله ابن رشيد الفهري صاحب الرحلة الشهيرة ، وجعله في مقدمة القائمة التي اشركها في استدعائه العام اثناء رحلته المشرقية (وقفت على الاستدعاء المذكور مؤرخا بالرابع عشر لرجب عام 684) وقد كتب على الاستدعاء المذكور جماعة من علماء مصر وبيت المقدس ونابلس ودمشق الخ .. ولو كانت لنا سعة لنقلت ذلك الاستدعاء بكامله مع تعليقات ابن رشيد عقب ذكر كل شيخ اذن بالاجازة من اولئك العلماء ؛ ويوجد بخزانة القرويين نص هذا الاستدعاءبآخره نقص تحت رقم 7.

اما الآن فساحاول نقل ما عثرت عليه من اشياخه اثناء مطالعتي بعض اجزاء الذيل ، ممن صرح فيه المؤلف بشيخنا ، او ذكر الرواية عنه ، غير متحمل مسؤولية بيان طريق التحمل الا ما صرحت به واوضحته :

1) ابو الحسن علي بن محمد الفخار الرعيني الاشبيلي ، قرا عليه بمراكش وذكره في الذيل عدة مرات .

2) ابو اسحق بن احمد بن القشاش ، قرا عليه بمراكش وذكره كذلك مرات .

3) ابو علي الحسن بن ابي الحسن علي الماقري الحافظ الكفيف ، ذكره عدة مرات .

4) ابو جعفر بن يوسف الطنجالي ، ذكر الرواية عنه في ترجمة احمد بن ... ما يتبع .

5) اخوه ابو عبد الله الطنجالي ، ذكره في الترجمة المذكورة كسابقه .

6) ابو عبد الله محمد بن احمد القيسي الرندي المسلهم ، ذكره في ترجمته وكان صديقا لوالده

7) ابو عبد الله حسن بن الحافظ ابي الحسن علي ابن القطان ، ذكره في ترجمة ابن عات احمد .

8) ابو زكرياء بن ابي عتيق ، تلا عليه بالسبع : ابن فرحون في الديباج .

9) ابو القاسم احمد بن محمد البلوي ، قرا عليه كثيرا واستفاد منه كما في ترجمته من الذيل .

10) ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر التلمساني صاحب الارجوزة في الفرائض ، لقيه بسبتة واخذ عنه كما في ترجمته .

11) ابو عبد الله محمد بن يوسف المزدغي الفقيه الخطيب ، بيوتات فاس في القديم لابي زيد الفاسي .

12) ابو محمد عبد الله الرومي مولى ابي عثمان سعيد بن حكم ، ذكره في ترجمة احمد بن علي ابن ثابت .

13) ابو جعفر الطباع احمد بن علي الرعيني ، كتب له بالاجازة من غرناطة كما في ترجمته من الذيل .

14) ابو عبد الله بن يحيى بن ابي ، ذكر في ترجمة احمد بن الفحام من الذيل .

15) ابو الطيب صالح بن شريف ، ذكر في استنزال السكينة لابي زيد الفاسي .

16) ابو الحجاج يوسف بن حكم التجيبي نزيل مكناسة ، ذكر عدة مرات في الذيل .

17) ابو علي الحسين بن عبد العزيز ابن الناظر ، ذكر في الذيل عدة مرات .

18) ابو الحكم مالك بن المرحل السبتي ، ذكر في الذيل في عدة تراجم محلى بشيخنا .

19) ابو عبد الله بن خميس : ذكر في ترجمة ابن الفحام السابق .

20) ابو عبد الله بن علي ابن هشام ، ذكر في ترجمة ابي العباس النباتي .

21) ابو محمد جابر بن جبيرة ، ذكر في ترجمة احمد بن عبد البر البكري .

22) ابو بكر بن يربوع ، ذكر في ترجمة ابي الحسين ابن السراج .

23) ابو الحسن بن الضائع ، مصدره كسابقه اتصالا .

24) ابو العباس احمد بن محمد .. ابن الغماز ، كتب له ولبنيه الخمسة بالاجازة من تونس .

25) ابو جعفر بن الزبير صاحب صلة الصلة ، روى عنه وذكره في الذيل عدة مرات .

26) ابو جعفر احمد بن محمد بن سليمان بن شنيف البلنسي : ذكر في ترجمته .

27) الرئيس ابو القاسم محمد بن احمد العزفي : ذكر في ترجمة احمد ابن واجب .

28) ابو الحسين اليسر ، ذكر في آخر ترجمة القباني ابن صفرج .

29) ابو محمد العراقي عبد الرحمان ، حلاه بشخينا في ترجمة محمد بن احمد .. ابن حجاج .

30) ابو الحسين بن ابي الربيع ، ذكر في ترجمة محمد بن احمد الاشبيلي .

31) ابو الوليد محمد بن اسماعيل بن .. ابن عفير الاموي ، قرا عليه واجازه كما في الذيل .

32) ابو الحسين عبيد الله بن عبد العزيز ابن القاريء : ذكر في ترجمة محمد بن خلف القراق

33) محمد بن عبد الرحيم .. ابن رزوق بتقديم الراء على الزاي ، حضر دروسه بسبتة .

34) شمس الدين ابو محمد عبد الواسع الابهري ، ذكر في ترجمة محمد بن عبد الله المرسي .

35) محمد بن هشام الاوسي المراكشي القرطبي السلف ، صحبه المؤلف واخذ عنه كما في الذيل .

36) محمد بن عبد الوهاب الانصاري الدمشقي ابو بكر ، لقيه المؤلف وسمع منه كما في ترجمته.

37) محمد بن احمد السبائي ابو عبد الله ابن الطراوة ، جالسه المؤلف واستفاد منه كثيرا كما بترجمته من الذيل .

38) ابو الحسن علي بن محمد الجياني ، اخذ عنه وانتفع به كما في ترجمته .

39) ابن رشيد محمد بن ابي بكر البغدادي صاحب الوتريات في المديح ، سمع منه المؤلف كثيرا ولزم مجالس وعظه .

هؤلاء بعض شيوخه الذين امكن لنا التعرف اليهم عن طريق المؤلف نفسه ، ولست ادعي حصرا او احاطة ، فان البحث لم يستجمع شرائطه لفقدان المصادر المعول عليها في هذا الباب .

تلاميذه :

تلاميذ ابن عبد الملك الذين اخذوا عنه بطريق الدرس او الرواية ، غفل عن ذكرهم التاريخ المغربي او اغفلهم ، ومع هذا امكن لنا ن نتعرف جملة صالحة منهم . ففي ترجمة ابي العباس بن البناء المراكشي الذي قال في حقه ابن رشيد لم ار عالما بالمغرب الا رجلين ابن البناء العددي بمركش وابن الشاط بسبتة ، ذكروا انه اخذ عن ابن عبد الملك الحديث والعروض ، وتأدب بين يديه في عقود الوثائق وانتفع به كثيرا .

ومنهم ابو القاسم بن يوسف التجيبي البلنسي ثم السبتي كان حيا سنة 730 ، صرح الخطيب ابن مرزوق فيما كتبه بظهر الجزء السادس من الذيل والتكملة ، ان ابا القاسم هذا يرويه عن ابن عبد الملك، وابو القاسم راوية مشهور ، ونقاد غزير المادة والاطلاع، وله فهرسة ورحلة ربما فاقت رحلة ابن رشيد الفهري السبتي (راجع الدرر الكامنة رقم 611 من الجزء الثالث) .

ومنهم ابو جعفر احمد بن ابراهيم المالقي ، المعروف بابن صفوان شيخ ابن الخطيب السلماني ، وذو الاطلاع والمشاركة الواسعة المتوفى سنة 763 .

وممن ذكر ايضا من الاخذين عنه ابو القاسم عبد الرحمن بن ابي طالب العزفي ، الفقيه المحدث ، صاحب كتاب الاشادة في المشتهرين من المتاخرين بالاجادة المتوفى عام 717 .

وممن اخذ عن ابن عبد الملك ولازمه ابنه الاديب الكبير المتقشف ابو عبد الله ، ذكره ابن الخطيب في الريحاني وابن حجر في الدرر الكامنة رقم 527 الجزء الرابع . وقال ابن حجر سمع من ابيه العلامة التاريخي وتأدب به ، توفي سنة 743 .

هؤلاء بعض تلاميذ ابن عبد الملك اتينا بهم كنموذج لطبقة الاخذين عنه والمستفيدين من احاديثه العلمية .

نظمه ونثره :

تقدم في كلام ابن الزبير ان المترجم كان اديبا بارعا وشاعرا مجيدا ، وسبق لك في نص النباهي ان ولد المترجم اطلعه على كثير من المكتوبات الصادرة عنه بين منظوم ومنثور . اما نثره الكثير وترسله المنسجم فسنقف على نماذج منه في كتابة الذيل ان شاء الله فلا حاجة للاتيان بفصول من ذلك ، واما نظمه او شعره فليس في الامكان التحدث عن قيمته وموضوعاته ومقدار الشاعرية المتمثلة فيه لان ما بايدينا منه الان نزر قليل لا نتمكن بسببه من الحكم له او عليه ؛ ونتخيل وربما كان مجرد تشاؤم ان اكثر تلك الآثار الشعرية ذهبت ادراج الحوادث النازلة بالاندلس وانتهت بوفاة ولده الذي بقي محتفظا بآثار والده ضنينا بها . وقد احتفظ لنا التاريخ باقل القليل من نظمه ، فنقل لنا ابن الزبير في صلة الصلة ـ والنباهي كذلك ثلاثة ابيات من شعره في مراكش تقدم لك نصها ، وانفرد النباهي بقصيدة لامية يقول في مطلعها :

يا عاذلي دع الملامة او سلا
عن صادق في الحب مثلي هل سلا

كيف السلو ولي بحكم البين في
مراكش جسم وقلب في سلا

وقد بلغت عدد ابياتها تسعة عشر ، وناسخ اصل النباهي الوارد فيه نص القصيدة مسخ الكتاب مسخا وشوه القصيدة بالقلب والتحريف . ولما نشر الاستاذ بروفنصال الكتاب المذكور بالقاهرة ابقاه على حالته المشوهة . وفي اعتقادنا ان امثال هذه النصوص ، الجدير بنشرها هم اهلها ، حيث يتاح لهم ما لا يتاح لغيرهم من المستشرقين .

ووقفت في كتاب الذيل والتكملة للمؤلف (آخر ترجمة ابن عميرة المخزومي) على بيتين من قصيدة طويلة يهنىء فيها ابن عبد الملك الرئيس ابا علي عمر بن ابي العباس الملياني قال :

يا من يقيس به سواه من الندى
الغيث في النظر اعتبار الجامع

هذا يجود وفي الموانع كثرة
وسواه ضن مع ارتفاع المانع

كما عثرت له على بيت واحد ذيل به البيت الشهير في الثناء على مشارق القاضي عياض (انظره في الاعلام ص 240 ج3 لمؤلفه الاستاذ الكبير السيد عباس ابن ابراهيم وفي نفح الطيب ص 74 من الجزء الاول نسبة بيت مفرد لقاضي الجماعة ابن عبد الملك ذيل به بيتين لغيره في تين مالقة) قال :

لا تنس لاشبيلية تينها   واذكر مع التين زياتينها

نقده وصراحته :

امتاز ابن عبد الملك رحمه الله بطبع قوي ، ونقد لاذع مبني على الصراحة والدليل القوي ، عرف ذلك منه ، وخبره الناس فيما كتبه . ومن الغريب ان ابن الزبير وهو من هو في البحث والمعرفة والنقد ، قد كان من اول المتسابقين الى اعلان ما امتاز به خلق ابن عبد الملك من حدة طبع ، وكانه يجعل هذه الحدة هي السبب في تاخيره عن خطة القضاء ، وما اثمر ذلك من حقد عليه؛ ولم يخطر ببال ابن الزبير حينذاك انه سيكون الهدف الاول لابن عبد الملك في نقده وتزييفه ؛ ونرجح ان ابن الزبير لم يقف على نسخة من كتاب الذيل والتكملة ، والا فمن المستبعد وقوفه عليه ولا يقابل المثل بالمثل ، سيما بعد وفاة صاحبنا وترجمته في كتابه صلة الصلة ، ولكنه لم يفعل شيئا وكل ما فاه به كلمة او كلمتان لم يخرجا عن دائرة الادب والنقد النزيه ، اما ابن عبد الملك فهو بالعكس منه اذا ذكر ابن الزبير لا يبقى ولا يذر واليك امثلة من نقد صاحب الذيل :

يقول ابن عبد الملك اثناء ترجمة ابي عبد الله محمد ابن عيسى بن محمد . . . ابن المناصف صاحب الدرة السنية ومولده بالمهدية او تونس ، وبعد نقله كلام ابن الابار فيه وجعله من الاندلسيين عنده قال ابن عبد الملك عقبه (وقبح الله الحسد المذموم فقد حمل ابا عبد الله ابن الابار على ذكره اياه في الاندلسيين تشيعا) انتهى .

وفي ترجمة ابي القاسم البلوي شيخ المؤلف يقول ابن عبد الملك بيانا لحال استاذه المترجم ، وانتقادا على جماعة ممن لا يخطر ببالهم فكرة الاحسان والمواساة قال وكان ذلك (اي ضعف المترجم وفاقته) من اقبح ما جرت به الاقدار من موجبات النقد على صنفه وجيرانه من المنتمين الى العلم والمرتسمين به وغيرهم من رؤساء حضرة مراكش ، فقد كان الجار الجنب لشيخنا ابي الحسن الرعيني رحمه الله لا يفصل بين داريهما دار احد من خلق الله ، وشيخنا ابو الحسن

هذا اوفر اهل الحضرة مالا واعظمهم جاها وهو بلديه.. فلم تجر على يديه قط منفعة ولا نال من قبلــه ولا بسببه فائدة ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وفي ترجمة ابي جعفر احمد التجيبي بعد نقــده كلاما لابن الزبير قال : انتهى ما ذكره ابو جعفر ابــن الزبير . وقد اشتمل على اخلال سوى ما تقدم الايماء اليه من الاغفال الذي استدركناه ، جر ذلك الاخلال التقصير في البحث وقصور المعرفة .

وفي ترجمة محمد بن احلى يقول ابن عبد الملك : كان ابن الزبير قد بعث الي يردع الجاهل عن اعتســاف المجاهل وبالرجز المذكورين ، فاما ردع الجاهل فاقل شيء فائدة وابعده عن النفع بعلم ... واما الرجز المشار اليه فقد تقدم التنبيه عليه في رسم ابن الزبير ورداءة نظمه وخلوه من المعنى وانه هزاة المستهزئين . ولقد كان في غنى عن التعرض لنظمه واولى الناس بستر عاره منه والله يبقي علينا عقولنا ويرشدنا الى مــا يرضيــه .

وفي ترجمة ابي القاسم ابن البراق وقد اطال فيها جدا ، يقول ابن عبد الملك : وقد احوجنا فعل ابن الزبير في ذكره اشياخ ابن البراق وقلة تثبته في نقله اياهم ، وما انجر بسبب ذلك كله الى اطالة ليست من شاننــا اردنا بذلك التنبيه على عمل ابن الزبير في كثير ممــا اشتمل عليه كتابه ، ولنبين ان الاتقان له رجال خصهم الله بفضيلته .

هذه نماذج وامثلة من نقد ابن عبد الملك في كتابه الذيل ؛ وليس في الامكان تتبع جميع ما جرى به قلمه من اشباه هذه العبارات سواء مع ابن الزبير او غيره من رجال الادب والاسناد ، فان ذلك يستدعي طولا ، والمقصود هو التنبيه والارشاد ، سيما ونقده لا يقتصر على موضوع التجريح والتعديل ، بل له بحوث خاصة في كثير مما يراه مخلا بقواعد العلم وقوانينه مما تراه يتخلل ثنايا تراجمه ، وان شئت على طريق المثال فراجع ما علقه على قصيدة ابن المرحل في مثال النعال النبوية، واشباه ذلك كثير جدا خلال تراجمه .

يتبع



قوس (كـاركـلا)
من بقايا مدينة (وليلي) التي توجد بسفح مدينة زرهون

المغرب الحائر بين الوطنية والقومية

بقلم: ادريس الكتاني



كانت فكرة الوطنية الضيقة من بين الافكار التي حملها الاستعمار الغربي معه الى شعوب العالم العربي التي وقعت تحت رحمته منذ مطلع هذا القرن . وكان شعار الوطنيين العرب يومئذ يقوم على هذا الوزن « مصر للمصريين » « العراق للعراقيين » « سوريا للسوريين » وهكذا . واستيقظ العرب بعد ذلك ليكتشفوا انهم بهذه الوطنيات الاقليمية المستوردة من الغرب ، انما يمزقون وحدة وطنهم الكبير ليظل نهبا للاستعمار يجعل من دويلاته المصطنعة مناطق نفوذ لسيادته الدائمة ، ويعيدون بشكل آخر ، مآسي ملوك الطوائف التي انتهت بالقضاء على دويلاتهم الاقليمية ، وعلى الاسلام معها في اسبانيا الاسلامية كلها .

وانطلقت الثورة العربية . انطلقت في كل مكان من العالم العربي، لتقيم اساسا جديدا للقومية الفسيحة الافاق ، مكان الوطنيات الاقليمية الضيقة . واخذت هذه الوطنيات في الانكماش والزوال ليحل الشعور القومي محلها . فالسوري مثلا اصبح يحس بانه عربي اولا ، وسوري ثانيا ، وان له اخوة وابناء اعمام في مصر والعراق والجزائر وشنقيط والسودان واليمن وسائر البلاد العربية ليسوا سوريي الجنسية ـ لان سوريا لم تكن لتسعهم جميعا ـ ولكنهم مع ذلك عرب ، فهو اذن لم يكن سوريا بالذات الا عن طريق الصدفة ، اذ لو ولد في المغرب لكان مغربيا ، وبخلاف ذلك عروبته ، فهي لا تتغير بتغير المكان ، اذ لو ولد في امريكا لظل عربيا ولو كان يحمل الجنسية الامريكية . وهكذا استطاع الشعور القومي العربي ان يكتسح الوطنية الضيقة لانه يقوم على حقيقتين :

1) كل شعب عربي انما هو جزء من الامة العربية الكبرى .

2) كل بلاد عربية انما هي جزء من الوطن العربي الكبير .

والواقع ان تكتيل الشعور الوطني داخل اطار « القومية العربية » كان مرحلة طبيعية لتطور الفكر العربي الذي اخذ بدوره يصارع امواجا من الافكار الغربية ، بدات تهاجم البلاد العربية من جديد ، لتحل محل الجيوش الاستعمارية المنسحبة .

ترى ، ما هي المرحلة التي نجتازها نحن اليوم ، في المغرب المستقل ؟

اننا لم نتفق بان « المغرب للمغاربة » على وزن « لبنان للبنانيين » لان وعينا الوطني ، وتطورنا السياسي جعلنا ندرك ان هذه الوطنية الاقليمية الضيقة فات اوانها ، ولن نجني من ورائها ـ لو تمسكنا بها ـ الا ضرب حصار على بلادنا تظل معه منطقة نفوذ للقوات الاستعمارية ، ورغم اننا لم نستكمل بعد اسباب استقلالنا السياسي والاقتصادي، فقد نادينا بوحدة اقطار المغرب العربي ، ونحن نسعى مخلصين لتحقيقها ، وانخرطنا في الجامعة العربية . فلسنا اذن ممن يومنون بالوطنية الضيقة . ومع ذلك فهل يمكن القول باننا ننهج سياسة « عربية قومية » او اننا نتحمس لمثل هذه السياسة ؟

قبل ان نصدر حكما مرتجلا او غير نزيه ، يجب ان نراجع احساساتنا الشعبية تجاه مفهوم « الوطنية الضيقة » بمعناها الغربي المحدود ، و « القومية العربية » بمعناها الشرقي المتسع .

فالشعب المغربي لم يعرف « الوطنية الضيقة » في حياته منذ عرف الاسلام وآمن به دينا ، ولئن كانت صعوبة المواصلات بين المشرق والمغرب يومئذ ، قد جعلت منه وحدة سياسية قائمة بذاتها ، فانه ظل يعتبر نفسه امتدادا لوحدة كبرى ، هي وحدة الامة الاسلامية ، وليست حدوده الاقليمية الارضية في نظره الا حدودا سياسية ، تتسع في عصور ازدهاره فتشمل الاندلس شمالا ، والصحراء والسودان جنوبا ، وافريقية الشمالية شرقا ، ثم تضيق في عصور انحطاطه وتنكمش ، ثم تزداد ضيقا بتسلط الاستعمار على مدنه وشواطئه وصحرائه الخاصة ، والحاقها باراضيه الوطنية فيما وراء البحار غصبا وغلابا . فالحدود الارضية بالنسبة للشعب المغربي ليست سوى مصطلحات جغرافية تخضع للمد والجزر تبعا لقوة الدولة وضعفها ، ولكن الشعور بالامتداد الحضاري والديني واللغوي والتاريخي للشعب شعور قاهر لا يغلب ، ولا تمكن السيطرة عليه ، ولذلك ظل يعتبر الجزائر مثلا بلدا شقيقا ، جزءا من المغرب العربي ، وشعبها شعباعربيا اسلاميا، رغم قرن وربع من الاحتلال والفرنسة . ونفس هذا الشعور تجده تجاه البلدان العربية والاسلامية الاخرى . فالمغربي يحب وطنه الصغير باعتبار انه وطن اسرته الاقليمية ، ولكن حبه وغيرته يمتدان في قوة وانطلاق ، ليشملا كل وطن عربي او اسلامي ، لانه وطن اسرته القومية او الدينية.

وليس لـ « الوطنية » في احساس المغربي الا مدلول واحد هو مقاومة الاستعمار الاجنبي ، لا في الوطن الصغير فقط ، بل في اي جزء من اجزاء الوطن الكبير ، ولذلك تجده مستعدا لان يقاتل مع اخوانه في الجزائر مثلا ، بنفس الشعور والايمان والاخلاص التي تدفعه لمناهضة الاستعمار في المغرب ، ومن غير ان ينتظر نفعا او جزاء الا من الله ، لانه يعتبر نفسه « مجاهدا » يدافع عن حق من حقوق الله في الارض ، هو حق اخيه المسلم في الحياة الحرة الكريمة . ولذلك كانت كلمة « وطني » ترادف كلمة « مقاوم » والفرق الوحيد بين مدلولهما هو ان مقاومة الاول سياسية ، بينما مقاومة الثاني مسلحة ، فمن لم يتصف بهذه المقاومة لا يعتبر وطنيا ولو كان مواطنا .

وبخلاف ذلك ، فان مدلول « الوطنية » في الاصطلاح الغربي لا يقوم على اعتبارات انسانية ، او قيم خلقية او روحية ، ولا يتجاوز الحدود الجغرافية الارضية للدولة الواحدة . فالفرنسي مثلا ينتهي شعوره الوطني حيث تنتهي حدود بلاده ، ولا يفكر في الدفاع عن اي بلد آخر — ولو كان مسيحيا — الا بقدر ما يكون هذا الدفاع ضروريا لحماية وطنه هو ، وحماية مصالحه الخاصة ، بل هو يستبيح لنفسه ولحكومته — بدافع الانانية وباسم المصلحة — الاعتداء على الشعوب الاخرى ، وسلب خيراتها ، لتوفير السعادة والنعيم لوطنه وحده ، ولا شيء معه !

لسنا اذن من انصار « الوطنية الضيقة » كما هي في مدلولها الغربي لحسن الحظ ، وانما نومن بوطنية روحية لا مادية ، قومية لا ارضية ، انسانية لا سلالية ولا عنصرية، تعترف بالاخوة الاسلامية والوحدة العربية كرابطتين قويتين تعملان لدعم الحرية والسلام، في رقعة كبيرة من العالم ، ومقاومة الاستعمار والظلم والاستعباد حيثما كان فوق ظهر الارض، والسعي لخير الانسانية وسعادتها وتقدمها .

بقي ان نراجع احساساتنا الشعبية الدفينة تجاه مفهوم « القومية العربية » طبق تفسيرها الشرقي الحديث .

ان رجل الشارع وابن البادية لم يكن واحد منهما يدرك في الواقع ماذا تعني فكرة « القومية العربية » واذا كان الاستعمال هو الذي يحدد معاني الكلمات ومدلولها اللغوي ، فان كلمة « عربي » تعني عنده « مسلم » وكذلك العكس .

فالكلمتان مترادفتان تقريبا بالنسبة اليه ، لانه قلما كان يتاح للمغربي ان يرى مدلول احدهما ينفصل عن مدلول الآخر ، فهو لم يكن يتصور ان هناك عربيا غير مسلم (1) ، كما انه كان يتخيل ان كل مسلم

---

(1) يمكنك ان تلمس هذه الحقيقة لو اتيح لك ان تقدم عربيا مسيحيا من الشرق لمغاربة ثم تقول عنه انه نصراني ، فستجدهم حينذاك امام لغز معقد ، واول ما يتبادر الى ذهنهم انه كان مسلما ثم تنصر .

عربي ، فاذا قلت عن شخص انه غير عربي فان اول ما يتبادر الى ذهنه انه غير مسلم ، وكذلك العكس . وكما تجد هذا الاصطلاح عند المغاربة ، تجده عند الجزائريين والتونسيين ، فالقبائلي الجزائري الذي لا يكاد يعرف العربية ، كثيرا ما يقدم نفسه او يقدمه مواطنوه على انه « عربي » اي « مسلم » ف « الاستعراب » في نظره شيء لا ينفصل عن الاسلام ، او هو صفة من صفاته اللازمة ، والجهل بالعربية مجرد نقص عارض يجب ان يتلافاه المسلم ، ولما كان الاسلام ينكر الفروق الجنسية ، فالمغربي ينكرها هو الآخر، لا بمقتضى عقيدته فقط ، بل باحساسه ايضا ، اذ لا يجد لها اثرا ما في مجتمعه الاسلامي .

وفي السنين الاخيرة ، وخاصة بعد انتصارات القومية العربية في العالم العربي ، اخذت مفاهيم هذه « القومية » وخصائصها السياسية والاقتصادية تتضح شيئا فشيئا لدى الراي « الخاص » المغربي ، بينما بدا جانب من الراي العام يفهمها على انها دعوة لاتحاد الدول العربية يعني « دون الاسلامية » متسائلا عن السر في هذا التخصيص . اما الجانب الآخر ، ولعله الاكبر عددا ، فلم يكن هناك ما يدعوه لمثل هذا التساؤل ، طالما ان الدول العربية عنده عبارة مرادفة للدول الاسلامية ، والقومية العربية هي القومية الاسلامية ، ومهما يكن فان الراي العام المغربي ، على اختلاف درجة وعيه وادراكه ، يومن بمبدا الاتحاد العربي والاخوة الاسلامية ، ولذلك فهو لم ير في قيام « جامعة الدول العربية » ونهضة « القومية العربية » الا مظهرين من مظاهر هذا « الاخاء » الذي جاء به الاسلام ، والذي لا يستطيع الا ان يؤيده ويؤيد جميع الوسائل الموصلة اليه .

وبينما نجد نسبة انصار « القومية العربية » مرتفعة في الاوساط الشعبية ، وفي طبقة المثقفين ثقافة عربية ، اذا بها تنخفض في طبقة المثقفين ثقافة فرنسية . وليس في هذا ما يدعو للغرابة ، فاللغة هي التي تصنع الفكر وتوجهه ، ولم تخلق اللغة الفرنسية لتحرير الفكر العربي او خدمة القومية العربية بطبيعة الحال ، بل لخدمة فرنسا وتمجيد الفكر الفرنسي . ولكن المؤسف ان يقع بعض طلبة المغرب العربي بفرنسا تحت تاثير الدعايات الاستعمارية الفرنسية ، فيرى في « القومية العربية » تعصبا جنسيا يراد منه تحريض العرب ضد الاجناس الاخرى ، او بعث الروح الاستعمارية فيهم لاحتلال دول اخرى ! . وهذا منتهى التضليل ، وفي نطاق هذه الدعايات اخبرني ضابط مغربي قضى فترة تدريب مع فوج من زملائه بفرنسا انه عرض عليهم يوما فلم ظهر فيه هتلر يخطب امام جماهير الشعب الالماني يوم كانت النازية في اوج مجدها ، وفجاة اختفى هتلر ليظهر جمال عبد الناصر مكانه يخطب امام جماهيرالشعب العربي في نفس الموقف ونفس الشكل ، ولم يكن الغرض من ذلك الا الايحاء بان ماساة هتلر والنازية ، تعود للظهور من جديد ممثلة في ناصر والقومية العربية ! وهذه الدعاية الاستعمارية هي المسيطرة اليوم على الراي العام في دول اروبا الغربية ولكن المؤلم ان ينخدع لتضليلها بعض ابناء المغرب العربي .

ويتضح مما سلف ان المغربي على العموم ، اقرب ما يكون الى الايمان بالقومية العربية منه الى الوطنية الضيقة ، للاسباب التي شرحتها آنفا ، وقد كان انخراط المغرب في الجامعة العربية عملا استجابيا لهذا الشعور ، ملبيا لرغبة الشعب . ومع ذلك ، فلا يمكن القول بان المملكة المغربية المستقلة تسير طبق سياسة عربية قومية محددة ، وضعت اسسها سلفا بعد دراسة دقيقة ، مثلما تدرس المشاكل الاقتصادية والادارية الاخرى . واعتقد ان تحديد هذه السياسة ليس امرا كماليا لم نفرغ بعد للاهتمام به ، فالفوضى التي نعانيها ، فوضى التفكير ، وفوضى التوجيه وفوضى الاخلاق . وعدم الثقة بطاقاتنا ، طاقة لغتنا في الاستعمال والتعلم ، وطاقة حكومتنا في الادارة والحكم، وطاقة ديننا في مسايرة التطور والتقدم . ان وضع حد لكل هذا ليس امرا ثانويا اذ منه يبدا الوجود المعنوي للدولة ، وعليه يقوم هيكلها الخارجي .

ان اللغة العربية هي الرابطة الاولى التي تجمع بين شعوب القومية العربية ، وليس الجنس او الدم العربي . ما هو حظ هذه اللغة في المغرب الذي عملت فرنسا على فرنسته خلال اربعين عاما ؟

واليك الجواب :

في اليوم الثاني لاعلان استقلال المغرب ظن الفرنسيون المقيمون به ان لغة المغرب المستقل ستكون هي العربية ، وانه لا مناص لهم من تعلمها ، فاخذوا يحاولون ذلك بشتى الوسائل . وبعد سنتين اكتشفوا انهم كانوا واهمين ، وان الحكومة المغربية لم تعر مسالة

« التعريب » الاهتمام الذي كانوا يتوقعونه لها في نظرهم باعتبارها قضية وطنية جوهرية ، فعدلوا عن تعلم العربية ، وعن محاولات التكلم بها مع المغاربة . ومرت سنة ثالثة من عهد الاستقلال ازداد فيها سلطان اللغة الفرنسية ونفوذها الفعلي والقانوني في مدارس الدولة وجميع مصالحها ، وارغم الاباء المغاربة من جديد على اعطاء الاولوية في تعليم ابنائهم للفرنسية التي لا تزال دولتها قائمة رغم انف الاستقلال والحرية ، ورغم انف الكفاح الوطني والمقاومة الشعبية واعتقد الكتاب والاساتذة الفرنسيون من جهتهم انهم اكتشفوا حقيقة اخرى عندما قالوا : ان اللغة العربية عاجزة عن ان تكون لغة التعليم في المدارس المغربية ، وانها لا تملأ الفراغ الفكري الذي يشعر به الشباب المغربي كما تملاه اللغة الفرنسية التي لا يستطيع الاستغناء عنها !!!

وجدير بالفرنسيين ان يعتقدوا ذلك واكثر منه، فنحن الذين اعطيناهم الدلائل على صحة ما يعتقدون ! لم نعجز فقط عن تعريب التعليم في المدارس الابتدائية، وتعريب لغة الوزارات والمصالح الحكومية ، بل عجزنا عن تعريب اسماء الشوارع في المدن المغربية العصرية التي يحمل 95 ٪ منها اسماء فرنسية واجنبية ! .

ان الاهتمام باللغة القومية للدولة المستقلة ، وبآدابها وحضارتها وتاريخها ، والاعتزاز بذلك في في المدرسة والبيت والشارع والمسرح والسينما والصحافة والاذاعة ، هو نقطة الانطلاق في السياسة القومية للدولة . ومن مجموع هذه الامجاد يتكون « الاطار الوطني » لهذه السياسة ، فهل وضعنا نحن هذه السياسة لنصوغ اجيالنا الناشئة في قالبها ، ونطبع تربيتهم بطابعها ؟ .

اننا ما دمنا نتكلم بلغة الآخرين ، ونتحدث عن امجادهم ، ونعيش على صناعاتهم ، ونفكر بمنطقهم ، ونخضع لآرائهم ومذاهبهم ، ونعلم اولادنا ليصبحوا صورة — طبق الاصل — منهم فلماذا اذن انفصلنا عنهم ؟ !

لقد اردنا من الاستقلال بناء دولة ، وبعث امة وكما تحتاج الدولة لجيش يحميها ، وشرطة تنظم سيرها ، فانها اشد احتياجا الى لغة قومية تحمي معنويتها الروحية والوطنية ، وتصون وحدة تفكيرها وتوجيهها والى سياسة قومية تنظم احزابها وصحافتها ودعايتها ، وتمنعها من التفكك والاضطراب والفوضى .

واذا كان الشعب المغربي ينكر — كما اسلفنا — الاعتراف بالوطنية الضيقة ، واذا كان التفكير في انتهاج سياسة اسلامية قليل الحظ — لسوء الحظ — في خيال القادة السياسيين ، فان وضع سياسة عربية قومية هو اقرب الاشياء الى رغبة الشعب ، واقرب الاشياء الى سياسة حكومته ، اقرب الاشياء الى رغبة الشعب : لان هذه السياسة لا تتعارض مع عقيدته الدينية ، وتنسجم في الوقت نفسه مع مشاعره الوطنية والتاريخية والروحية واللغوية ، التي تدفعه دفعا للخروج من سجن « الوطنية الاقليمية » « والحدود السياسية » و « الاسرة الصغيرة » ، والانطلاق مع عالم عربي اكثر عددا ، واوسع اوضا ، واعظم ثروة ، واكبر حضارة واشد على المستعمرين مناعة ، وهو اقرب الاشياء الى سياسة حكومته : لان هذه السياسة تقوم على :

1) التحرر الكامل من السيطرة الاستعمارية بجميع اشكالها والوانها .

2) الحياد وعدم التبعية لا للمعسكر الشرقي ولا لمعسكر الغرب .

وكلا المبدأين عنصر اصيل في سياسة القومية العربية اليوم ، بل اصبحا يكونان العقيدة الوطنية لكل الشعوب العربية .

لكن ، عندما تنتابنا الحيرة وقلة الثقة والتردد ، في انتهاج سياسة عربية قومية ، فاننا لا نصنع شيئا اكثر من اعطاء الوقت ، واتاحة الفرص لتسرب المبادىء والمذاهب الاجنبية لافكار اجيالنا الناشئة ، وملء الفراغ الذي تشعر به هذه الاجيال .

ويومئذ سيتحمل الشعب وحده نتائج هذه الحيرة ، يوم يرى اجياله الجديدة تفقد شخصيتها القومية ، واستقلالها الفكري ، لتصبح مختلفة الآراء ، مختلفة المبادىء ، مختلفة الاحزاب ، لانها تعيش عالة على مبادىء الآخرين ولغاتهم وسياساتهم ، وهذا ما رفضه الشعب المغربي المعتز بعروبته واسلامه في الماضي ولن يقبله او يرغم عليه في المستقبل باذن الله .

وحدة المغرب العربي أيضاً :

العناصر الحقيقية لإقليمية المغرب العربي

مهداة إلى أستاذي وشيخي فضيلة السيد المختار السوسي

بقلم: محمد احمد الغربي



عرفت فى الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله الجراة فى العلم ، والاناة فى طلب الحقيقة واستقصاء جوانبها وتتبع مظانها منذ بدات فى الاتصال بانتاجه القيم وتتبع بحوثه الرصينة ، وقد قرات اخيرا ـ بعد عودتي الى المغرب ـ فى العدد الثاني من مجلة (دعوة الحق) الغراء بحثا حقيقا بالاعتبار ، يعالج وحدة المغرب العربي من بعض الجهات ؛ وقد اكد هذا البحث حكمي السابق له واعجابي بجهوده .

واذا كانت بعض الجوانب فى ذلك البحث تستحق من الاهتمام اكثر مما اولاها ، واذا كان بعض الاغراض والدس قد جازا على الكاتب ، فيشفع له فى كل ذلك ان هذا الموضوع يطرق بالعربية لاول مرة ابتغاء لوجه الحقيقة وتقرير الواقع وبدافع لا يتطرق الشك فى نبله ، كما يشفع له ايضا ما ساد البحث من روح الدقة والاتزان وارجاع الافكار الى مصادرها .

وليسمح لي حضرة لكاتب أن اتناول بعض الجوانب من بحثه هذا بالتكملة والشرح والرد ، فقد رايت من الضروري ان يكون ذلك ماثلا للاذهان فى هذا الوقت الذي تطرح فيه قضية وحدة المغرب العربي وتصبح قضية الساعة .

استوقفني العنوان الذي وضعه الكاتب على راس بحثه وهو : **(وحدة المغرب العربي مظاهرها السلالية واللغوية والفكرية)** فالقيت على نفسي سؤالين :

ـ ما الفرق يا ترى بين اللغة وبين المظاهر الفكرية ؟ فالمعروف ان اللغة هي احدى ثلاث عناصر تندرج تحت المظاهر الفكرية وهي الدين واللغة والتاريخ .

ـ ولماذا عنى الكاتب بالمظاهر السلالية والفكرية فقط ، دون التطرق ـ بنفس الاهمية ـ لبقية المظاهر التي هي فى الواقع العمود الفقري لوحدة المغرب العربي ، ان لم تكن الامر الوحيد الذي يميز هذه المنطقة عن العالم العربي والعالم اجمع ؟ بينما المظهران اللذان عمد الى شرحهما واعطائهما السبق والعناية ، يضيعان على المغرب العربي شخصيته الاقليمية ، ويجعلانه حتما جزءا من كل ، لا كلا مستقلا .

ويظهر ان الكاتب قد فطن لهذا النقص فى آخر لحظة ، فوجد ان عليه ان يمر مرا عابرا على بقية المظاهر ـ اهم المظاهر ـ ويجعلها خاتمة لبحثه لا اصلا له ونقطة انطلاق فيه .

هل المغرب قطعة من افريقيا ؟

ما اعتقد ان الكاتب الكريم ـ وهو الذي تتبع البحوث الجيولوجية المتعلقة بالمغرب والم بالتاريخ المغربي ـ

يقر نفسه على مثل هذه الفقرة التي وردت في مستهل بحثه (**سنستعرض بحول الله في هذا البحث المجالي المختلفة لهذه الوحدة التي تجعل من المغرب العربي قطعة متراصة من القارة الافريقية**) . لان المغرب العربي ليس جزءا من افريقيا لا من الوجهة الطبيعية الجيولوجية والتعريبية والحياتية ولا من الوجهة البشرية ، على الرغم من التصاقه بتلك القارة ووقوعه في القرنة الشمالية الغربية منها ، مثله مثل جزيرة مدغشقر التي تعتبر قطعة من الهند – عمليا – والقطب الجنوبي الذي يدرس مع جبال الانوس في جنوب امريكا .

وان جبال افريقيا الغربية والوسطى تنتسب لحركة (**القارة الصحراوية**) او **الحركات الكبارية والكونديلونفو والوالا بالويبيلاش** بينما جبال المغرب سواء القديمة منها (**الهرسينية**) او الحديثة (**جبال الاطلس**) تنتسب لحركات اخرى سادت في اوربا الجنوبية وآسيا الغربية ، وهي الحركات الهرسينية والبرينية والالبية ؛ والمعروف ايضا ان المغرب كان في الازمنة الثانية جزرا صغيرة منتشرة في بحر (**تيتيس**) القديم ، ثم نهضت جباله مع جبال لبنان ومصر في زمن (البليوسين) ، وكان في ذلك الوقت متصلا باوربا وآسيا عن طريق القارة (**التربنية**) التي كانت توجد في غرب البحر الابيض المتوسط، ثم عن طريق جبل طارق وصقلية ونوبة مصر ؛ ولاسباب معينة انفصل المغرب نهائيا عن اوربا ، والتصق بافريقيا ، واصبحت الصحراء المصرية جسرا يصله بآسيا .

وهكذا فاننا نرى انه حتى من الوجهة الجيولوجية – التضريسية – اذا قطعنا النظر عن الناحية الحضارية والجنسية – يمكن اعتبار **بلاد المغرب قطعة من آسيا الغربية لامن افريقيا** . ويكاد المتجول في جبل صنين او الباروك او الدروز في لبنان ، يخال نفسه في جهات طبقال او العياشي او سيروة ، ولا يكاد الفلاح الذي يصل بمحراثه حتى البحر في سهل عكار ويافا ومصر يختلف عن فلاح الشاوية ودكالة وسوس ، وقديما كان المؤرخون يسمون هذا السهل الاخير : **بمصر الصغرى.**

القومية الترابية :

لقد فضح الاستاذ الكاتب دس مؤرخي ومستشرقي الغرب الذين ارادوا ان يثبتوا – لغاية لا تخفى – ان الشعب العربي والبربري (!) قد تطورا خارج الاطار الجغرافي ، وايدوا ذلك بشيوع النظام القبلي العشيري عندهما وعدم وجود روابط قانونية ودينية تربطهما بالوطن . وليس من شك في ان تعلق العربي بارضه وداره لم يضعفهما تشيعه العاطفي وعصبيته العشيرية، وكان المغاربة القدماء الذين نزحوا الى المغرب – كما سيمر معنا – من حضرموت وسوريا وصور ، اصحاب حضارة زراعية راقية تقوم على مبدا الاستقرار ، وانما هي ظروف معينة اقتضت ان يلجاوا الى الجبال والصحاري ، ويبتعدوا عن السهول التي كانت مهددة بالغزو الفنيقي والقرطاجي والروماني وخاصة الغزو الوندالي الوحشي ، فضاقت احوالهم المعاشية ، واضطروا للتكيف ، واصبحوا نصف رحل يبتعدون عن بيوتهم الجبلية في الشتاء ، او رحلا يضربون في الصحراء .

فقضية الحركة والظعن التي بنى عليها بعض العلماء نظرياتهم – **وضعية صنعية** جديدة اقتضتها احوال طارئة ، هذه الاحوال نفسها عاشها (**البيغمة**) او اقزام افريقيا عندما هاجمهم الحاميون فانقلبوا من رعاة الى بدائيين ؛ وتعرض لها شعب (**البانتو**) الحامي عندما اجتاحته شعوب اكثر منه عددا واحكم تنظيما من شرق افريقيا ، كما عرفتها بلاد العرب بعد ان تحول عنها المناخ الملائم واستحالت من جنات عن يمين وشمال الى قفر ومحل . . .

فالاسباب المناخية في الجزيرة العربية ، والتاريخية في افريقيا والمغرب هي التي خلقت نمط الحياة المتنقلة المضطربة ، فاوجد ذلك انفصالا ظاهريا ؛ فمن الخطل اذا وصف العرب ، في المشرق والمغرب بانهم (**غجر**) لا علاقة لهم بالارض ، ولا يشعرون بالحنين اليها ، واننا لنجد التأييد القوي لهذا في الشعر العربي القديم وفي الاغاني الشعبية البربرية؛ وكيف لا يلصق العربي بالتراب، وهو الذي يقدم له الرزق ، ويحفظ له رفات آبائه واجداده ، ويضع بين يديه مواد مسكنه وملجئه ، وما يمنعه – كما يقول الاستاذ ابن عبد الله – ان ينطلق في هذه الارض التي يعتبرها كلها وطنه لا ينازعه فيها احد .

وحدة اقليمية جغرافية لا عرقية تاريخية :

ان الارض المغربية : الجبال والهضاب والسهول ، الانهار والوديان والبخات ، البحار والخلجان والشطآن، **هي هيكل شخصية المغرب** والعنصر الاول في وحدته الاقليمية الخاصة ؛ وكما وجدنا المغاربة متعلقين بارضهم تعلق المعترف بالجميل ، ومتشبثين بها تشبث المتيم الغيور ، نرى هذه الارض نفسها لحمة واحدة ومنظرا متسقا لا تنافر فيه ولا اختلاف .

فالاطلس العالي يمتد من راس «غير» الى راس الطيب بتونس ، واذا اختلفت اسماؤه محليا من الاطلس الكبير فى المغرب الى الاطلس الصحراوي فى الجزائر الى الضهرة فى تونس ، فهو يضم جبالا من عمر واحد وخصائص متماثلة ويقوم فى مجموعه **بنفس الدور الجغرافي المناخي** ، يمنع الرياح الحارة القادمة من الجنوب ، ويكثف الرياح الماطرة القادمة من الشمال ويسمح فى كل مكان بقيام حياة على نمط واحد على سفحيه .

وتتواكب الجبال مرة اخرى فى شمال بلاد المغرب من راس **سبرطل** حتى الراس **الابيض** بتونس ، وتاخذ تسميات كثيرة (الريف ، الضهرة ، الخمير ..) ولكنها تمثل مرة اخرى ادوارا متشابهة تطبع المحيط الجغرافي بطابع متناسق .

اما **الهضاب** والسهول فهي تنحصر بين الجبال او بين هذه وبين البحر ، واذا اختلفت فى اتساعها من الشرق الى الغرب فهي اوسع سهول بلاد العرب المنتجة واغناها واكثفها بالسكان ، وهي مسرح يمثل عليه اسلوب واحد من الحياة النباتية والبشرية ؛ وبينما تاوي الجبال المغربية من سنطلق عليهم **(العرب القدماء)** فان **(العرب الجدد)** ينتشرون فى السهول ، وتسود فى الاولى الغابات المتنوعة الوسيعة ومساقط المياه وحياة الرعي والزراعات الصيفية ، تسود فى السهول المزروعات الفصلية والاشجار المثمرة والانهار المتشدة والحياة المستقرة .

وهناك خاصة فى المغرب الكبير كله ، وهي ان الاطلس العالي يكون دائما الفاصل بين **الانهار** الحقيقية التي تتجه نحو البحار ، وبين الوديان التي تجتذبها الخفوس الصحراوية فى الجنوب . والانهار فى المغرب كله حقيقة ضخمة ، وتعد **اكثف شبكة فى بلاد العرب كلها** ، ومن خواصها الفوارق البينة فى الغزارة ، المتراوحة بين النضوب والفيضان ، ثم الاخطار التي تتعرض لها السدود والخزانات تبعا لهذه النزوات الفصلية ؛ فهذه الانهار — اذا — مرآة للمؤثرات المناخية الروحية .

واذا كان من الصعب ايجاد حدود شبه طبيعية لاقطار المغرب ، تمشيا مع الانفصال السياسي الظاهري الذي بدا فى فترات من التاريخ ، فان الصعوبة الاولى فى هذا المجال تضعها انهار المغرب عينها ؛ **فحدود اقليم تونس يجب ان تبدا من منابع (المجردة)** داخل الجزائر، وحدود هذه الاخيرة من جهة الغرب يقتضي المنطق العلمي ان **تساير الضفة اليمنى لنهر الملوية** ، والحقيقة ان الجغرافيين لم يجدوا بدا من اخذ هذين الحدين بعين الاعتبار عند دراستهم الاقليمية التفصيلية لبلاد المغرب العربي ، على الرغم من ان هذه الخطة تصرف النظر عن الاوضاع السياسية التاريخية المحلية .

واما **«الوديان»** فى الشمال الافريقي فهي نسيج وحدها : انحفرت فى ازمنة مطيرة قديمة ولم يبق من مياهها «التاريخية» سوى خيوط عكرة ، تختال فى فترات قصيرة من السنة ، لتسمح بزراعة النخيل والتوطن الفصلي ؛ واننا لانجد اي اختلاف فى هذه الظروف بين وادي **الزرود** فى تونس **والجدى** فى الجزائر **ودرعة** او الزيز فى المغرب .

واما **الحياة فى الواحات المغربية** فهي مظهر لضمور حضارة زراعية راقية سابقة ، ولا يمكن ان نفترض — كما جاء فى مقال الكاتب — ان هذه النخل فى المعاش هي شكل مصغر يعكس ما كانت عليه صحراؤنا من خصب واخضرار ، وان الطرائق المتبعة فى الزراعة هناك اصلية وشاهدة ... لان الاحوال المناخية المساعدة التي اكد عليها جغرافيو الغرب وايدها الكاتب، قد سادت ولا شك قبل عشرات آلاف السنين على الاقل ، ومن جهة اخرى فان سكان هذه المناطق طرؤوا من الشمال والجنوب منذ ازمنة تاريخية معروفة وفى ظروف معينة ، وحملوا معهم اساليبهم الزراعية وبعض البذور والحيوان .

واذا نظرنا الى **واجهات المغرب البحرية** الشرقية والشمالية الغربية ، تبرز امامنا اهمية الموقع الذي احتلته هذه البلاد فى العالم القديم والحديث على السواء ، فعلى سواحل البحر الابيض المتوسط نشات حضارة تالقت فى القديم ، بينما يشهد المحيط الاطلسي اليوم تطور حضارة حديثة مادية جبارة ، وهذان الامران فرضا على بلادنا ان تكون همزة وصل بين حضارتي الفكر والمادة ، بين بلاد تنتج المواد الخام وبلاد تصنعها ، بين منطقة التصريف الكبرى (آسيا وافريقيا) ومنطقة الانتاج الكبرى (اروبا وامريكا) بين الاقطار المتسلطة الجشعة والضعيفة المغلوبة ، وان هذا الموقع الفريد يوضح خطوطا عريضة فى التاريخ المغربي ، فهذه البلاد كانت الخط الامامي فى الدفاع عن العالم الشرقي الاسلامي منذ بدا الحماس الديني الاروبي ، وتبلورت اطماع الدول الحديثة .

وهكذا فان وحدة الطبيعة فى المغرب وتماثل مظاهرها المختلفة ، والانفراد بموقع ممتاز ، هي التي يمكن ان تحمل على التسليم بوجود شخصية اقليمية له بالنسبة لبقية الوحدات الاقليمية فى بلاد العرب ، وما من شك فى ان هذه الشخصية الاقليمية نفسها اوجدت انفصالا ظاهريا فى التطور التاريخي ، ولكن هذا الانفصال لم يكن فى وقت من الاوقات تاما او نهائيا فمهما تكن الفواصل بين المشرق والمغرب قوية ومانعة، تبقى دون قوة ومناعة مثيلاتها بين المغرب واوروبا او بينه وبين الصحراء .

وهنا يجب ان نتوقف قليلا لنرى هل يمكن اعتبار هذه الظروف التاريخية عنصرا فى وحدة بلادنا وذاتيتها تبقى دون قوة ومناعة مثيلاتها بين الغرب واوروبا او بينه وبين الصحراء .

«العنصر» البربري بين مؤرخي العرب ومؤرخي اوروبا :

يجب ان ندرك اولا ان شواهد تاريخية لا يتطرق اليها الضعف ، وان الدراسات الغربية نفسها تقوم مؤيدة لفكرة اعمار المغرب من الشرق لا من جهة اخرى .

يقول ابن خلدون فى الجزء السادس من تاريخه :

« ان افريقش قيس بن صفي من ملوك التبابعة ، لما غزا المغرب وافريقيا ، وقف الملك جرجيس وبنى المدن والامصار باسمه ، ولما راى هذا الجيل من الاعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها ، عجب من ذلك وقال ما **اكثر بربرتكم** ، فسموا بالبربر ، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الاصوات غير المفهومة ومنه يقال : بربر الاسد اذا زار باصوات غير مفهومة» .

وينقل ابن خلدون كثيرا من الروايات عمن سبقوه من اشاهير المؤرخين **كالبكري والمسعودي والطبري** ، وعن **نسابة البربر** ، وهم جميعا لا يختلفون فى ان البربر من المشرق ، ومن اليمن على وجه الخصوص بل فى تحديد طرق انتقالهم ومراحل هذا الانتقال وفى اية ظروف سياسية تاريخية حدث ذلك.

وان اقدم الروايات تعلل عبور البربر بالرغبة فى **(اعمار)** هذه البلاد الفتية ، فقد جاءت قبائل بقضها وقضيضها من اليمن مباشرة عن طريق القرن الافريقي ودلتا النيل ، او من اليمن بعد ان عرجت على الشام وبلاد فلسطين ومصر ، ولم يرد فى اي كتاب قديم او اية رواية قديمة ما يشير الى غزو بشري بقصد التعمير والاستقرار جاء الى هذه البلاد من اوروبا او غرب افريقيا ، فقد حمى البحر الابيض المتوسط هذه البلاد من الهجرات الشمالية ، كما قامت الصحراء عقبة فى طريق اي تدفق بشري من الجنوب ، والطريق الطبيعي لاعمار المغرب هو المشرق **عبر مصر ومضيق بيسكرة وتازة** ، وليس فى الشرق منبع اقرب من الجزيرة العربية التي يطفح تاريخها بهجرات متواترة ؛ فمصر استقبلت هجرة **الهكسوس** (الشاسو) من الشرق والذين اجتذبتهم دلتا النيل الخصيبة ، وان سيماء وملابس بعض الاسر من بين هؤلاء تشبه تماما سيماء وملابس البربر الحاليين ، ثم ان جميع الغزوات البشرية التي انهالت على مصر وشرق افريقيا كانت تطرد نحو الغرب ، وهناك صورة ترجع الى الاسرة المصرية الاولى 3.400 ق م) تمثل الفرعون (سن) وهو يستعرض النازحين عبر برزخ السويس ووجوههم متجهة نحو النيل ، كما توجد لوحة اخرى تمثل الفرعون (احمس) وترجع الى عام 1580 ق م ، فى وضعية مماثلة للوضعية الاولى .

*

ويعتبر القرن التاسع عشر حاسما فى قلب الروح التي سادت الدراسات المعنية بهذا الموضوع ، فقد ظهر كتاب ومؤرخون وعلماء انتروبولوجيون ، اندفعوا فى دراسات ارادوا بها ان تخدم اغراضا معينة اكثر مما تخدم العلم ، وفى مقدمة هؤلاء العالمان **شانتر** Chantre **وبرتلون** Berthelon اللذان قاما بدراسات لسكان الاطلس والقبائل فى الجزائر وسكان جنوب تونس وهضبة الخمير، فقاسا الجماجم والدقون والانوف ، ولاحظا طول القامة وشكل الشعور ونوع العقلية ، ولم يستطيعا ان يصلا الى تقرير شيء موافق للواقع فى موضوع تبعية سكان المغرب الاقدمين لاجناس تعيش فى شمال البحر الابيض المتوسط .

واولى المبادىء التي انتهيا اليها ان الصفات المميزة للجنس البربري هي : « انف مفلطح ووجه مستقيم واختلاف كبير فى الاشكال » . وحسب القواعد الانتروبولوجية لا يمكن اتخاذ هذه القياسات كتحديد لجنس ما ، بل ان صفة الشعور والقامة وطول الجماجم هي القرائن المحددة والعازلة .

ان ذلك يدل ــ مبدئيا ــ على ما صادفاه جملة وصادفه غيرهم من الصعوبات فى اثبات نسبة البربر

الى اقوام اوربية معينة ؛ وان هذه الصعوبات طحت بهم الى افتراض وجود **(فصائل) بشرية اروبية** انقرضت الآن تماما وتوجد بعض هياكلها في المتاحف. واولى هذه الافتراضات هي ان اقدام سكان المغرب الذين عاشوا في العصر **(الشيلي** Chelléen) هم من فصيلة انسان **نياندرتال** الاوروبي ، ثم جاءت اجناس اخرى في العصر **(الموسيتري** : Mustirien).

واذا ناقشنا هذه الفرضية نجد ان بعض **القرائن الفيزيولوجية** هي التي دفعت بهما الى تقريب تلك النسبة ، ولكن لماذا لا تنقلب الآية وتكون تلك الشعوب الاروبية القديمة هي التي تزودت من المغرب بالبشر ؟ .

ويستمر العالمان في دراستهما ، فيفترضان مرة اخرى ان الاجناس التي عاشت في المغرب بعد ذلك كانت ذات بشرة سوداء وشفاه غليظة وهيكل ثقيل ومنخرين عريضين وذكاء محدود ، وقد وجدا (!) ان بعض هذه الصفات اتصف بها انسان **(غاريمالدي)** الذي عاش في جنوب اروبا منذ عشرة آلاف سنة .

وربما يجد القاري صعوبة شديدة في التسليم بهذه الفرضية ، خاصة وان العالمين يقرران ان هذه المجموعة البشرية الاخيرة قدمت للمغرب من اروبا ، وكيف يمكن هضم ذلك ما لم نفترض — من جهتنا — ان خط الاستواء كان يمر آنذاك من باريس (!) .

ثم يلتمس العالمان تدعيما ثالثا انطوت عليه نفساهما ، فيسلمان — بدون مقدمات — بان الموجة الليبية (اللوبية) التي اجتاحت اروبا والمغرب في عام 1.500 ق م ، والتي تتميز بصفات **كردية شرقية** اثرت في خصائص الجنس البربري ، قد قدمت للمغرب ايضا عن طريق جبل طارق .

واذا عرفنا ان دولا راقية كانت تعيش في اليمن في ذلك الوقت بالذات وتبسط سلطانها على افريقيا الشرقية حتى بحيرة تشاد ؛ وان هجرات معروفة في التاريخ كانت تغادر اليمن نحو الشمال والغرب آنذاك وان مركز طفرة تلك الاقوام اللوبية وطرق انتقالهم غير معروفين لدى الباحثين الاروبيين انفسهم ، وان الخصائص الشرقية لا يمكن تجاهلها عند تلك الاقوام ، وان آثارها بارزة في برابرة المغرب قاطبة ؛ وان حضارة القرطاجنيين الشرقيين **(البونيقية)** قد انتشرت بسرعة عجيبة بعد قدوم اللوبيين بثلاثة قرون فقط (من 12 ق م) لتبقى الف عام كامل على الرغم مما هددها من عوامل الفناء ... اذا عرفنا كل ذلك نكون قد وجدنا تأييدا علميا حقيقيا لما اورده ابن خلدون وقبله البكري والمسعودي ...

وانه لما يدل على مبلغ الاستهانة بروح الدقة والحقيقة في البحث ، ان العالمين الفرنسيين اللذين تاثر بهما جميع الجغرافيين الذين كتبوا في موضوع البربر ، قد حاولا ان يجدا **مخرجا (معينا)** ، فساقا نتيجة نهائية جامعة لبحثهما المستفيض ، لم تطابق فيها المعطيات المقدمات كما يقول علماء الكلام ، وانني اترك هذه النتيجة للقاريء ليكتشف بنفسه الاغراض المقصود الذي كان رائد جميع المؤرخين الذين كتبوا تاريخنا في حقب متاخرة :

فقد توصل العالمان (بقدرة قادر) الى ان البربر في المغرب جنس خاص منفصل ، ولا شك في ارومته الاروبية الشمالية ، ويمكن ان يقسم بصفة عامة الى نوعين :

النوع الاول : (المنحدر من الشعوب الاسكندنافية !) ويضم ذوي الجماجم المستطيلة (Dolichocéphale والقامة المتوسطة (160) والشعر الاسود (!) والانف المتوسط الحجم الذي ليس بالمفلطح ولا بالدقيق المنخرين ، ويدخل في هذا النوع ذوو الجماجم الطويلة والقامة القصيرة والشعر الاشقر والانف الصغير المنخرين .

النوع الثاني : (المنحدر من العائلة الكردية والقادم من آسيا الغربية عن طريق اوروبا !) يمتاز بالجماجم المستديرة Brachycéphale والقامة القصيرة والمنخرين الصغيرين .

اما كيف اخترع العالمان هذه القياسات الكثيرة رغم ان تجرباتهما تناولت قرائن ثانوية فقط ، وكيف امكن للرجل الاسكندناقي ان يكون اسود الشعر قصير القامة ، وكيف الح الاكراد الا ياتوا المغرب الا عن طريق اوروبا ، فعلم ذلك عند الله وعند العالمين المذكورين وعند الجنرال بوجووجول فيري والماريشال ليوطي ...

وبعد فاذا كان البرابرة الذين يتكلمون لغة خاصة بهم لا يوجدون الا في هذه البلاد ، فان ذلك لا يمكن ان يحسب خاصة مميزة لها ومدعاة لاستقلالها

الاقليمي ، لان البربر كما رأينا يمتون بصلات الدم لبني العرب الجدد ، فهم **(طائفة من السكان)** لا جنسا منفصلا ، **والعزلة** — كما رأينا — هي التي شقت عندهم طريقا غير الطريق الذي تطورت فيه لغة العرب في الجزيرة العربية والهلال الخصيب ومصر ، واستنادا الى ما اورده جميع مؤرخي العرب ولم يستطع زملاؤهم الاوروبيون ان يقيموا دليلا موضوعيا على عكسه : يجب ان تكون اللغة البربرية هي **مظهر متطور للحرية القديمة** وفق نسق خاص ، وبالفعل وجدت اثباتات كثيرة على التشابه الاكيد الموجود بين اللغة البربرية (وخاصة **التاشلحيت**) وبين لغة اقليم **((مهرة))** في غرب سلطنة مسقط ، وبينها وبين كل من لهجة **النوبيسي** (الاقباط) في جنوب مصر ولغة الحبشة **(الامهرية)** ، وقد اقر بذلك التشابه **كوتي** نفسه حين لمس تقاربا عجيبا بين لهجتي **لواتة والاقباط**، كما اكد آخرون وجود تشابه جوهري في هذا المجال بين **صنهاجة وكتامة** من جهة **وحمير** من جهة اخرى .

هذا من جهة اللغة اما **العادات والتقاليد** فعلى تباعد الزمن والانفصال في التطور الاجتماعي ، فان عوائد البربر يوجد ما يقابلها عند سكان حضر موت ومهرة ، من ذلك حلاقة الراس مع ترك ظفيرة (قرن) او قطع غير حليقة (عرف) والاهتمام بالعمامة الداكنة المفتولة ولبس القصير من الثياب وتقلد الخنجر القصير المعقوف ، والعناية بكسوة الفرس وسكنى بيوت القش او بناء بيوت حجرية ذات طوابع متعددة ونوافذ بيضاء (القصور) والاكثار من البهار في الطعام والتعلق بشرب القهوة (في الجزائر خاصة) وامتهان التجارة ، وحب التنقل والسفر ، والتضامن ، وحب المال ، والاعتقاد بالغيبيات والسحر والارواح ، ويتجلى التماثل ايضا في المظاهر الاجتماعية الخارجية كالرقص والغناء وادوات الغناء والعاب الفروسية والاحتفال بالزواج والموت والحصاد والامطار .. الخ .

مؤامرتان اخريان على التاريخ المغربي :

ان تفكيك عرى حضارة ما وعزل اواصرها ، والتاكيد على بعض عناصرها دون الاخرى ، هو اكبر مؤامرة عليها ؛ واذا زاول بعض المؤرخين ذلك ، فهم معذورون كثيرا لانه قد افزعهم حقا وجود تاريخ عربي متناسق الفصول متجاوب الاحداث منذ الهند حتى المحيط الاطلسي ، فحملوا الاقلام وكتبوا تاريخا عجيبا تحف به الموضوعية الصنعية **والامانة الكاذبة** .

ولعل من حق مؤرخي المغرب او من واجبهم ان يتساءلوا لماذا يلح زملاؤهم الغربيون على افراغ مكان بارز للادوار السياسية التي لعبها البربر في المغرب الاسلامي وفي مقدمتهم **طيراس** ؟ او على الاخص لماذا يميزون تاريخين للمغرب المسلم لا تاريخا واحدا ؟ ولماذاهدت قريحةبعض «المؤرخين» الى اخراج دراسات عن «سوريا» تتحدث عن **(الحكم الحجازي في الشام)** وعن تاثر بلاد فارس والهند **بالحضارة العراقية** (اي العباسية) وعن تاثر **بني زيري** في المغرب بالطابع العراقي في البناء والفارسي في زخرفة الاواني (كما نقل الكاتب عن **بيلي**) ؟ ولماذا يلح طيراس بان تاريخ المغرب الحديث الحقيقي يبتدىء مع النهضة البربرية في العهد المرابطي والموحدي وان **امغار الكومي** (اي عبد المومن) هو اول رجل وحد المغرب تحت سلطة سياسية مركزية ؟ .

وعليه فاني في هذا المجال اؤيد بحرارة الاستاذ **عبد الكريم غلاب** في دعوته كاتبنا المحترم الى الهروب قليلا من بين سطور المراجع ، وازيد بان ذلك ضروري لتنظيف تاريخنا من انحرافات جوهرية لا تخدمه بل تسيء اليه ، واظن ان الكاتب لو فعل ذلك لكان كفى نفسه مؤونة ايراد هذه الفقرة في بحثه على سبيل الاعتذار « وقد يلاحظ انني **لم اميز في بحثي هذا بين العرب والبربر** ، وقد فعلت ذلك عن قصد لان هذا الميز يكاد يكون غير موجود سواء اعتبرنا الارومة العربية تبعا لراي كثير من علماء النسب او اعتبرنا **الوحدة الطارئة** اثر التوالد والامتزاج بين «الجنسين» او مظاهر **الوحدة الاجتماعية** والفكرية او غير ذلك» ولكن هل سيلاحظ القارىء ان الكاتب لم يفرق بالفعل بين العرب والبربر ؟ الجواب باختصار : **كلا** . فهو قد «استعرض من خلال قبائل **زناتة** (!) الدور الذي قامت به العوامل السلالية في تكوين المغرب العربي » ثم انتقل الى تبسيط الكلام عن **((البتر))** الذين لعبوا دورا هاما في بداية تاريخ المغرب العربي » و « الذين اتسموا باهمية كبرى في توجيه التاريخ » حيث « صار الحكم في المغرب العربي الى البربر المسلمين طوال عدة قرون » .. وبعد ان ينتهي من تفصيل الدور الذي اضطلعت به مختلف الافخاذ البربرية يورد اعتذاره السابق ثم ينتقل الى التحدث عن العرب على حدة ، وينساق مع مؤرخي الغرب فيخص الاعراب **الهلاليين** وعرب **الاندلس** بموفور اهتمامه .

واعتقد من جهة اخرى ان **(الوحدة الطارئة)** و **(الوحدة الاجتماعية)** الواردتين في البحث لا يمكن

تمطيطهما كثيرا ، فتأثيرهما على كل من العرب والبربر يبقى تأثيرا **خارجيا سطحيـا** ، كما لا يمكن الزج بهما فى بحوث جنسية ، فما لوحظ من التشابه الجسماني بين العنصرين ليس للاثنى عشر قرنا الاخيرة على ما رافقها من زواج وتساكن ، وليس للتوسع القرطاجي والحضارة البونيقية اية يد فيـه ، فهو قديم قـدم العرب والبربر واصيل ثابت راسخ ...

اما **المؤامرة الثانية** على تاريخنا فهي الدور الكبير الذي اسند الى **الحضارة البونيقية** .

فلقد استغرب جميع مؤرخي واجتماعيي الغرب (وفى مقدمتهم **كوتيه وروتان**) من السرعة التي تلقف بها البربر حضارة العرب المسلمين ، ولم يلبثـوا — كعادتهم — ان وجدوا (خاتم سليمـان) والحلقـة المفقودة فيما دعوه بالحضارة البونيقيـة حتى يبعدوا الاذهان عن اية رابطة قديمة بيـن البربـر والعرب ، وحتى لا يبتعدوا كثيرا عن المنطق والمعقول .. ولكن..

يحدثنا التاريخ ان القرطاجنيين — كالفنيقيين — كانوا اناس تجارة ومال ، فلازموا السواحل المغربيـة وبنوا فيها ((**مستعمرات تجارية**)) ولم يحتكوا بالسكان على نطاق واسع كما فعل الرومان مثلا ، وقـد جاء فى كتابات **كزيـل** كما نقلها الكاتب « ان قرطاجة لم تبذل جهودا منظمة لادماج المغرب ولم تستعمر البادية المغربية مثل روما .. » فكيف تمكن (الدم) القرطاجي من الامتزاج بالدم البربري اذا ؟ ولماذا احتفظ البربر بعادات القرطاجيين (التي ذكرها الكاتب) حتى بعـد انقراض امرهم ، بينما لفظوا بقية العادات وزهـدوا فيها ؟ ولماذا اسس القرطاجيون دولتهم فى تونس ولـم يؤسسوها فى انجلترا مثلا علـى الرغم من ان هـذه الاخيرة اشد بعدا عن الخطر الفنيقي الجاثم فى ساحل لبنان ؟ ثم كيف نصدق ما قاله (**بروكوب**) من ان البادية المغربية كانت تتكلم اللغة البونيقية مـع العلم بـان القرطاجيين لم يتغلغلوا اليها ولم يعرفوها ؟ .

ان المخرج الوحيد من هذه الحيثيات هي التسليم مبدئيا بأن القرطاجيين الذين قدموا المغرب فى القـرن الثاني عشر قبل الميلاد ، والبربر الذين نزحوا اليـه فى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، هم من **لحمـة واحدة** وارومة مشتركـة .

وامـا بعـد ......

فمن كل ذلك تظهر اهمية وضرورة **اعادة كتابة تاريخ المغرب** بروح جديدة تصدر عن حق وتنبـع من الكيان القومي ، واحرى بالاستاذ ابن عبد الله ان يسبق غيره — وقد فعل — الى ذلك لبواعث كثيرة ، ولكن ليسمح لي ان اطلب ان يكون سيء الظن قليلا بما يقرا واقل اطمئنانا الى ما يكتب ؛ فاعتبار **المولى ادريس مثلا فاتحا اجنبيا** تشبيها له بالقواد الرومان والوندال ، او التحدث عن (**لعرف والشرع**) كشيء مقرر وضعي يلبي رغبة ارادية عند سكان المغـرب او اقرار المؤرخين الغربيين على زعمهم بأن **الفقه المالكي** ينتشر فى نصف المغرب العربي فقط وانه لم يقع مطلقا اي « صراع » بين الفقه المالكي والعرف ... كل هذه الاشياء وغيرها لا يمكن ان يقبلها كاتب مؤرخ عربـي كالاستاذ ابن عبد الله ..

واظن ان الاستاذ قد اقتنع بعض الاقتناع بـان الوحدة المغربيـة يجب ان نفتش عليها فى مجال غيـر المجال الجنسي او الفكري ، بل فى عناصر جغرافيـة اقليمية ؛ فكما ان هناك فروقا محلية بيـن الشام ومصر وبين العراق واليمن ، فان هاتيـك الفـروق توجد ايضا بين الوحدات الاقليمية المذكـورة وبيـن المغرب العربي .

فبلادنا المغربية الكبيرة تمتاز بموقعهام ومناظر جغرافية وظروف اجتماعية خاصة الى حد مـا . وان الوحدة المغربية تتطلبها اليوم ظروف مستعجلة واحتياجات طارئة اكثر مما تدعو اليها مقومات اصلية او نداء قومي ، ويجب ان نشبه الدور الذي سيلعبـه المغرب العربي بالآلة الموسيقية التي يجب ان تعـزف مع الآلات الاخرى (**سانفونية الوجود العربي**) .

وما احب الى نفسي ان اختم هذا التعقيب بفقرة من بحث الاستاذ ابـن عبد الله تنم عن روح وثابـة وذهنية موضوعية : « وهذه الوحدة الخاصة التـي تجعل من المغرب العربي وصحرائه كتلة مـن جميـع الوجوه ، لا تتنافى مع الوحدة العامة التي تربط المغرب بالعالم العربي ، والتي تتجلى مظاهرها فى وحدة اللغة والدين والعواطف وكذلك التاريخ » .

اللغة العربية في المغرب

للأستاذ عبد الله الجراري

- 2 -

اذا تعمقنا في ادب هذه الفترات المغربية الاولى قد لا نجد امنيتنا الغالية من الناحية الادبية حيث ان لحظاتها كانت لحظات اشتغل فيها رجال الاصلاح بنشر الدعوة الاسلامية وبث روحها في الوسط البربري الذي كانت غايته الشريفة آن ذاك تنسم اريج الحرية الاسلامية والانطلاق الانساني في مسارح الرسالة الخالدة والتعرف على مقاصدها الصالحة لحياتهم الاجتماعية دون ان تحدثهم نفوسهم الابية بخوض غمار الادب وفنونه في المستوى العالي — لذا نجد تلك الفترات هزيلة في هذه النواحي الرقيقة رغم ما لها من محامد طيبة على سائر الثقافات ان لم تكن في مقدمتها .

ولكن المحور البربري المصافح للدين الجديد والمعتنق لتعاليمه الرشيدة ابى على كتله المؤمنة ان تفكر في سوى ما يدنيها من الخالق جلت عظمته في اتجاه وجد روحهما الاخلاص لرب العزة ، واعان على هذه الظاهرة فقدان نظام دراسي يحيط تلك الثقافات بهالة من الترتيبات تتسع لوضعها الحركات الفكرية في مقام يتفق وذهنية المغربي الواعي بفطرته ، والقدير بذكائه على التطور السريع لو يجد مرتعا للتوجيه يسعفه على ابراز العبقرية من نفسه الوثابة .

نعم اذا ما تخطينا هذه الفترات وغامرنا في البحث من اعلى شرفات الفن تشع علينا بدون شك انوار القرن الخامس ومسايرة فنونه بالرغم من سيطرة فقهاء الدولة وعرقلة الحركات الفلسفية والعقلية وما يمت اليهما بسبب كالآداب الحية النيرة.

فان غلاة الفقه الاسلامي ورجال تحكيم جزئياته الضيقة في الاوساط الشعبية المغربية الذين كانوا يقفون حجر عثرة ضد كل تفكير حر يسمو بابناء البلاد للترفع عن اجواء التقليد وعدم الرضى برسوم سطحية يقضي فيها على معنوية الناشئين من ابناء المغرب — فهذا كتاب — احياء علوم الدين للغزالي وقتما ظهر بالمغرب قامت دولة الفقهاء في عهد لمتونة بمقاومته وتوعد كل من خاض في مناحيه الاربعة وتعاطى قراءته ودراسته وهو قدر يكفي للاستدلال على انكماش الفقهاء لذلكم العهد البعيد على معلوماتهم الجافة وعدم اتساع عقليتهم لاشعاعها الفلقي بكل ما يحمله من آيات واسرار لا يخلو منها كتاب الاحياء المشبع بنور التشريع الحي وفلسفته المشرقة التي لا تعتم تنير السبيل لقرائه وتساعد المغربي المؤمن ليسير بخطى ثابتة في محجة بيضاء نقية .

نراه يمني من جانب تلك الفئة المتفقهة وطوائفها الاضيق تفكيرا في تعاليم الاسلام — بالحرق والابادة (على ما نقله المراكشي في المعجب) .

وتلك جناية كبرى تصاب بها معلمة من معلمات التشريع الاسلامي قصد اخماد مشعلها الوضاء في مهده الباكر .

ومع هذا فلم تعدم الحركة الفكرية عباقرة من ابناء المغرب طبعوا على محبة الفن وقوله ولو في دوائر ضيقة كانت لهم فيها جولات ادبية في الابيات والقطع يهيبون فيها احيانا بالشباب ودولته لركوب متن البسيطة رغبة في تكسب العلم وتهذيب النفس وتحريرها من نير الفقر الفكري وعقم الراي بالفاظ جوفاء اكل الدهر عليها وشرب لا تكاد تحرك قلبا ولا توقظ ضميرا — ومن هذا الرعيل الحي في اطاره — الشيخ ابو جبل يعلى دفين باب يصليتن من فاس المتوفى سنة 503 هجرية قال في الحث على السفر :

سافر لتكسب في الاسفار فائدة
فرب فائدة تلقي مع السفر

ولا تقم بمكان لا تصيب به
نصحا ولا كنت بين الظل والشجر

فان موسى كليم الله اوعزه
علم تكسبه في صحبة الخضر

فالابيات وان لم يكن عليها حلة من الادب العالي حيث جرت فى مستوى مكرور الالفاظ فى العادة ازاء اضطراب فى التناسب قد يمجها حتى متوسطو الادباء فان فحواها ليشفع لانحلالها المادي ويجعلها تهدي الغافلين لسلوك محجتها الاوسع افقا فى التكوين والخروج بالشباب اليقظ عن الانعزالية القاصمة حيث الحركة والتفاعل الخلاقان — فهذا موسى نبي الله عليه السلام عندما احس بالحاجة الملحة لمزيد العلم عمل على صحبة الخضر لاكتساب علوم وعلوم تكفل الكتاب الكريم بعرض قصتها اثناء سورة الكهف — وان عارض القاضي عياض السبتي هذا المدلول بقطعة تناقضها على طول الخط اذ قال :

تقعد عن الاسفار ان كنت طالبا
نجاة ففي الاسفار سبع عوائق

وعددها فى معارضته محيلا فكرة التنقل فى البلاد على ما تقادم من عهود ، وسلف من زمن ، فلا يؤبه لمعارضته لا سيما وهو نفسه ما كانت له المكانة المرموقة ، وصار له فى عالم الثقافة نصيب المجلى وبلغ قمة العالمية الصحيحة فى المعارف الا بطلب العلم من مناهله البعيدة التي ضرب لها اكباد الابل وشق السبل الوعرة للوصول اليها ، شيء طبيعي حث عليه الرسول الاكرم صلوات الله عليه وائمة الاسلام بعد ، والادباء الذين كان من بينهم صاحب الابيات ابو جبل .

والابيات وان جاءت على صورة لا تحرك الاقلام للنسج على شكلها فهي الى الاستيناس امس منها بالاحتذاء والتقليد انما يكفي ان يوجد رجل من امثاله ينتحل القطعة والقطعتين لبعث النفوس الحرة والاهابة للرحلة قصد التثقيف واكتساب العز والسؤدد —

(اني رايت وقوف الماء يفسده
ان ساح طاب وان لم يجر لم يطب)

ومن مضمون المعنى الكريم والفحوى العالي الذي يعد فى مقدمة ما تجود به الرحلة على اعزاء النفوس ما نظمه العالم ابن تاخميست فى قوله :

اخو العلم حي خالد بعد موته
واوصاله تحت التراب رميم

وذوالجهل ميت وهو يمشي على الثرى
يعد من الاحياء وهو عديم

هكذا نرى هذا الصوفي يسمو محلقا فى هذا الجو العلمي المشبع بروح الخلود ، معبرا عن كل من ساعدته الاقدار بالحاجة الملحة لاكمال نفسه ، واتمام انسانيته فارتوى من معين العلوم والمعارف وغدا مستنير الفكر مشرق القلب حيا حياة لا تلبث تضفي عليه حلة الخلود ومسحة السعادة الابدية عكس الجاهل الميت معنى ، وان دب بين ابناء جنسه ، انه لمعنى سام لا نجده يمر فى الوسط المغربي مرا دون ان يكون له اثره الفعال فى تكييف نفوس الشباب للمكارم ، والطامح للفضيلة بمعناها الكامل ، وعلى هذا الوتر الحنين عزف سابق البربري فى قوله :

العلم فيه حياة للقلوب كما
تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلى سواد الظلمة القمر

يسوغ سابق البربري قافيته على هذا المهيع المطروق وما هي منه فيما يبدو سوى تجربة حاولها داخل هذا الاطار العلمي المحبب للنفوس بما يحمله من تحريك للهمم وايقاظ للشعور وبعث لميت القلوب نحو الحياة الدائمة ، وقد كان لهذه الحركات رغم ضآلتها فعالية منتجة فى الحقل الادبي حيث لم ينفك ابناء المغرب الاشاوش فى نمو الوعي وتقوية الشاعرية ، وموالاة الوثبات الفنية فى القول واساليبه ، حتى كان لهم فى شتى افانينه خصوصا الحماس واستنهاض الشعوب للنفار دفاعا عن الحوزة وصيانة التراب وحفظ الكيان — ما عز مثيله فى غيرهم من امم الارض — ومن هذا المعنى القوي الشجاع يقول عبد المومن بن علي اثر رسالة استنفر العرب فيها من بني هلال الى الغزو رغبة فى اغاثة مسلمي الاندلس وتشلهم من براثن قساة الاسبان ، الداء الاسلام والمسلمين .

اقيموا الى العلياء هوج الرواحل
وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر
وشدوا على الاعداء شدة صائل

الى ان يقول :

فلا تتوانوا فالبدار غنيمة
وللمدلج الساري صفاء المناهل

فها نحن نرى من بين اشطار هذا القصيد — صرامة الخليفة الموحدي ، وقوة توجيهه العرب الابطال

الى الهدف الشريف الرامي لتهييء هوج الرواحل آمرا اصحابها بسوق صواهلها الجرد وسباقيها الى حومة الوغى ، وساحة الهيجاء ، طلبا في نصرة الدين واعلاء كلمته العليا بقوة بائرة وشدة صائلة على الاعداء دون ان يعلوهم فتور او يحيط بهم توان .

فما نيل المعالي بالتواني
ولكن بالعزيمة والنضال

هكذا نرى نفوس المغاربة الاحرار وايمانهم الصادق، وتفانيهم الكامل في اصلاح البلاد والدفاع عن ثغورها لاقامة دين السماء الحنيف ، واثبات مبادئه في القلوب المؤمنة سواء في ذلك الشعب وامراؤه وابطاله — وزعماؤه — امة عزيزة فطرت على العزة والكرامة ، وجبلت على اباء الضيم ومقاومة المناويء ، واجدر بخليفة من خلفاء الاسلام في تخليد بيتين يتيمين للاجيال الآتية — ان يكون في مقدمة ابطال هذا التراب العزيز الذي تدين امبراطوريته السعيدة الى جهاده الظافر قال ولو انشادا :

وحكم السيف لا تعبأ بعاقبة
وخلها سيرة تبقى على الحقب

فما تنال بغير السيف منزلة
ولا ترد صدور الخيل بالكتب

وقد راى البيتين على ظهر الحماسة — ابوبكر يحيى بن ابي يعقوب بن عبد المومن بخط الخليفة عبد المومن نفسه قال ولا ادري هما له او لغيره — وبقطع النظر عن الانشاء او الانشاد فهما بيتان عاليان تشع روح الرجولة من بين اعاريضهما واضربهما البسيطة حيث تناسق الكلمات ، وخلود المعاني التي تسمح للقاريء ان يستوحي منهما عبقرية الرجال وما تنطوي عليه صدورها الفولاذية من صمود في الحق وصدع به في سبيل تخليد المجد والسؤدد مدى الدهر ، يقينا منهم ان المنازل الرفيعة والدرجات العليا لا تدرك بغير القوة ولا تنال بغير المهند ، كما انهم يدينون بأن صدور الخيول لا ترد بالكتب والرسائل ، ومذاهب الاقلام وافانيها ، وهذا المدلول كما نرى هو ما طرقه ابو تمام في بائيته اذ قال :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

والكلمة المأثورة اليوم — ان الحق على افواه المدافع .

فماذا كان موقف العرب امام استنفار الخليفة عبد المؤمن اياهم ايجابيا ام سلبيا ؟ كان انه لم يلبث عدد كبير من ابنائهم يبلغ نحو خمسة آلاف فارس سوى الرجالة — ان استجاب له — كزغبة ورياح وجشم بن بكر وغيرهم .

ومن لا يستجيب لذلك النداء الحار المتفجر عن ايمان واخلاص ارسلهما خليفة من خلفاء الاسلام ، وبطل من ابطاله الخالدين كقنبرة دوت هدايتها في قلوبهم المؤمنة بالعزة والكرامة فانبروا مسرعين نحو الشهادة والسعادة لا يقف امامهم فرق او جبن يصرفانهم عما خلقوا له من مقاومة وكفاح .

ولا يفوتنا ان نذكر هنا تلك المأثرة المملوءة ايمانا المنقبة الفاخرة التي كان هذا الخليفة العظيم يفيض بامثالها عزا ونبلا ومصابرة يعلو الكل مسحة الدين وتضفي عليه حلة التقوى نورا من قبس الخلود .

ذلك — ان الخليفة عبد المؤمن لما نزل مدينة سلا سنة 538 هـ. عند عودته الى مراكش — عبر نهر ابي رقراق — او وادي الرمان — او نهر الحجارة — كما هي الاطلاقات الواردة تاريخيا في اسمه الجميل الذي قامت على ضفافه اواخر عهد السعديين — الجمهوريات المعروفة — بالجمهوريات الثلاث على وادي ابي رقراق وقد تعرض لذكرها — المؤرخ الفرنسي دوكستر بالجزء الثالث من كتابه — اصول التاريخ الواقع في نحو 18 مجلدا .

بهذا الوادي التاريخي الرطيب — ضربت للخليفة الموحدي خيمة على الشاطىء ، وجعلت العساكر تعبر بين يديه قبيلة قبيلة ، فلما نظر الى كثرتها وحسن نظامها خر ساجدا شكرا لله ، ثم رفع راسه وقد بل الدمع لحيته قائلا لدائرته وكل من احاط به :

(اعرف ثلاثة اشخاص وردوا هذه المدينة ليس لديهم ما يقتاتون به الا رغيف واحد — فراموا عبور هذا النهر — فتقدموا لنوتي — بحار — صاحب قارب ، وبذلوا له الرغيف على ان يعبروا ثلاثتهم فقال : لا اخذه الا عن اثنين خاصة فقال له احدهم وكان شابا جلدا : خذا ثيابي معكما واعبر انا سباحة فاخذا ثيابي معهما وصعدا القارب فجعل الشاب يسبح ، فلما اعيا دنا من الزورق ، ووضع يديه عليه ليستريح، ولكن صاحبه كان لا يتورع عن ضربه بالمجذاف الذي

معه حتى آله ، فما بلغ البر الا بعد جهد شديد — ففي اللحظة لم يشك السامعون للحكاية انه العابر سباحة ، وان الاثنين المذكورين — هما المهدي بن تومرت ، وعبد الواحد الشرقي .

وتلك ءاية الله الكبرى في خلق الرجال ، وتنشيء الابطال الذين تساعدهم اوضاعهم العصامية — وجهادهم المتركز على مباديء العمل الجدي وخدمة الصالح حتى يبلغوا ذروة المجد ، وقمة السؤدد ، والخليفة عبد المومن عندما تربع على كرسي الخلافة قام برحلة تفقدية باطراف المغرب ولما حل بمسقط راسه لم يشعر الا وازاء فرسه عجوز تصيح قائلة : هكذا يعود الغريب الى بلاده) مفاجاة فاخرة اهابت بالغافلين من مواطنيه للذكرى التي اعادها تاريخ ماجد معاصر (والتاريخ يعيد نفسه) تاريخ قائد الحملة المغربية وبطل التحرير مولانا محمد الخامس تقول : (هكذا يعود المبعد عن عرشه الى العرش) .

ولنعد لنرى كلمة هذاالعجوز الخالدة التي ان دلتعلى شيء فانما تدل على حيوية المراة الافريقية ووعيهافيذلكم العصر الذهبي الزاهر الذي حدثنا عن امراة عجوز تحمل بين جنبيها هذه الفكرة الطيبة في قالبها المطبوع باسلوب حي يهيب بالشباب الطامح للتكوين النفساني او العصامي بتعبير اصح الشباب الناظر من بعيد الى الحياة بعين يملؤها العمل المتواصل والسعي في جهد حميد الى بلوغ الاهداف ، ونيل الرغائب الشاملة والمطامح المشرفة — هكذا فكرت عجوز القرن السادس الهجر ي، وهكذا او اكثر يجب ان تفكر فتاة القرن الرابع عشر للهجرة — قرن العشرين وعصر الذرة وابتكار الصوارخ النوئية واعلى مما يتمخض عنه العصر من جديد المواليد الساخرةبماضي المصنوعات ومبتكرات الجهود الجبارة .

واعزز علينا ان لا نفارق هذه العبارة العامرة والدالة في نفس الوقت على قدر امراة عجوز استطاعت صوغها في قالب مثلي كانها حكمة تسترعي الانظار ، وتجيل افكار العلماء ، والادباء منهم في المقدمة لما ضمته كلماتها الست وحروفها الهمسية الهادئة من بيان وسمو يكاد أن يبلغان حد السحر — في عمق الاختصار وفحوى الحصر الذ يلا يدع مجالا لرائحة الاشتراك في المدلول (على هذا الحال يؤوب المتغرب لوطنه) وهذا الاسلوب من امراة مسنة قد يقف دون النسج على منواله فرسان البيان وائمة الكتاب ، وتلكم صورة ناصعة حية في العالم النسوي تنطق بروعة الادب وخصبه في العصر الموحدي الزاهي الزاهر .

ولا ينسى التاريخ الامين ما لهذا الخليفة الموحدي من مواقف ومواقف كيوم نزوله جبل طارق الذي سماه هو جبل الفتح احتفالا ببيعة اهل الاندلس ، فأقام به شهرا ، وابتني به قصورا فاخرة . ووفد عليه وجوه الاندلس للبيعة كأهل مالقة وغرناطة ورندة ، وقرطبة واشبيلية — يوم عظيم اجتمع له فيه وجوه البلاد ورؤساؤها واعيانها وملوكها من العدوة والاندلس ما لم يجتمع لملك قبله .

في هذا اليوم التاريخي استدعى الشعراء ولم يكن استدعاؤهم عادة له قبل ، انما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم فلما دخلوا كان اول من انشد ابو عبد الله محمد بن حبوس الفاسي ، وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة ابن هانيء الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وايثار التقعير الا ان ابن هانيء كان اجود منه طبعا ، واحلا مهيعا ، قال ابن حبوس :

بلغ الزمان بهديكم ما املا
وتعلمت ايامه ان تعدلا

وبحسبه ان كان شيئا قابلا
وجد الهداية صورة فتشكلا

انما امثال هذه الحركات الحربية والمهرجانات الهادفة نحو الفتح واعلاء منار الهدى — لمما يبعث تفتح القرائح ويشجع على تكوين سوق نافقة للادب المختار يتبارى فيها ابناء الادب على اختلاف مشاربهم الثقافية والفكرية بل وحتىالذين لا يأنسون من انفسهم القدرة على الكتابة وقرض الشعر يستطيعون بذكائهم الفطري ان يزاحموا في نفاق هذه السوق الفكرية بما يتشقونه من عبير مسكها الندى التي لا تعتم ان تدر على افكارهم قبسا من نسماتها واطيابها فاتحة امامهم آفاق القول على مصارعيه ، فيقولوا عن ولع وهوية في شتى افانينه ما يكون منهم شعراء وكتابا يعتز بهم الوطن وتباهي بهم الشعوب الاخرى ، وتنصب لهم المنابر في ءاتي الايام لينشدوا على الشعوب من اعلاها ما يفتح القلوب ويفتق الاذهان ويبصر الامة بما هي في امس الحاجة الملحة اليه رغبة في مواجهة ما يمكن ان يعرو البلاد من مفاجاة ومؤامرات قد لا تصمد لها دون ان تكون قد اعدت العدة ورسمت الخطط لابنائها استعدادا للطواريء وتقديرا للظروف وايامها الحبالى التي لا تستقر على حال .

ولكنهم بانوا ولم ادر بغتة
واعظم شيء حين يفجاك البغت

والذي يتعمق داخل اشطار البيتين يدرك مدى تحليق هذا الشاعر وسموه في التصوير وابداعه في المدح اذ صادفه الحال قابلا للانفعال والهداية صورة وضاءة لم يلبث ان تقمص في شكلها — فضلا عن المعنى الكريم الذي احتواه حيث كان من اهتداء الزمان بهديه — ان تكونت ايامه واصبحت تدين بتعاليمه المنحدرة في اصلها من الخليفة العادل عادلة في سيرها وذلك ما برغم ابناء الشعب على ترسم خطاها والاصطباغ بلونها الطاهر وهو الخليفة الذي سمع هذا البيت :

(ما هز عطفيه بين البيض والاسل
مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي)

حتى اهتز لمطلعه طربا واستعاده من الشاعر الفحل محمد بن ابي العباس السمعاني واستعاده ، ثم امره بأن يقتصر عليه ، واجازه فيما يقول العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة — بالف دينار قائلا له : لقد قلت في هذا كل شيء ، نعم لقد قال فيه كل شيء أليس انه قد مدحه بالشجاعة والتفوق فيها حتى نفى عن غيره ان يكون هازا عطفيه ، مثله في الوغى المرتفعة بين السيوف اللامعة ، تعبير رشيق في مبناه ، جميل في اسلوبه مع الاعجاب بحسن خلق عبد المؤمن ، قبل الاعجاب بخلقه ورشاقة قده واعتدال مشيته قبل شجاعة قلبه وثبات جاشه ، وفوق هذا وذاك أليس قد دعاه بالخليفة؟ وهذه هي الامنية الحلوة التي طالما تمناها ملوك الاسلام وحلموا في منامهم حتى المضروب على ايديهم منهم ، فيعدون الشرف الصميم والفخر العظيم والغاية التي لا قبلها ولا بعدها غاية ان ينعتوا بالخليفة ، فيكونوا ظل الله في ارضه ووارثي سر النبوة ، وواضعي ايديهم على رقاب ملايين البشر ، لذلك فبعد المؤمن الناقد البصير يحق له ان يشير على السمعاني بالاقتصار من القصيدة على مطلعها هذا لانه كما قال قد جمع كل شيء يمكن ان يقوله شاعر في ملك ذي صولة وبأس مثل عبد المؤمن

ولا ينسى له تاريخ الادب العربي مساجلته الحلوة والعريقة في صلب الادب الشاعر — مع وزيره ابن عطية في احدى زقاق مراكش الجميلة التي نتركها لادبائنا .

وهذا ابو يعقوب المنصور الموحدي وهو في ريعان الشباب وقد قرب من مصافحة العشرين — عند ما قام شاعر الموحدين يحيى بن عبد الجليل بن مجير الفهري ينشد قصيدته اللامية بين يدي يوسف بن عبد المؤمن التي يقول فيها :

(ان خير الفتوح ما جاء عفوا
مثل ما يخطب البليغ ارتجالا)

وكان ابو العباس الجراوي من شعراء الدولة — حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها معارضا اياه امام الملك قائلا يا سيدنا اهتدم بيت وضاح القائل .

خير الشراب ما كان عفوا كانه خطبة ارتجالا — رغبة في تبكيته ولكن سرعان ما التفت اليه الامير الشاب يعقوب وهو يومئذ وزير ابيه قائلا : ان كان اهتدامه فقد استحقه لنقله من معنى خسيس ذميم الى معنى شريف ، فسر ابوه بجوابه وعجب الحاضرون وكفاه الشاب الصريح مئونة الدفاع عن موقفه (والقصة تعرض لها الشريف الغرناطي في شرحه لمقصورة حازم) والمقري في النفح ، ومن شعر ابن مجير هذا يصف خيل المنصور من قصيدة في مدحه :

له حلبة الخيل العتاق كأنها
نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا

عرائس اغنتها الحجول عن الحلى
فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا

ومن بين هذه القصة نستشرف على الروح الادبي الذي كان العصر الموحدي يزخر بفنونه ويتذوقها ابناؤه وشبابه الحي الناهض فأي مقياس يوجهنا للايمان بالحركة الادبية والتعمق في مذاهب الادب ومناحيه الخصبة كمقياس النقد والبحث في القصيد والقطعة والمفرد ، والتضييق بالكتاب ، والشاعر فيما يعرض من افكار وآراء وليدة او مزورة وما ينتج حول ذلك من عراك فكري وتصادم فني ، وقد يقوى هذا المعنى بين يدي الامراء والملوك من ابناء القول ورجال البيان الذين لا تطاوعهم نفوسهم للسماح برؤية سوأتهم يبدو في حظيرة الفن وميدان القول بمظهر العلو والسبق في حلبة الادب نثرا وشعرا — بيد ان هناك اوقاتا محظوظة يحضرها ادباء طبعوا على الصراحة والتفاني في الحق والعمل على ارجاعه لنصابه دون ان تأخذهم لومة لائم .

ولا ادل على هذا المعنى الكريم من موقف الامير ابي يعقوب في وجه الجراوي وانقاذه ليحيى الفهري شاعر الموحدين من هوة البغضاء الذي تلبس بها نده ومنافسه محاولا اسقاطه في غمرة لا نهوض له من داهيتها بعد ، ولكن قوة الشباب الصريحة وشباب العشرين على الاخص الذي ان صح لاي انسان ان يفتخر بلحظة من لحظات حياته فأجدر به ان يفتخر بايام هذا العقد الرطيب المشبوب بحرارة الاندفاع نحو هدف الحق والصدع به ولو على دم .

وكم يلذ لي ان اردد بيتا ينسب للمولى عبد السلام المعروف بالمحب كان من كتاب المولى عبد العزيز العلوي قدس الله روحه ، وترجمه الاديب غريط فى كتابه عقود الجمان وهو :

(ومن بلغ العشرين يا ام مالك
ولم يفتخر لم يفتخر بزمان)

هذا علاوة عما استفدناه من بين سطور القصة — ان الشاب الامير المنصور كان يعد فى غمار الادباء الذين لهم حظهم الخاص فى ذوقه وتفهم خصائصه لحد المقابلة والمقابلة بين الغث والسمين والنازل والعالي ووضع ميزان النقد الادبي بين يديه كمعيار يميز به الجيد من الرديء متمثلا فى نفسه .

(يموت رديء الشعر من قبل اهله
وجيده يبقى وان مات قائله

وليست هذه اول مرة يتجلى فيها نبوغ هذا الامير الخالد فى الادب الحر وفنونه الرائعة — فقد هدتنا حياته النبيلة وايامه الغالية — انه ذات يوم طلب من قاضيه ان يختار له رجلين لغرضين — هما تعليم ولد ، وضبط امر ، فما كان من القاضي الا ان عرفه برجلين قال فى احدهما : هو بحر فى علمه ، وقال فى الآخر : هو بر فى دينه ولما خرج القاضي احضرهما المنصور واختبرهما فقصرا بين يديه ، واكذبا الدعوة ، فوقع المنصور على رقعة القاضي : (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم — ظهر الفساد فى البر والبحر) ويعد هذا التوقيع من العاهل الموحدي من اجل التواقيع الملوكية المبرهنة على علوهم ادبا وسياسة فضلا عما يعرب عنه التوقيع من الحزم والاخذ بالحيطة لغاية مباشرة الاشياء بايديهم كعمل بالمثل (ما حك جلدك مثل ظفرك — فتول انت جميع امرك) ظاهرة توحي باحد امرين ، اما ان القاضي لم يتوفق فى الاختيار او اغتر بالرجلين ، واما ان يكون على علم ولم يدر بخلده ان الخليفة المنصور وراءه يتعاهد الاختبارات ويدقق البحث فى سجل الانتخابات ليقف بنفسه الكريمة على الحقائق ويدرس من وراء ذلك ما تبلغه قيم الدائرة المحيطة به ويعرف مقاديرها قوة وضعفا ، وتلك من امثال المنصور دروس يوجهها رؤساء الشعوب لاممهم كي لايتهاونوا بالمصالح ولا يقدروا ما ينجم عن الاخلال بها من انحلال وانهيار ، لما يسري اليهم من تيار هذه الدروس وتاثيراتها الفعالية التي تدفعهم نحو العمل المجدي جاهدين فى وضع الحقائق مواضعها لتسيير الامور سيرا طبيعيا يبعث على الاطمئنان فى كل مناحي الدولة ومقاصدها انما قد يتساءل السائل عن هذه الجولات قائلا ما الداعي لقصدها فى المجموع على الخلفاء والملوك — الجواب ذلك انفسم ان ائمة الامم وملوكهم يكونون مقاييس صادقة وامثلة حية لشعوبهم فى الاقتداء وترسم الخطى (والناس على دين ملوكهم) على ان الملوك لا يتكونون الا فى محيط علمي مشرق ومن هنا يتسع الميدان ويزدهر الحقل وتتفتح ابواب القول على مصاريعها ويعلو الادب العربي وتسمو مناحيه على اختلاف الوانها بما يساعد الكتاب على التفنن والانطلاق فى روض افانينه الزاهرة وحدائقه الخصبة حيث نلتقي مرة اخرى بين جداولها وافيائها رائدنا الادب العربي الحر .

القصة في تاريخ الأدب المغربي

بقلم: الحسن السايح

لم اعثر فى آثارنا الادبية القديمة على ما يفيد ان المغاربة عالجوا القصة قديما ، فلقد اتصلوا بالحضارة الرومانية واتصلوا كذلك بالحضارة المسيحية ، وكان هذا الاتصال وثيقا جدا .

فالذي اعرفه ان بعض المغاربة القدماء كانوا من رجال الفكر فى روما ، وقد تركوا اثرا ادبيا وفلسفيا ودينيا ، ولكنهم لم يعالجوا القصة كما عالجها الرومانيون ، او لعلنا لم يصل الينا شيء من انتاجهم فى هذا الموضوع .

ولما جاء الاسلام اشتغلوا طيلة العهد الادريسي بالفتوح ونشر الدعوة الاسلامية ، بل انهم فى عصر المرابطين تعرفوا على كتب ابن المقفع القصصية ؛ ولست ادري متى كتبوا بالضبط القصص المطولة وان كانت حكايات (جحا) عريقة فى التاريخ الادبي المغربي يتحدث عنها المؤرخون كاتر قديم جدا ، غير انها لا تخرج عن نطاق المسليات والاحاجي والمضحكات .

وفى العصر الموحدي ، نجد ثلاثة انواع من القصص: القصص الفلسفي الذي تركه لنا الفيلسوف ابن الطفيل ، فى حي بن يقظان ، وقصص الرحلات وهي عبارة عن القصص التي يسردها الرحالون المغاربة ؛ اذ من المعلوم ان المغاربة اكثروا من التجوال سواء فى داخل بلادهم او فى الشرق العربي ، مصر وسوريا والحجاز والعراق وبلاد الفرس وبلاد تركيا .. او فى بلاد الغرب كالاندلس (بعد الاحتلال) وفرنسا والمانيا او فى الجنوب المغربي كبلاد السودان وغيرها ، ومن المعلوم انهم تجولوا كثيرا فى مختلف اقطار العالم ودونوا مشاهداتهم وكانوا ينزعون منزعا قصصيا فى سرد الحوادث والمشاهدات والوقائع والتاريخ .

وهناك قصص شعبي كان ملهاة للشعب يسمر بسرده الناس ، ويقراونه فى الكتب ، ويمثلونه فى الحلقات لسرد العبر الماضية والاتعاظ بها .

اما عن هذه الاقاصيص الادبية التي تصف الوقائع وتسرد الاحداث فقد ذكر ابن خلدون فى تاريخه عندما تحدث عن الهلاليين قائلا :

ولهؤلاء الهلاليين فى الحكاية عن دخولهم الى افريقيا طرق يزعمون ان الشريف ابن هاشم كان صاحب الحجاز ومكة ، ويسمونه شكر بن ابي الفتوح وانه اصهر الى الحسن بن سرحان فى اخته جازية ؛ فانكحه اياها وولدت منه ولدا واسمه محمد ، وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وفتنة فاجمعوا الرحلة عن ارض نجد الى افريقيا ، وتحيلوا عليه فى استرجاع اختهم جازية المذكورة فطالبته بزيارة ابويها فازارها اياهم وخرج بها الى حللهم واقام معها مدة الزيارة ، فارتحلوا به وبها وكتموا رحلتهم عنه وموهوا عليه بانهم يباركون به للعيد والقنص ، ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها ، فلم يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه وصار الى حيث لا يملك امرها عليهم ؛ ففارقوه ورجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل ، وانها من بعد ذلك كلفت به مثلما كلف بها الى ان ماتت من حبه . ويتناقلون من اخبارها فى ذلك ما يعفي على خبر قيس وليلى ويروون كثيرا من اشعارها محكمة المباني متقفة الاطراف وفيها المطبوع والمنتحل والمصنوع ، لم يفقد فيها من البلاغة شيء ، وانما فقد منها الاعراب فقط ولا مدخل له فى البلاغة ، وفى هذه الاشعار شيء كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به ، ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بآياتهم ووقائعهم مع زناتة وحروبهم ، وضبط لاسماء رجالاتهم وكثير من احوالهم ، لكنا لا نثق بروايتها ، وربما يشعر البصير بالبلاغة المصنوع منها وغيره ، وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف خلفا عن سلف ، وجيلا عن جيل ، ويكاد القادح فيها والمستريب فى امرها ان يرمى عندهم بالجنون لتواترها بينهم » (هذا نص ابن خلدون) .

ولست ادري مصير هذه الاقاصيص وان كان الغالب على الظن ان بقاياها ما تزال تسرد في باب عجيسة وباب الفتوح (بفاس) وفي باب جامع الفناء (بمراكش) وفي باب منصور العلج (بمكناس) في حلقات هادئة يطيب فيها سرد القصص ويروق سماعها .

وكما كانت قصة (الهلاليين) شائعة فقد كانت هناك قصص اخرى اكثر ذيوعا منها ، بل ان مؤلف كتاب تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين (يقول في الجزء الثاني ص 54) ان الموحدين شجعوا نشر الكتب التي تتحدث عن الفروسية او كتب المغامرات والقصص في جميع انحاء المملكة سواء في المغرب او في الاندلس ، بل لقد سمحوا بقراءة هذه الكتب من فوق منابر المساجد ...

والذي نعرفه في تاريخ المغرب هو ان الخلفاء عندما يشجعون حركة ادبية يباركونها في الواقع ، وقد اشار مؤلف كتاب العلوم والفنون والآداب الموحدية الى هذه الملاحظة ، ونقل نص ابن خلدون عن الاستقصا ، ونص اشباح كذلك .

اما القصة الفلسفية : فقد ترك لنا ابن الطفيل المتوفى سنة 580 قصة رائعة ، ولكنها ليست بادبية وانما هي قصة فلسفية ، ولا اعلم لها نظيرا في كتب الفلسفة الاسلامية ، وهذا الكتاب هو (حي بن يقظان) ويقول مؤرخو الفلسفة انه اول فيلسوف اسلامي صب فلسفته في قالب قصصي ، وجعل بطل قصته شخصا موحدا يكون نفسه وافكاره بالاحتكاك بالطبيعة وبالكائنات التي هي اقل منه درجات ، من جماد ونبات وحيوان الى ان يصل الى نقطة الادراك والاتصال ، ويقول (محمد لطفي جمعه) ان هذه القصة الخيالية تعد بحق نوعا من الطوبى العقلية التي قلدها ونسج على منوالها كثيرون من كتاب الافرنج ومفكريهم كقصة (كريستان كرزوي) ونستنتج من كلام المراكشي في المعجب انها كانت منتشرة في عهده ، فقد قراها في جملة من قراها ، ووصفها وصفا موجزا ، وفي دائرة المعارف الاسلامية (مجلد ـ ع 4) ذكر لخلاصة هذه القصة المشهورة .

واما النوع الثاني واعني ادب الرحلات ، فان الذين كتب لهم ان يجولوا في المخطوطات المغربية لاشك انهم عثروا على كثير من هذه الرحلات القصصية التي تشابه رحلة ابن بطوطة مثلا ، تلك الرحلة التي رغم رداءة اسلوبها القصصي ما تزال قصة ممتعة غالبت رحلة (ماركو بولو) وكانت اثبت منها على الخلود .

والمغاربة احبوا من قديم الرحلة عن ديارهم مدفوعين الى ذلك التجوال حبا للعلم والمغامرة او للحج او الاتجار او للبحث والاستكشاف او للغزو والجهاد او للتفقد والتعهد ، كرحلات بعض الملوك والامراء ، او للسفارة الى بعض الدول ، وكانوا يكتبون ما يشاهدون ويدونون الملاحظات والارتسامات واحيانا يسردون اقاصيص وحكايات مما ينزع منزع (القصة الادبية) كل ذلك فيما يكتبون في هذه الكتب التي يعبرون عنها (بالرحلات) .

وفن الرحلات هذا ، فن قصصي شائق وجذاب، فرحلة ابن بطوطة مثلا ليست الا قصة شائقة لم يكتب لها ان تصاغ في لغة ادبية رزينة ، ولم تمتد عناية ابي عنان الذي امر بجمعها الى اسلوبها وقالبها ، ولا اريد بالرحلات الرحلات السفارية او الرحلات الرسمية ، وانما اقصد (الرحلات) السياحية التي يباح للمؤلف فيها سرد الوقائع والاحتفاء بالغرائب والنوادر واضفاء شخصيته على ما يكتب ويسرد ، كرحلة ابن بطوطة وكرحلة ابن رشيد الفهري من قبله المتوفى سنة (657) ولا يمكن استقصاء هذا النوع من الرحلات لان الحديث عنها طويل ولان لها من يتقن الكلام عنها من علماء الادب المغربي المعاصرين .

اما عن المسرحيات فلا شك انهم عرفوا المسرح حين اتصلوا بالفنيقيين وحين اتصلوا بالرومان ، وفي اثار (وليلي) ما يدل على هذا ، بل ان البكري وهو رحالة قديم يتحدث عن افريقيا فيصف (المسرح) بها ، والعجيب انه يسميه (طياطرو) باسمه الغربي ، وسأنقل منه هذه الفقرة ؛ قال البكري في كتابه المالك والممالك :

« واعجب ما بقرطاجنة دار الملعب وهم يسمونه (الطياطرو) قد بنيت اقواسا على سواري وعليها مثلها ما احاط بالدار ، وقد صور في حيطانها جميع الحيوان، وصور اصحاب جميع الصناعات ، وجعلت فيه صور الرياح ، فجعل صورة الصبا وجهه مستبشرا ، وصورة الدبور وجهه عابس ، ورخام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقيا على نقله واستخراج جميعه ما امكنهم ذلك لكثرته ، وفيها قصر يعرف بالملقة مفرط العظم والعلو فيه اقباء معقودة طبقات كثيرة مطل على البحر، في غربيه قصر يعرف بالطياطير ، وهو الذي فيه دار الملعب المذكور ، وهو كثير الابواب والتراويح ، وهو ايضا طبقات على كل باب صورة حيوان من رخام ، وصور جميع الصناع ، وقصر يقال له قومش طبقات

كثيرة ايضا في سواري رخام مفرطة الكبر والعظم ، يتربع على راس السارية منها اثنا عشر رجلا وبينهم سفرة طعام او شراب ، وهي مشطبة كالثلج بياضا والمهاة صفاء (عن المالك والممالك للبكري ص 44 طبعة ارسلان) .

هذا نص البكري وهو من رحالات اول القرن الرابع ، اما الروايات التي كانت تشخص بهذا المسرح فهذا ما لم يذكره البكري .

لقد عرف العرب قديما المسرح عن طريق اخرى غير الغرب الاوربي ، عرفوه في مسرح خيال الظل . وفي مجلة (المقتبس) ان خيال الظل او الخيال الراقص او خيال جعفر هو الذي تسميه العامة (كركوز) ماخوذ عن (قره كوز) التركية وهو المعبر عنه بالفرنسية ماريونت وهو من انواع المسرح في القديم .

وكذلك عرف العرب مسرح التعزية عن الشيعة ، والفلكور المغربي وان كان احتفظ ببعض عوائد الشيعة كرقصة النار مثلا الا انه لم يحتفظ بهذا المسرح ، وفي (حلقات) بعض المدن نعثر على مشاهد هزلية ، وارشد القارىء الى دراسات المستشرق (كراتشكوفسكي) عن المسرح العربي فهي مفيدة جدا وقد نقلها الى العربية الاستاذ عثمان الكعاك في مجلة (الثريا) التونسية .

اما عن اصول القصة فقد عرف المغاربة فن (المقامات) وعالجوا هذا الفن الادبي كما عالجوا كل الفنون الادبية التي وردت عليهم من الشرق ، ولاشك انهم اكثروا فيه وتفوقوا كذلك لما في طبعهم من حب للحديث الطويل المهلهل الاسلوب ، والذي عثرت عليه من المقامات هي مقامات لابن الخطيب وقد نشرها العبادي تحت عنوان (مشاهدات لابن الخطيب) وهي مفاضلات بين المدن المغربية وذكريات ، وهي وان كان ينقصها (قالب) المقامات فلا ينقصها (اسلوب) المقامات .. ثم مقامات المكلاتي وهو اديب سعدي وترجمته مشهورة في تاريخ السعديين كان كاتبا واديبا ممتازا .. وهناك مقامات لاحمد بن حسين الحلبي المسماة الحلل السندسية في الصفات الاحمدية ، والحلبي هذا اديب شرقي استوطن فاسا وكان من ادبائها ، وقد ترجم له غير واحد من المؤرخين .

ومن المقامات التي اذكرها مقامات حضرة الاتياح المغنية عن الراح لابن ابي حاتم المالقي المنسوبة خطا الى ابن الخطيب ، ومؤلفها ابن ابي حاتم كان قاضيا بجبل الفتح ، ويقول احد علماء المخطوطات بان المخطوط منسوب اليه والمطبوع منسوب لابن الخطيب خطا ، ويذكر الاستاذ كنون من بين المقامات ، مقامة لمحمد بن الطيب العلمي المتوفى بالشرق سنة (1134) وان كنت ارى انها بعيدة عن فن المقامات لعدم خضوعها لقوانينه وافراغها في قوالبه ، وقد عثر على مقامتين لمؤلف مجهول يروي المقامة فيها الراغب بن الوارث ، والاولى عبارة عن نزهة في وادي فاس والثانية برواية الراغب ايضا عن جولة في تطوان .

ومن اصحاب المقامات الاديب الكبير الوزير ابن ادريس المتوفى سنة 1264 وهو اديب بارع الانشاء وشاعر مطبوع ويحدثنا في مقاماته عن الفتح بن سلامة، كما عثرت على مقامات لابن شقرون وهي في المصباح ، وممن كتب المقامات ايضا شاعر فاس الاديب المرحوم غريط وهو اديب كبير الف (الجمان) وعالج الشعر فتفوق وقد ترك لنا (مقامة) ادبية .

ان العلمي ترك لنا قصة (المحب والحجام) وهي في نظري يمكن ان تقارن بقصة المويلحي (حديث عيسى بن هشام) .. وان كان المؤلف المصري اكثر تحررا في الاسلوب من تقاليد الكتابة العميدية ، وتنعدم عند العلمي التجربة الاجتماعية والاحتكاك بمشاكل عصره، وايا ما كان فهو في قصته يكون حلقة بين المقامات والقصة كما كانت قصة المويلحي واسطة بين المقامات والقصة في الادب المصري .

اذ المقامة شبه قصة تدور حول بطل وهمي يروي اخباره راوية وهمي ، لا تربطهما وحدة موضوعية، وهي ميدان لاظهار القدرة البلاغية والتفنن في البيان والبديع ، واذن فلا بد من راوية كعيسى بن هشام وابي الفتح الاسكندري وكالحارث بن همام وابي زيد السروجي مثلا .

لذلك فقصة (المحب والحجام) لا تتوفر فيها شروط المقامات ، لانها تهدف الى سرد قصة لها وحدة ، وتهدف الى مغزى ادبي واجتماعي اكثر من هدفها الى التفنن البلاغي واظهار المقدرة على التلاعب بالاساليب البديعة من جناس وغيره .

ولنا في ميدان الشعر الملحون اقاصيص ذات اسلوب رائع في لغتها ، محكمة النسج نبيلة الموعظة ، كقصة سيدنا يوسف ، وكقصة النبي عليه السلام ،

وكقصة (الحراز) ويطول بنا الكلام لو عرضنا الى نواحي الجمال فيها ، لان لغتها ليست بعربية وان كانت انتاجا مغربيا لاننا فى هذا الحديث لا نعرض الا للانتاج العربي الفصيح .

اما عن التمثيل فقد عالجه المغاربة لاول مرة فى القرن العشرين وقد رايت فى مذكرات مؤرخ مغربي توفى قريبا ما يلي :

كان يوم الثلاثاء 19 جمادى الثانية سنة 1341 اول تمثيل ظهر بالرباط ، وقد مثلت رواية تاريخية عربية غرامية وهي الخليفة هارون الرشيد مع حاكم البصرة ، قام فيه باهم الادوار محمد عز الدين المصري خليفة سلامة حجازي ، اما اول تمثيل وقع من المغاربة فهو رواية صلاح الدين الايوبي وقلب الاسد ، وكان بفاس فى رمضان سنة 1345 ، ثم فى الرباط سنة 1346 مثلت نفس الرواية ، ثم فى ذي الحجة همت فرقة بالرباط بتمثيل رواية فتح الاندلس فمنعتها الحكومة .

اما فى العصر الحديث فهناك محاولات لكتابة القصة وكتابة المسرحية ، عالج الفن الاول كثير من شبابنا وبالاخص الكاتب القصصي بباي فى قصص فاس ، وعبد الرحمن الفاسي فى قصص نشرها بجريدة المغرب ، وعبد المجيد بن جلون ، كما عالج الفن الثاني كثير من شبابنا غير ان كل هذا ما يزال يتعثر بين الفن الصحيح والمحاولات ، فعسى ان تحقق الايام آمالنا الكبرى فى شبابنا الناهض .



مدينة (وليلي) : اطلال رومانية فى شمال مدينة مكناس وغرب مدينة زرهون عاصمة المولى ادريس الاكبر .

مشاكل اللغة العربية

بقلم : ابراهيم مركات

عندما يتناول احدنا كتابا يقراه فمن العسير ان يسلم من اللحن ، ولو بلغ من التضلع فى هذه اللغة اقصى ما يمكن ان يصل اليه العقل البشري . ومن المحتمل ان لا يرتكب القاريء خطأ نحويا بالمرة ، ولكن الالفاظ اللغوية العديدة التي وردت فى كلام العرب لا يمكن لاحد ان يحيط بها معنى ولفظا . ولدينا كلمات كثيرة بعضها نتداوله فى ما نكتبه او نقراه ومع ذلك فاننا نضطرب احيانا فى قراءتها كلبخ ، ومخل ، وفجاة ومعز ، وكشتبان ، وبشق ، (فعل بتخفيف السين) وكسوة ، وزي ، وعنز ، وخاتم . وقد نضم الفاء فى «فجاة» او نكسر التاء فى «خاتم» فيخطئنا السامع ، مع ان فاء «فجاة» وردت بالضم والفتح ، كما وردت كلمة «خاتم» بفتح التاء وكسرها .

وقلما نهتم بالمعنى عندما نقرا بحضور شخص او اشخاص آخرين ، اذ يكون همنا حينئذ منصبا على التحرز من الاخطاء النحوية . ولذلك يقول الدكتور طه حسين : **اننا نقرا النحو لذاته ، بينما الافرنج يتخذونه وسيلة لفهم علوم اخرى .**

ولكي يقدر كل منا مشكلة القراءة فى اللغة العربية، يمكنه ان يقارن بين تلميذ من قسم الشهادة الابتدائية عندما يقرا قطعة غير مشكولة ، وبين تلميذ درس الفرنسية ، فى مستوى القسم المذكور ، عندما يقرا قطعة باللغة الفرنسية . فمن المؤكد — والحالة هذه — ان الاول لن يسلم من اللحن عدة مرات ، بينما الثاني سيقرا بسرعة ودون خطا فى الغالب .

وما دامت العربية على صورتها الحالية ، فمن المرجح انها لن تحظى بنفس الاقبال الذي تناله بعض اللغات الحية الاخرى ، ولا اعني بالاقبال هنا ، اقبال ابناء العرب انفسهم ، فان هؤلاء يجب ان يجبروا على تعلم العربية كلغة اساسية ، وانما اعني اقبال الاجانب الذين يهمنا ان تنتشر لغتنا بينهم اكثر مما هي عليه الآن .

اما صميم مشكلة القراءة فى اللغة العربية ، فهو كونها تتطلب مستوى عاليا فى النحو ليمكن تحرز اكبر ما يمكن من الاخطاء فى ما لم يشكل ، بينما اللغات الحية الاخرى لا تتطلب هذا المستوى العالي ، بل ان بعضها لا يكاد يتطلب مجهودا حقيقيا كاللغة الاسبانية مثلا .

وقد فكر البعض فى حل مشكلة القراءة بواسطة اشراك الحركات مع الحروف ، بحيث تكون الحركات جزءا من الكلمة ، غير ان هذه الفكرة لن تحسم المشكلة ، فعند ما نطالب طفلا يتعلم العربية ، بان يكتب بعض التراكيب باسلوبه الخاص ، يتعين عليه ان لا يفكر فى موقع الكلمات التي يختارها لتراكيبه فقط ، بمعنى انه لن يفكر فقط بان هذه الكلمة ينبغي ان تجيء بعد تلك او قبلها ، بل يلزم ان يفكر ايضا فى هل يجب ان تكون منصوبة او مجزومة او مرفوعة ، وساعطي الآن مثالا بسيطا : عندما ندرس قاعدة «الفاعل» فى لغتنا ، فانه لا يكفي ان نعرف انه هو الذي يفعل الفعل بل ان نعرف كذلك ، انه مرفوع ، وانه يجب ان يقع بعد الفعل «كربح السابق» مثلا . اما اذا قلنا «السابق ربح» فيصير لفظ «السابق» مبتدا . ويصير الفاعل مستترا مع انه مذكور قبل الفعل !! . . . غير اننا نوهم انفسنا بانه مستتر فى هذه الحالة . . .

فنحن اذا ، امام مشكلة اساسية خطيرة هي مشكلة النحو . واما مشكلة القراءة ، فهي نتيجة لصعوبة النحو نفسه . فكر ايها القاريء الكريم اننا قد قطعنا سنوات عديدة من اعمارنا قبل ان نستطيع صياغة مثل هذا التركيب : **«هؤلاء هن الخادمات اللواتي قبض عليهن رجال الشرطة سارقات سوارين»** اذ يتعين ان لا نستعمل فى «قبض» لغة اكلوني البراغيث . اما سارقات فيكسر آخرها عوض ان ينصب . واما «سوارين» مع ان من السهولة بمكان ان يعرف معناهما صبي فى الاقسام الابتدائية ، ولكن

كثيرا من طلبة الاقسام الثانوية سيعجزون عن التفريق بين موقع «سواران» بالالف وموقعها بالياء ولو درسوا قاعدة المثنى واسم الفاعل .

ومما يصعب استعماله فى اللغة العربية «المثنى» سواء فى الفعل او فى الاسم . انظر الى هذا التركيب **«كان الرجلان حاضرين مع أخويهما»** لا يكفينا ان نعرف ان المثنى هو ما دل على اثنين فحسب ، بل يجب ان نعرف انه تارة يكون بالالف والنون ، وتارة يكون بالياء والنون ، واخرى تحذف نونه ، فيجب علينا والحالة هذه ان نكون على علم تام بمرفوعات الاسماء ومنصوباتها الخ ... ثم ما فائدة وجود المثنى مبدئيا ؟ واذا كان لوجوده فائدة ، افلا يستساغ ان يكون هناك مثلث ومربع وهكذا حتى نعثر على الجمع ؟

ان المنطق يقتضي انه متى اشترك اثنان او شيئان فذلك جمع .

واما جمع الاسماء فهو من اصعب ابواب النحو بينما الجمع فى اللغات اللاتينية لا يتوقف سوى على اضافة حرف معين الى الاسم المفرد . فنحن اولا امام ثلاثة انواع من الجمع : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير . ثم ان جمع التكسير غني بالاوزان التي لا حصر لها ، واغلبها ليست له قاعدة مطردة . ولعل الكثير منا يحار فى جمع هذه الكلمات كلها او بعضها : « شق ، طل : قفا ، رئبال ، رؤوم » وامثالها كثير جدا ...

وقد ادليت ببعض الملاحظات فى ما يرجع الى تعقد النحو العربي ، على ان ثمت ملاحظات اخرى كثيرة فى نفس الموضوع ، واعتقد ان فى استقصائها مدعاة لملل القاريء . والآن ننتقل الى مشكلة الالفاظ الفنية فى اللغة العربية :

كان العربي فى الجاهلية وصدر الاسلام اذا قام يصف جواده او سلاحه او مسكنه ، عبر عن ذلك بدقة متناهية حيث يجد فى متناول يده من الالفاظ ما يمكن ان يعبر به عن اي شيء يدور حوله ، فكلمات سنان ونصل وحسام ومهند ، مثلا تؤدي كل منها معنى مستقلا . وجاء العصر العباسي فاصبح تداول مثل تلك الالفاظ قليلا ، وكثير منها هجر استعماله بسبب الحضارة التي بلغ اليها العرب فى هذا العصر ، فما يتعلق بدقائق خيمة البدوي وسلاحه وركوبته ، حل محله الفاظ حضرية من تأثير الفرس خاصة . ولحسن الحظ ، فان اللغة لم تضق عن هذه الالفاظ الجديدة كحانة ، وطست ، وابريق ، وخرستان وغيرها .

ويوم حل الوبال التركي بالعربية وعلومها ، فقد تأخرت عن ركب الحضارة الذي بدا يسير فيه الغربيون منذ اربعة قرون تقريبا ، وانشات الآلات الصناعية والاختراعات العلمية بينما العرب يقاسون الويلات من جراء الاضطهاد العثماني .

فالكلمات الفنية والعلمية اصبحت اليوم تعد بالآلاف ولم يعرب منها سوى عدد محدود جدا .

ورغم المجامع اللغوية التي تكونت بالشرق ، فانها لم تؤد ما كان ينتظر منها فى ميدان اصلاح اللغة وادخال الالفاظ الفنية عليها .

فاذا اخذنا (دراجة) فقط ، فسنجد ان كل لولب فيها له اسم خاص فى اللغات الاجنبية ، وحتى مقودها يختلف فى الاسم عن مقود السيارة مثلا ، اما الاجهزة الكهربائية العديدة ، وانواع الاثاث ، والمصابيح ، واواني الطبخ وغيرها ، فلكل منها اسم خاص فى اللغات الاجنبية . ومع اننا لا نخترع او نبتكر جديدا فى هذه الاشياء ، فان قادة الفكر واللغة فينا عجزوا على كثرتهم عن اختراع كلمات هذه الاشياء التي لم نهتد بعد الى ابتكارها بانفسنا .

وحتى ما وضع من المصطلحات ، يتجلى فى كثير منه تكلف وثقل ، كالدراجة النارية « وهي فى الحقيقة انواع كثيرة ، ولكل نوع اسم خاص فى اللغات الاجنبية » وكسيارة الشحن وسيارة النقل وسيارة الاسعاف ، كانه لا يوجد ما يعبر به عن انواع السيارات سوى بهذه الاضافة المتكررة ، هلا قلنا : شحانة او نقالة .. الخ ؟

ومن المعلوم ان العرب كانوا فى قديم عهودهم يتكلمون العربية سليقة حيث كانت لا تكلفهم دراسة لقواعد معينة ، واختلاطهم بمن كانوا يسمونهم الاعاجم هو الذي افسد عليهم لهجتهم ، واضطر العلماء والادباء ان يعجلوا بوضع قواعد لهذه اللغة ، خوفا من انصهارها فى اللهجات الاجنبية ، وكان عملهم هذا يهدف الى المحافظة على سلامة اللغة من اللحن ، ولم يكن يهدف الى تيسير اللغة ، اذ لم تكن بعد فى حاجة الى هذا

التيسير واهلها ما يزالون ذوى عزة وبأس . غير وضع قواعد للغة ما ، وخصوصا للغة العربية التي تتطلب اهتماما كثيرا باللفظ الى جانب المعنى ، هو فى حد ذاته عمل جليل يستحق عليه الواضعون كل تقدير واعتبار بيد ان هؤلاء الرجال المقتدرين ، لم يكفرهم احد فى زمانهم ، ولم يقل لهم الناس انكم قد احببتم ان تخرجوا عن تقاليد العرب وتحطموا تراثهم . بل على العكس من ذلك ، فقد تلقى طلاب العلم ورجال الفكر عملهم بمزيد التقدير ؛ وكان علماء النحو فى الكوفة والبصرة ، يتنافسون فى خدمة اللغة العربية . اما اليوم فتفكير بعض الناس ، ينحصر فى وجوب المحافظة على قواعد اللغة العربية واصولها ، دون ان يسمو الى مقارنة مكانة هذه اللغة بين اللغات العالمية ، ولا الى النظر فى حالة تلاميذنا المساكين الذين لا تستقيم لهم لغتنا الا بعد جهد جهيد وسنين متتابعة من الدراسة .

فما العمل اذا ؟ ـ هل نهجر خطنا العربي بالمرة ونكتب بالحروف اللاتينية حتى نحسم مشكلة الحركات المنفصلة عن الحروف ؟ ولكن هذا العمل ، يعد انفصالا عن جزء من مقوماتنا لصالح حروف اجنبية لا صلة لها البتة بالعربية ، ففكرة الحروف اللاتينية والحالة هذه ، يجب ان تنبذ لان العربية ما دامت هي لغتنا القومية ، فلا معنى لان نفصل عنها الحروف العربية التي لا نظير لجمالها فى لغة اخرى ...

غير انه من الضروري ان يفكر قبل كل شيء ، فى تبسيط النحو وتحديد قواعده التي تنقص الاستثناءات المطردة من قيمتها. وتبسيط النحو يستدعي الغاء بعض الاستعمالات كالمثنى فى الفعل والاسم مثلا ، وان كان هذا العمل سيستدعي رد فعل عنيف من المحافظين ، واقصد بهم الذين يفكرون فى غابر الازمان ، ولا يفتحون عيونهم على حقائق الحياة .

واما مشكلة الاعراب بصفة عامة فينبغي ان يوضع لها حد ، فاذا كان من المسلم به اعتبار موقع الكلمة اي موضعها فى الجملة بحيث تكون بعد هذا الاسم او ذاك الحرف مثلا ، فليس من اللائق ان تستمر حركات الاعراب موضع النزاع فى المجالس ، حيث يكون القصد مطالعة كتاب او صحيفة فيتحول الى نقاش طويل فى الرفع والنصب وباقي حركات الاعراب !

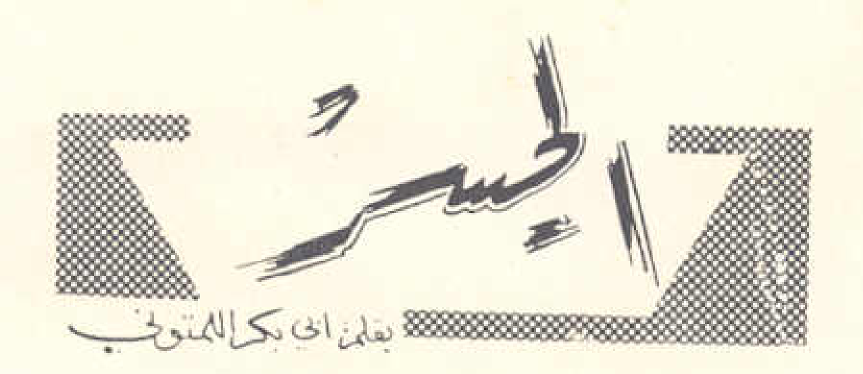
والواقع ان مشكلتي الاعراب والكتابة ترتبطان ارتباطا وثيقا ، اذ لا توجد فائدة كبيرة فى ادماج الحركات فى الحروف ، ما دامت مشكلة الاعراب قائمة .

وفيما يخص الالفاظ الفنية ، اعتقد ان القضية اهون من ان تستلزم كل هذا التراخي والعجز من جانب اللغة . واعضاء المجامع اللغوية يتحملون اكبر مسؤولية فى هذا الباب ، لان سيلا جارفا من الالفاظ العلمية والفنية يزداد يوما عن يوم ، ولا يوجد اولا يحاول ان يوجد له مقابل فى اللغة العربية .

ولا يعيب العربية ان ليس فيها تعابير فنية بالقدر الذي يوجد فى بعض اللغات الاجنبية ، ولو ان رجال اللغة فكروا فى وضع مقاييس تصبح بها التعابير الفنية اكثر مرونة لحلت مشكلة هذه التعابير وصلحت تلك المقاييس ما بقيت اللغة . اما ان يكتفي بايجاد بعض الالفاظ فقط ، مع ما تستهدف له هذه الالفاظ من جدال طويل بين اعضاء المجامع اللغوية ، فستظل دائما فى مؤخرة الركب .

وكثيرا ما يظن بعض الناس ان عجز اللغة فى هذا الباب راجع الى كون العرب انفسهم ليسوا هم الذين يبتكرون الآلات والاجهزة العلمية فيضطروا الى ايجاد اسماء لها . وهذا منتهى الغلط ، فكثيرا ما تخترع اشياء فى انجلترا مثلاوتوضع لها هناك اسماء ، ثم يوضع على الفور ما يقابلها فى بلدان اوربية اخرى .

وانه ما دامت لم توجد مقاييس تعين على تقبل اللغة العربية للتعابير الفنية باكبر قدر ممكن ، ودون صعوبة حقيقية ، فسيظل الصراع قائما فى مجامعنا اللغوية دون كبير فائدة ، بل وربما سيأتي الوقت الذي نود فيه ان نكتب حديثا علميا بلغتنا فنجد انفسنا حيال عشرات من الالفاظ العلمية الحديثة الاجنبية التي تراكمت مع الزمن ولا سبيل الى ترجمتها او تأدية معناها الدقيق فى اللغة العربية .



قصة مغربية تنشر في حلقات متسلسلة



خرج الفقيه احمد من المصلى وهو يهينم بالمعقبات . وما أمن زحام الباب ووجد مضطربا يضطرب فيه ، حتى رمى بجناح «سلهامه» الايمن على كتفه اليسرى ، ومضى بخطى واسعة ، وبوده لو يدرك الحافلة قبل ان تتحرك .

وامتد الطريق امامه حافلا بالعسكر ، والنظارة الذين يترقبون عودة موكب «المخزن» من المصلى ، فراى ان يتنكب عنه الى طريق آخر ، فيعمل بالسنة الشريفة ، ويتفادى جموع المهنئين ، من تلامذته الكثيرين، واصدقائه الفقهاء الذين لا ينتهي لهم حديث.

وفيما هو يهم بالانعطاف ، تأدى اليه من خلفه صوت يناديه ، فلم يلتفت ، وما كان ليلتفت لولا يد ربتت على ظهره ، واضطرته ان يتبين صاحبها . وما التفت حتى اشرق وجهه ، وادرك انه كان مخطئا في تصامه وبسط يديه للعناق هاتفا :

« اهلا بالفقيه ادريس ! اهلا بالصديق الهارب ! اهلا بالرجل الذى لا نراه الا في يوم عيد ! يوم مبارك !»

وتعانق الفقيهان . وما سدلا ايديهما حتى اختطف ولد الفقيه ادريس ، الذي كان يحمل لبدة والده ، يد الفقيه احمد ليقبلها ، ولكنه ما كاد يفعل ، حتى تعالت اصوات الموسيقى مؤذنة بتحرك الموكب ، فاختزل الغلام قبلته ، واسرع رشيقا انيقا يخترق الصفوف ليتفرج ...

واستانف الفقيهان الحديث ، فقال الفقيه ادريس :

ــ « لم لا ارى معك عزيزا ولدك ؟ اما شوفي ؟ »

ــ « بلى ... ولكنه يستجم . وهو لهذا احوج ما كان الى الراحة » .

ولم يكن عزيز شوفي تماما ، ولكن الفقيه احمد آثر اقرار صديقه على حسبانه ، فرارا من تشعب الحديث ، غير ان الفقيه ادريس ــ وقد فاتته فرصة المحاضرة في الطب والتطبيب ــ انطلق يتدفق بفيض من فلسفة الصحة ، وادب الصحة ، وحكم الصحة كغاية من السعي ، وكوسيلة الى عبادة الله .

وعاد الموكب محفوفا بالعسكر فرسانا ومشاة ، وعاد الناس وراءه رجالا ونساء وصبيانا ، وما منهم الا ويسيل ريقه من تخيل ما سينعم بالتهامه من شواء ، ويمني نفسه بـ « بولفاف » دسم يلف الشواء لفا .

وما انتهى حديث الصديقين ، ولكن انتهى امكان وقوفهما بين هذا الموج المتلاطم من الناس ، فشرعا يتمشيان ، وكان ايديهما من وفرة المهنئين ، المصافحين والمقبلين ، مجاديف لا تسكن على حال .

وانتهز الفقيه احمد فرصة انصراف الفقيه ادريس عن الحديث ، فودعه دون ان يحفل باستيائه من لقية قصيرة بعد غياب طويل ، وانحرف نحو طريقه يحث الخطى والفكر معا ..

ذكره العيد زوجته التي كانت ايامها كلها اعياد وكيف ثكل بثكلها لذة العيش وبهجة الحياة .

وشجى فقيهنا حتى الفى نفسه يردد هذا البيت الذي داسه دوسا من طول ما مر عليه فى شروح الالفية:

خليلي ما احرى بذي اللب أن يرى
صبورا ولكن لا سبيل الى الصبر

وحاول فقيهنا ان يعزي نفسه بأن عزيزا وحيده ليس الا امتدادا لحياة والدته ونفسا من روحها ، ولكنه ذكر ، والاسى يغمر جوانحه ، ان عزيزا غلام معلول لا يسعى يوما الا ليعتكف اياما ولا يسلو ساعة الا ليتوجع ساعات ...

وما اسرع ما افاق الفقيه احمد من غشيته ، فانكر نفسه ، ونعى عليها ان تقنط من رحمة الله ، وان تذكر باساءه دون نعمائه ، فهينهم خاشعا : « صدق الله العظيم : انما اموالكم واولادكم فتنة .. اللهم لاراد لقضائك ولا معقب لحكمك الا بالضراعة والدعاء ... رب اني اضرع اليك ان تشفي عزيزا وترد عليه صحته ! »

واضفى هذا الاستسلام على فقيهنا راحة وامنا فعاد يرى جوانب مشرقة من حياة عزيز كانت فى ظلمة من يأسه وشجاه ، فقال فى نفسه :

« ان عزيزا على سقمه ، بيض الوجه ويشرف الآل . ان اخلاقه جماع الثناء ، وثقافته مبعث الاعجاب . والافرنجية .. ؟ انها ليست على السنة لداته بأسرع منها على لسانه ، مع انه تاخر عنهم فى الالتحاق بـ « المدرسة » ! .

يا للزمان كيف يتقلب ! ويا للافكار كيف تحول ! لقد كنت اعد المدارس كنائس تعمد صبيان المسلمين .. حتى بلغ بي الزمان ان احمل عزيزا بيدي هاتين الى المدرسة ، والقي به فيها ، غير آسف الا على ما قضاه عزيز من الوقت قبل ان يعرفها ! لقد افادت المدرسة عزيزا ما لم يكن فى وسعه ان يفيده دونها . ان الاوهام التي كانت توجه راي الناس فى المدرسة ، حرمت اكثرهم من الافادة منها ، فحرموا خيرا كثيرا . ان الحياة اصبحت فى حاجة الى زاد من المعرفة لا يتوفر عليها الا لخريجي هذه المدارس ، فما يضير ولدي ان يكون منهم ؟ صحيح ان المدرسة لا تخرج فقهاء ... ولكن الدين لا يقوم على الفقه وحده ... ترى ماذا يكون من امر الاسلام لو اصبح المسلمون كلهم فقهاء ؟ ! » .

واقترنت كلمة «الفقهاء» فى ذهن الفقيه احمد بالجلباب والسلهام ، فمد طرفه يستعرض ازياء المصلين ومن اليهم من النظارة ، فكاد يحكم — جائرا — لزي الفقهاء بالغلبة والاجتياح ، لولا ان ذكر ان تسعة اعشار هؤلاء « المتجلببين المتسلهمين » لا يكادون يستقبلون ديارهم، اولا تكاد ديارهم تستقبلهم حتى يلقوا بجلابيبهم وسلاهيمهم الى حيث تنعم العثة بها او ياتي عيد آخر !

ورثى فقيهنا لانزواء هذا الزي الوقور ، وراح يلقي تبعة هذا الانزواء على ما يسمونه بالحضارة الحديثة ، فما كان الناس لولا هذه الحضارة لينكروا ماضيهم ويتخلوا عن تقاليدهم .

وذكر فقيهنا انه ، وهو يوسع الحضارة الحديثة ذما وتهجينا ، لما يزل يمجد المدرسة التي هي اثر من آثارها ويد من اياديها !

ايكون اذن لهذه الحضارة وجهان ؟ !

واوشك فقيهنا ان يستنجد حكمة « الثمار للجنى والعود للحطب » لتخلصه من ارتباكه ، لولا انه شعر بما فى منطقه من ضعف وتخاذل ، فقد وصل الى ان الحضارة كالشلال لا تسعها المصفاة وكالزوبعة لا يقف لها الغربال .

ورضي الفقيه احمد على نفسه التي صنعت هذا التشبيه الجميل ، ولكنه ايضا نعى عليها ان تحاول التخلص من مشقة النظر وكلفة الاجتهاد ، فذهب يلاحق نفسه حتى اعادها وعلى عنقها آثار اظفاره اللطاف .

لم الفقيه احمد شتات فكره ، ورجع لنفسه ، وحام حولها ، فاشفق من حيرتها ، وعزم أن يطهرها من الشكوك بالقدر الذي يسمح به ما حولها ، وان يكفها عن الفكر المجرد الذي يكده ويضله ، ويباعد بينه وبين النتيجة التي يسعى اليها ويحاول ان يقيم عمله عليها . ولا اسهل عليه من ذلك لو ضيق دائرة فكره حتى لا تتعدى مسائله الخاصة ، ثم ينظر فى هذه المسائل بواسطة « اصول الفقه » التي يتوفر على قواعدها . انه اذن لواصل الى تجلية موقفه ،

وطمأنة قلبه ، واراحة راسه من هذه المطارق التي لا تنفك تنهال عليه من امام وخلف ويمين وشمال .

ليقصر اذن همه على هذه النوازل التي تنزل به وبمن يساله الله عنهم من اهله وبطانته . ولعله بعد ذلك ان يصبح اقدر على فهم هذه الحضارة ، والحكم عليها ، واحلال اهلها محالهم من مراتب الطاعة ومراقي الايمان .

واستعرض فقيهنا حياته ، فما وجد فيها مبررا لما هو عليه من الغم والعناء . حتى حياة ابنه الذي هو من مواليد هذه الحضارة ، لم يجد فيها ، بعد ان قلاها ونفضها ، مظنة لحرام . فعلى م اذن كل هذا الشجن ... ؟ ! اعلى أن يرغب ولده في استبدال الزي الافرنجي بالزي العتيق الذي يريده هو على الدخول فيه ؟ !

تالله انه لهوس ! امن اجل ان ولده يؤثر ان يكون ابن زمنه ، يثور هو ويصخب ويحتد ، حتى لتبلغ به البادرة ان يقهر وحيده في مرضه ، ويابى عليه ان يلبس البذلة التي انتقاها لعيده ، فيردها هو الى المتجر ، ويلعن صاحبه ، ويدعو عليه وعلى امثاله « ممن مهدوا سبل العصيان امام الشبان » . رباه ! كيف استطاع ان يفعل هذا ؟ ! ولماذا ؟ ! الم يلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة رومية ؟ ! بمن يقتدي اذن ؟ !

وذكر الفقيه احمد ما يتعلل احيانا بقراءته من كتابات هؤلاء المجددين الذين يصفون امثاله بانهم حجارة في طريق الحضارة ! انه لم يشتر قط ولا ورقة مما يكتبه هؤلاء ، فقد كان يربا براسه ان يحشى بكلامهم الذي كان يراه فارغا في احسن حالاته ، وما كان يقراه الا خطفا مما ياتي به ولده عزيز من الكتب والمجلات ، وما كان يقراه الا « من باب العلم بالشيء » ، وما كان يقراه الا في اوقات فراغه التي لو صح ان يلعب فيها لكان اللعب اجدى عليه من هذه القراءة ، وما كان يقراه الا اختلاسا من عزيز حتى لا يظهر امامه بمظهر الوالد الذي « ينهى عن خلق ويأتي مثله » ، صحة وسدادا . فاذا كان مثله عندهم لا يزيد على ان يكون حجرا ، فان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، في حين ان ماءه هو كان ابعد من ان يستثيره حتى سقم عزيز وتظلمه .

وخجل الفقيه احمد من نفسه ، وعزم ان يصلح ما افسده من العلائق ، ويضمد ما جرح من المشاعر

وهل هناك ترضية لعزيز غير ان يعيد بالبذلة التي ردها هو الى المتجر او باخت لها شكلا وقياسا ؟

ليسرع اذن الى المتجر ، واحر بصاحبه — اذا كانت البذلة قد بيعت — ان يكون عونا نافعا له في الانتقاء والاختيار ! اوه ! ومن ياتي بالوجه الذي يستطيع ان يدخل به المتجر بعد ما غمر صاحبه شتما واوسعه سبابا ؟ ! ... ولكن الفقيه احمد ابى ان يرجع عما ظهر له من الحق .

وكان صاحب المتجر رجلا «شاعرا» بقلبه ، وان لم يكن كذلك بلسانه ، فقد عطفه على الفقيه احمد حاله وهو يدخل المتجر مشفقا ويعتذر متلعثما ، وسحره مشهده وهو يتصرف بحمله كما يتصرف الطفل بلعبته جذلا مسرورا .

*

عندما ولج الفقيه احمد باب «الغرسة» — مصيفه الجديد — راى عزيزا يحاور الجزار ويساعده على غسل ادواته ، فسره منه هذا النشاط ، واصر على أن يعده من بشائر الخير وبوادر العافية .

وقال — وهو يمعن في اخفاء حمله تحت جناح السلهام حتى يفاجيء عزيزا فيسعده :

« السلام عليكم ... عيدكم مبارك ! لقد تاخرت عنكم كثيرا .. ولكن لا باس .. احسنتم التدبير ..

ونحى عن كتفيه عزيزا والجزار اللذين كانا يقبلانهما ، وتقدم نحو الكبشين المسلوخين ، وقال — وهو يتحسس احدهما بانامله :

« تبارك الله ! حتى الذي لم يعلف .. ! »

فاجاب الجزار — وهو يمسح جبهته بذراعه :

« انها غنم الضيف يا سيدنا الفقيه ... كلها شبعى ! »

وهنا شعر الفقيه احمد بيد ينتزع منه ما ظن انه خاف عن الاعين ، فتلفت ، فاذا «مبروكة» تقبل يده ، وتبلغه ان الشواء ينتظره ، وتريد أن تحمل عنه ما يحمل ، فابى عليها هذا ، وانسل قبل أن يلبي دعوة الشواء الى غرفة عزيز ، وحط حمله فيها .

توسط الفقيه احمد هالة نيرة من آل بيته وجلسوا يتناولون فطور العيد . وكان روح العيد

طاغيا يفيض على كل شيء : كانت اشعة الشمس تنفذ من خلال زجاج النوافذ الملون ، فتشارك الوانها الوان السجف والرياش في صنع العيد . وكان الهواء في البستان يترشف الازهار في طريقه الى مجلس الاسرة فيغمره بعبيرها . وكان هذا العبير ينفذ الى المجلس قويا حين يخلو له الطريق ، وضعيفا حالما حين يصده الدخان المتصاعد من السفافيد التي تعوض مبروكة عاريها بكاسيها ، او حين تتوقد المبخرة ، وتضوع بروائحها التي تنقل الخيال الى افراح فاس ، او اسواق دمشق ، او اعياد بغداد ... ولم تكن آذان القوم اقل سعادة من بقية حواسهم بأغاني العيد وشياته، فهناك : وسوسة السفافيد ، وخشخشة الصحون ، وصليل الكؤوس ، وازيز «البابور» ، واصوات الموسيقى الاندلسية التي تنطلق من المذياع .

وكاد سرور القوم بعيدهم يكون خالصا لولا انهم افتقدوا ربة البيت الراحلة ، فتندت منهم العيون وتقرحت القلوب ... ولكن الحياة اقوى من الموت والحركة اطرد للسكون ، فما لبث القوم ان تناسوا ماضيهم بحاضرهم ، وما لبثت يد فقيهنا ان جففت دمعتيه ، واستأنفت نقرها بأناملها على الكاس البلورية، ذات المحاريب المذهبة ، مماشية انغام الموسيقى الاندلسية الوقور .

وقد صرف هذا الجو النشيط عزيزا عن التفكير في نفسه ، فاستشعر صحة لم يملك معها الا ان يعلن انه سينزل الى المدينة ليقضي بقية يوم العيد فيها .

وقد طرب افراد الاسرة لرغبة عزيز هذه التي زادت اعينهم به قوة وانفسهم عليه اطمئنانا .

ولم يجد الفقيه احمد اصلح من الجو الذي خلفته هذه البشرى لمفاجاته التي فنها فنا واعدها اعدادا ، فقال لعزيز في دعابة متوارية :

« هلم يا عزيزي ... ارني كيف يستقبل الفقهاء الناشئون عيدهم ... لا يجمل بك ان تستقبل الزوار هكذا ... تجمل بما يروقك من جلابيبك وكساك » .

وقام عزيز الى غرفته متثاقلا ليظهر لابيه كما يريده .

ولما عاد عزيز الى اهله لم يكن عجبهم دون عجبه حين فوجيء بالبذلة الانيقة تنتظره في غرفته ، فطوقوه بانظارهم وقد ادركوا انه كان على حق في ايثاره لهذا الزي الذي يصقل شبابه واقام عوده .

وتحولت الانظار عن عزيز الى والده في تشف مرح وشماتة ضاحكة .

وضحك عزيز بدوره ، ثم تقدم الى والده يقبل جبينه .

ومالت العمامة على عيني الفقيه احمد ، فرفعها عنهما وقد اغرورقتا بالدموع .

أبو الثلج

بقلم
محمد الحلوي

قال صاحبي : ان اعجابي بها لشديد ، والوقت ثلج وشتاء ، فلننشرها من جديد فلي رغبة في ان تستقبل حظها في ميزان (النقد الادبي) ولا خوف عليك من ان يتغير راي .
قلت ولكني ساحتفظ فيها برايي ، لانها من بناتي .

مفاتن لم تحلم بها ارض عبقر ... وجنات حور لم تلدها الحواضر

*

ابا الهول هل في الكون بعدك فاخر ... تغنى به شاد وناجاه شاعر ؟
اقمت على مر الاعاصير شامخا ... كانك بالاهوال والموت ساخر
تشيع اجيال الحياة فتنتهي ... الى آخر مبك ومالك آخر
مشى لك ابناء الكنانة خشعا ... تطالعهم منك العهود الغوابر
تعيد الى الاجيال ما طمس البلى ... فانت لما تطوى المنية ناشر
اذا هب من واديك صوت تجاوبت ... باصدائه الدنيا كانك آمر
فلله واد عانقتك رماله ... ووافاك يسعى ماؤه وهو زاخر

*

ابا الهول لا تشمخ بانفك انما ... اقامتك ايد ناحتات مواهر
فطنك اقوام الاها مجدا ... وارجف اقوام بانك ساحر
حياءك ! لا تشمخ وحولك اطلس ... رفيع الذرى للهول والموت قاهر
تعالت كامواج المحيط هضابه ... وعزت روابيه على من يفاخر
متوجة بالشمس والثلج هامها ... واعظم بتاج لم تنله الاكاسر
يصوغ لها وشي الربيع مطارفا ... ربيعية تهفو اليها المشاعر
هضاب بنت اوتادها يد صانع ... صناع وارساها على العز ماهر
فلله اهرام الثلوج مشعة ... يد هدهها فيض من النور غامر
عرائس بيضاء الغلائل حسنها ... وضيء ورياها المحبب عاطر
اذا ما رآها الشيخ في مبعة الضحى ... تجلت لعينيه الليالي الزواهر
فعاش بمراى الثلج والشمس ساعة ... يراجع فيها عمره ويذاكر

ولله غيد راتعات على الربى … رقيقات ما ضمت عليه الخواصر

وجوه غذاها الثلج فهي وضيئة … وهامت بها الانسام فهي نواضر

زهت بالجمال الاطلسي وترفعت … عن البرقع الخداع فهي سوافر

مفاتن لم تحلم بها ارض عبقر … وجنات حور لم تلدها الحواضر

ابا الثلج حدث طالما انت ناطق … بليغ ولقنني فاني شاعر

وانت الصدى الحاكي وان بعد المدى … ورمز لماض توجته المفاخر

اشابت نواصيك الخطوب وخضبت … رباك دماء انبتتها الازاهر

ربى اقسمت ان لا تذل جباهها … لطاغية ما عاش فيها برابر

اذا ركبوا كانوا ربى تمتطي ربى … وان طربوا فالحلم والجود غامر

تؤلفهم والفاتحين شمائل … وتربطهم والمسلمين اواصر

❊

ابا الثلج هل يدري الاوائل ان ما … بنوا من فخار ضيعته الاواخر ؟

اضاعوا تراثا لو سقوا بدمائهم … ثراه لاحيوا روضه وهو ناضر

ولكن سقوه بالدموع فصوحت … ازاهره تلك الدموع الفواتر

فواها لماض اعقبته فجائع … وواها لباك اخرسته المقادر

ابا الثلج لا ذابت ثلوجك انها … طلائع فجر باسم وبشائر

حملت اليك اليوم سرا طويته … وبين ضلوعي – لو ابوح – سرائر



ثريا



ابوري) ... بمريم ام محيي الميتين ،

وبحق عيسى ، والكنيسة والاساقف اجمعين

وبحق بيت الله في روما محج المومنين

وبكل قديس من الابرار والمتزهدين

وبحق ما قبلت من صلب ، وما ستقبلين

يا نسمة الفجر التي مرت على قلبي الحزين

الا مددت يدا الي فانني في الهالكين

*

او تذكرين ؟

يوم اضطجعت على الاريكة تحلمين ..

وظلال نور الياسمين ؛

ومد نرات الظل ترقص فوق خدك والجبين ،

كالظبية الغناء تحضن خشفها ،

في قلب مكنسها الامين ..

ولصدرك المرتج اذ تتنهدين ..

تنزو له شهوات قلبي اذ يلين ..

قولي .. لمن تبسمين ؟

من في منامك تبصرين ؟

في خدك الوهاج ، في شفتيك ،

في لوح الجبين ؛

نور لرب العالمين !

*

افتذكرين ؟

انسيت شط البحر ، والامواج ، والمتفرجين

والسابحات العاديات على قلوب السابحين

وازارك الوردي ، (والروب) الثمين ،

والموج يهجم اذ تولي مدبرين ،

وصراخنا المسموع بين العائمين ..

وعلى صخور الشط حين اتيتني تتألمين

ورفعت رجلك لي ، وانت ترددين :

« قدمي .. بربك ! شاكني الشوك اللعين .

ورفعت ساقك في يدي لكي ارى ما تشتكين

: لا شيء يا بوري .. لعلك يا كذوبة تمزحين

وتوردت خداك .. واحمر الجبين ..

افتذكرين ؟

على الحدود

بقلم
محمد الطنجاوي

صاعدا ...
صاعدا في اكمة
والعتمة
راكبا صهوة برق كخيال
ساريا يمضغ اضغاث المحال
ويزمجر ...
صوته رعد يزمجر
خشن كالتبغ اسود
فمه بالتبغ اسود
وتوارت مدية تحت الحزام
وتمنطق ...
بدليل الخيرات
تحت الحزام !
والكتفان
جبلان !
شامخا كالقمة الحبلى
على سهل خصيب !
وينوء الكتفان
« بمكحلة » ...
طاولت قوس قزح
لفه لما جمح
ونزح
وبسيف شهد الامجاد
في وادي المخازن !
لم يزل من رعشة النصر يغني
ويغني النصر نشوان
هازئا من (سان سبستيان) !

صاعدا ...
صاعدا في اكمة
هو كالاعصار هادر
قال :

« ايها السادة مهلا
ها هنا ..
تحترق الاوجه بالشمس وتبلى
ها هنا تقرون دفلى
ها هنا في مغرب الشرق ..
الف نبي !
وملايين صلاح الدين
ها هنا عند الحدود
يتكسر
ذلك العار الذي ذوبتموه
وصنعتم منه هاتيك القيود
يتكسر !
وانا انشد في هذا الجبل
منذ آلاف السنين
اغنيات الحرية
اغنيات النبيين
واناشيد الامل !

تتهشم
ها هنا هاماتكم تتهشم
وتحطم !
وانا اسمع اعصارا واعصارا
فابسم !
هادئا . اعصاركم يا هؤلاء
ليس يهتز له غصن صنوبر
ببلادي
حين تزار
حين تثار
الملايين التي تطربها النشوة
حين تظفر
فتغني للحياة
باهازيج الدعاة
جبهة تلثمها الشمس
وازهار تبعثر
وزغاريد وحناء
واطباق وسكر

شعب مراكش ابن الشمس
والقمح ، وآهات وعنبر !

وانا ان عشت في اي مكان
لن يواريني تراب
غير شبر من بلادي
ابدا يهفو فؤادي
لبلادي !
حيث ينمو العشب
امواج وانهار وجدول
وقناديل على الزرب
على كهف معطل
والاناشيد باحداق الصغار
تولول !

وزوى الراكب بين الحاجبين
واستوى طودا وحدق
ودوى صوت كاعصار ممزق

« ... ايها الراكب كالطيف
على برق تخطف
انت ...
فاستسلم لنا

او تلطف !
انما هذي البلاد
كنز قارون النميس
لنا !
نعلم السر هنا
انت ...
فاستسلم لنا !
ثم دوت طلقتان

صاعدا ...
صاعدا في اكمة
والعتمة
قال :

« ايها الحقد الذي جاء هنا
مبتسما
انا لن استسلما !
من راى النور على الاطلس
لن يستسلما !
من يكن حرا ابيا
مغربيا
ابدا لن يستسلما !



مسجد مدينة « شفشاون »

أصوات من إفريقية

بقلم: مصطفى المعداوي

الركب الفجري :

لك يا مروج الغاب نشدو من اغانينا العذاب
تتعشقين الحقل ازهارا وافنانا رطاب
فى النبع عند الكرمة الخضراء تنقين الصحاب
وتجددين مع الربيع على روابيك الخصاب
زهرات عمرك كي نعب على براعمها الشراب
حان الرحيل فيا مروج تذكري .. هذا .. الركاب

❊

افريقية :

يا سائرين على شواطيء جدولي وشذاه دربي
حل الاخاء بربعنا فتحسسوا خلجات قلبي
ولتحملوا « للسود » فى كل الدنى افراح شعبي

❊

فراشات عابرة :

هو ذا الربيع الازرق البسمات مزهو الوشاح
تتعانق النغمات فى كاساته بحباب راح
فلنمض نرقص للحياة على الزهيرات الملاح
فى غابة الشفق المزركش بابتسامات البطاح
يتلو القطيع على مغازلة الخرير دعا الرواح
ويهش يرقص للمساء على تغاريد الملاح
هو ذا الربيع اطل والازهار تضحك للصباح
حان الرحيل فيا مروج ترقبي هول الرياح

❊

فلاحون شباب :

يا قلعة الابطال انا سوف نكفيك الاعادي
الغاصبين وقد احاط بغدرهم لهب الجهاد
الصامدين ؛ وليس اعنف من صمودك يا بلادي
ما زالت الانواء تحصد جمعهم شر الحصاد

❊

صرخة افريقيا :

هـذه ارضـي تغنـي والسنـا يعلـو رباهــا
تتحـدى صيحـة الجـور الـذي يخبـي ضياهـا
القـديـر الابـيـض الحالـم ينبـوع رواهـا
ذلـك النبـع الـذي فـاض مـن عمـق ثـراهـا
والرعـاة السمـر فى المرج يهنـون الشبـاهـا
يلظـى حـرب علـى الاقطـاع قـد دارت رحـاهـا

❊

مـلاك النصـر :

هيـه يـا رجـال — شـدوا النصـال
بـارك المـولـى — انشـودة الابطـال
هيـه يـا رجـال — هيـه يـا رجـال

❊

الركب العائـد :

ونعود .. سـوف نعـود للسهـل المحرر والجبـال
فنعـانق النسمـات تـائهـة تباركهـا الـدوالـي
ونعيـش عيـش القـانعيـن بـارضنـا ارض الظـلال
هـذي الـتي شدنـا علـى مرصاتهـا حصـن النضال
هـذي التي خضنـا علـى جنباتهـا حمـم القتال
فالدهـر عبـد – يـا بـلادي – حين يصدم بالنبـال

❊

الى جندي مجهول :

غدا يلتقي الصبح فى صدره — بوهـج العبيـر
فيمضـي يعـج باعماقـه — دعـاء القـديـر

❊

وتـدفعـه كـالصـواريـخ روح لـه لا تحـد
وتـزعجـه بـانتفـاضـاتهـا امـان لـه لا تـعـد

❊

فيمضي جديدا وفى صدره شعاع من العـزم لا يصـدع
ويعبر تلك الخطـوط ... وراء السيـاج ولا يرجـع

❊

هنا قضى قبلـه الاولـون — ومات صبـاح
وعزى الزمان ابتام القرون — بتلـك البطـاح

لستُ أنا ...

بقلم: محمد الصباغ

لا يا اصدقائي ، لست انا ذلك الذي تحسبون .

فما كلماتي التي تقراونها سوى بخار كثيف يحجبني عنكم، ويحجبكم عني. وساظل اكتب ، وساكتب كثيرا ، متوهما اني ساجدكم في غدير حروفي ، وساقية مقلتي . وستظلون انتم تقراون ، وعبثا تقراون ، متوهمين انكم عثرتم علي ، وفي الحقيقة انكم ما عثرتم الا على جماجم جوعي ، ورفات ظمأي .

لقد مرت علي ثلاثون سنة وانا افتش في ذاتي عنكم ؛ وفي هذه الذوات التي تحيط بي ، وتحوم حولي ، وتمشي معي : من ظلال وانوار ، من جداول ورياض ، من نسائم واغصان . وفي الليل اراكم تغمزونني من شرفات النجوم ، فاطيش اليكم على ارجوحة القمر ، فلا اعثر الا على حباحب ظمأي .

ظمأ في عروقي ، في أعصابي ، في دمي ، في اظفاري ، في انابيب عظامي .

ظمأ سخين أحمر ينفخ في مخي ، وفي رفيف دماغي ،وجعبة خيالي ، وقوس تفكيري ؛ المسه في عيني كصحراء سوداء تمشط فيها الشمس حراراتها .

ألا من يدلني على كلمة طفلة بريئة من النقاط والفواصل !

كلمة اريدها في سن الاعشاب الندية الخضيرة ، ومن قطف اسرار البوح الخبيئة. من يبيعها الي فاشتريها منه بكل مؤلفاتي وما ملك خيالي .

❋

لا يا اصدقائي لست انا ذلك الذي تحسبون .

لا أنكر اني رافقتكم في الشارع ، واجتمعت بكم في سمر قطوفه كرم الليل وليمون السحر ، وملء ثغورنا بسمة الشباب العابث ، كما اجتمعنا ، واجتمعنا كثيرا ، وتنادينا، وتآخينا ، وتحابينا ، واحببتكم انا كثيرا . اتذكرون ؟

اني اذكر جيدا اني كنت غائبا . . . مفتشا عنكم في اول زهرة من فيض نــــور الصباح ، باحثا عنكم في آخر اغنية من عصافير المساء . كنتم تلوحون لي ، وانا معكم كشيء قريب من هذا : كعتمة من بياض القطن ، امد اليها يميني ، متعلقا بكم فتهوى في الفراغ ــ في الف فراغ . . .

❋

لا يا اصدقائي ، لست انا ذلك الذي تحسبون .

انا ذلك الذي يرافقكم دون ان تعرفوه ، ويخاطبكم دون ان تسمعوه ، ويجلس معكم دون أن تروه .

انا ذلك الذي يحلم عندما اكون يقظا ، ويغني عند ما اكون حزينا ، ويرقص عندما اكون جريحا ، ويحب عندما اكون غاضبا .

كنتم فيغيبي عاصفة من ورد ، ولما استحالت العاصفة الى نسيم رطيب هادىء، تلاشيتم امامي كاغصان الرماد ، وتلاشيت انا امامكم كخيط شمس في وارف ظل .

اطلبوني ان شئتم من الكلمة البتول التي لا تكتب ، ومن النبع الذي يفور ، ولا يفور الا بالظما .

اطلبوني على حقيقتي من موقد الشفق الذي يحترق فيه النهار ، فينهمر ، وكأنه وبر الفحم .

روبورتاج عن :

مؤتمر الأدباء العرب بالكويت

بقلم عبد الهادي التازي
عضو الوفد المغربي للمؤتمر

استرجعت عكاظ أيامها ولكن على ضفاف الخليج العربي ... فهنا كان ملتقى مائة وتسعين اديبا وكاتبا وناشرا من انحاء العالم العربي ، هذا الى عشرات اخرى ممن آثروا الحضور ولو انهم لم يتوصلوا باستدعاء ، وهكذا كان عدد الذين تؤويهم ثانوية الشويخ ، ونادي الموظفين .. زهاء المائتين وعشرين نسمة ...

لم يبتدىء المؤتمر عمله الا عند الساعة الرابعة من مساء السبت 20 دجنبر 1958 (اي الواحدة زوالا بتوقيت المغرب) ، واقتصرت هذه الجلسة الطويلة على حفلة الافتتاح وقد القي فيها ثمان عشرة كلمة .. اولها كانت للشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس معارف الكويت (وزير التعليم) وآخرها للاستاذ عبد العزيز حسن السكرتير العام للمؤتمر ومدير معارف حكومة الكويت .. وبينهما ادرجت كلمات الوفود : الجامعة العربية ، الاردن ، البحرين ، تونس ، الجزائر ، السودان ، العراق ، السعودية ، الجمهورية العربية المتحدة ، عمان ، فلسطين ، لبنان ، قطر ، ليبيا ، المغرب ، اليمن .

وكان اليوم الموالي بداية العمل الجدي .. لقد استغرق صباحه اجتماع اللجان التي تبحث مشاكل الكتاب العربي .. وكانت هذه اللجان خمسة في الواقع بيد ان اللاتي شرعت في العمل منذ اليوم اربعة فقط :

لجنة النشر والتوزيع : وقد انتدب فيها عن المغرب : عبد الكبير الفاسي .

ولجنة الترجمة : ومثل المغرب فيها : عبد الهادي التازي .

ولجنة التراث : وحضر عن المغرب فيها : عبد القادر العاصمي .

ولجنة المجلة : وقد ناب عن المغرب فيها : محمد عزيمان .

ظلت هذه اللجان الاربع تجتمع كل صباح من الايام التالية : الاحد ، الاثنين ، الاربعاء .

ولقد كان مساء الاحد قد خصص لسماع محاضرتين اثنتين : الاولى عن (البطولة كما يصورها الادب العربي في العهد الجاهلي) ، وقد كان المتحدث هو الاستاذ محمد المهدي مجذوب (السودان) ، بينما كان الملقان الرئيسيان الاستاذ عبد العزيز الرفاعي (السعودية) ، والاستاذ سيف الدين الكيلاني (الاردن) .

لقد استهل المتحدث كلمته يقول : وبعد فنحن الآن نسمع ونشهد والعالم يسمع ويشهد دوي بلاد العرب ، حيث كانوا ، بالثورة .. والاستشهاد في سبيل حرية العرب والانسانية .

ان اصرارنا يتوقد في خفقة واحدة تنتظم شاطىء الاطلسي في المغرب حتى شاطىء العرب في الشرق ، وخضرة اليمن السعيد في الجنوب حتى منابع النيل في سواد افريقية .

نحن نعرف هذه المعارك التي نصلاها اليوم ، نعرفها كما عرفها آباؤنا الابطال وخاضوها مؤمنين وخرجوا منها وهم اشد ايمانا وعزما ، ياخذون النصر كما ناخذه اليوم قادرين .

عرب هذا شانهم في الماضي والحاضر ، فان لهم بطولة لا تنحسم ، فهي متصلة بمستقبل الانسان ومصيره ، ورغبته في الحرية والعدالة الآمنة ..

واطرى الملق الاول الحديث ... بينما طاب للمعلق الثاني ان يذكر انه « ابتر » من سائر جهاته ، في حين وقف مناقش ثالث يعقب على تفاهة النقط المطروقة سواء عند هذين او ذاك .. وفي كل هذا كانت المتعة تكتسح جوانب القاعة ...

وتلت هذا المحاضرة الثانيـة : (البطولة كمـا يصورها الادب العربي بعد ظهور الاسلام حتى سقوط بغداد) وقد كان المتحدث هو الدكتور صلاح خالـص (العراق) بينما كان المعلقان الرئيسيـان عبد الهـادي التازي (المغرب) والاستاذ محمد امين عبد الله (عمان)

كان حديث الدكتور صلاح خالص تحليلا نظريا لمعنى البطولة .. : ان البطولة ايهـا السـادة ليست صفة لاعمال جريئة يقوم بها هذا او ذاك من الناس .. انها اعمق من ذلـك بكثيـر فهـي فكـرة وعمـل .. البطولة ضد الشر ، ضد الفساد ، ضد الرذيلة ، ضـد الرجعية ... الى ان يقول : ان ابطال القرآن كلهـم ثائرون انبثقوا من المجتمع لا ليسندوا النظام القائم .. وانما جاءوا ثائرين يريدون محو ما هو موجود مـن ضلال وفساد .. فهذا نوح .. وهود .. وشعيب ، صالح ، موسى ، ابراهيم ، يوسف ، ايـوب .. ابطال دافعوا عن الحياة ، عن سعادة البشر وعن مستقبلهم .. وكان محمد (ص) النموذج الاعلى لهؤلاء الابطال ..

ولما كان المعلق المغربي لم يقتنع بحديث الدكتور خالص فقد انتقده ، ذاكرا ــ بعد ان اثنى على المكانة العلمية التي ينعم بها الدكتـور ــ ان الموضوع الـذي عرفناه منذ نحو مـن ثلاثة شهور لم يطرق من قبـل الدكتور ، وانه كان عليه ان يتناوله حتى لا يصـدم انتظار المؤتمرين الطويل ، ثم ذكر عبد الهادي التازي انه ليس في وسعه ان يواكب المتحدث في انصرافه عن صميم الموضوع ، ولذا فهو يأسف لكونه يقف هـذا الموقف ازاء الدكتور الذي كان عليه على الاقل ان يضع خطوطا كبرى للموضوع .

وبعده نهض مندوب عمان فاكتفى بالثناء علـى المتحدث .. وهنا توالى طلب الكلام من المتطوعيـن للتعليق .. فوقف الاستاذ احمـد الشرباصي مـن الجمهورية العربية المتحدة ، فاكد ان الموضوع لـم يتناول بحق من لدن الدكتور خالص . ثم تقدم للكلام الدكتور سليم حيدر رئيس الوفد اللبناني (سفيـر لبنان بالمغرب) وبعد أن لمح الى ان الموضوع ليس هو الموضوع الذي كان ينتظر من جانب الدكتور خالـص بعد ذلك .. انتقد بعض ما جاء في حديثه عن البطولة قائلا ، ان الانبياء ليسوا ابطالا وانما هم ارادة من الله فوق الارض ، انهم فوق البطولة يا صديقي ...

وهنا طلب رئيس الجلسة الاستـاذ مهـدي الجواهري (العراق) من الدكتور حيدر ان يكف عـن الكلام ، لكن الدكتور حيدر رفض ان يغادر القاعـة .. وحاول الجواهري ان ينسحب .. ولكن تدخلا مـن مدير المعارف بالكويت ارجع الامـور الى نصابها .. وهنا يليق ان اذكر انه لم يكن هناك تضارب لا بالمقاعد ولا بالكؤوس كما قرات ذلك في بعض الصحف الفرنسـية والعربية الصادرة بلبنـان .

وهنا يسوغ ان نذكر ان كل بحث من البحوث السبعة كان يستدعي اجتماعا خاصا للمناقشة حوله يتركب من رئيس الجلسة والمقرر والكاتب من جهـة والمتحدث والمعلقين من جهة ثانية ، وتستمر هـذه المناقشات صباح كل يوم .



صاحب السعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح يفتتح المؤتمر بقاعة ثانوية الشويخ

وبعد ظهر الاثنين 22 دجنبر : كان موضـوع البحث الثالث : (البطولة كما يصورها الادب العربي في الاندلس وشمال افريقيا) وكان المتحدث في الموضوع هو الاستاذ محمد المزالي (تونس) بينما بلغ عـدد المعلقين عليه ثمانية : خمسة رئيسيون وثلاثة متطوعون: مفتاح الشريف (ليبيا) دكتور مهدي المخزومي (العراق) عمثان السعدي (الجزائر) عبد اللـه احمد حسيـن (الكويت) عبد الرحمن معاوده (قطر) عبد الهادي التازي (المغرب) الدكتور منصور فهمي (ج ع م) محمد عوض (السودان) .

استهل الاستاذ المزالي حديثه هكذا : « اني اذ اشعر بشرف تقديم مثل هذا الموضـوع الخطيـر لتتناولوه بالتعليق والمناقشة لا اخفي عليكم انني غيـر راض تمام الرضا عما انتهيت اليه من بحث تحرير هو الى الارتجال اقرب ، وبعمل التعميم والتبسيط اتصف وانسب » .

واختلفت نبرة المعلقين فمن مشيد بالحديث .. ومن متمم له ومن منتقد ومن متحامل ، وفي المعلقين من استشهد بمجلة (دعوة الحق) مرتين متواليتين .. وذكر بعض الشعراء الناشئين المغاربة ..

وكان في جملة ما قاله المعلق المغربي : لقد كان على الذين وزعوا المواضيع ان يقدروا وضع المغرب بالنسبة للاندلس .. فهو - كما تشهد بذلك كتب التاريخ - كان النكتة الوحيدة لابطال الاندلس ، ومن صحن القرويين بفاس كانت تصدر الصيحات لصالح الاندلس .

وفي مساء الثلاثاء كان موعد مهرجان الشعر والموسيقى : الكويت بائية ، مصر تائية ، فلسطين نونية ، العراق غير ملتزم ، الاردن رائية ، السعودية نونية ، الجزائر عينية ، البحرين - السودان - تونس - المغرب - اليمن .



لجنة التوصيات عن البحث الاول والثاني . من اليمين الى اليسار : تونس ، عمان ، المغرب السعودية ، السودان ، الاردن ، العراق

وكان مساء الاربعاء موعد سماع البحث الرابع : (البطولة كما يصورها الادب العربي بعد سقوط بغداد حتى بداية القرن التاسع عشر) وكان المتحدث هو الدكتور شكري فيصل (ج ع م) والمعلقان الرئيسيان ابراهيم العريض (البحرين صالح الخرفي (الجزائر) ولقد تطوعت الدكتورة بنت الشاطىء بالتعليق هي الاخرى استجابة لرغبة فتيات الكويت التي نزلت اليها « من عل » وبالرغم من ان صرامة الرئيس (السودان) كانت بالغة فقد استطاعت الدكتورة ان تزيد دقيقة واحدة على الدقائق الثلاث المحددة !

لقد افتتح الدكتور حديثه مشيدا باسلوب ابن الاثير حينما كان يكتب تاريخه : لقد كان حريصا على ان يقف من الوقائع والاشخاص موقفا موضوعيا ، وقد يتأثر بهذا العامل او ذاك وقد ينفعل هذا النوع من الانفعال الملائم او ذاك من الانفعال المعاكس ، ولكنه على كل حال كان حريصا على ان لا يدع لهذا الانفعال ان يكون له انعكاسه فيما يروى او ينقل . انه بمعنى آخر حرص على ان يقف من الاحداث موقفا حياديا .. اللهم ما كان من حديثه عن التتار .. ثم استرسل الدكتور متحدثا عن هذه الفترة من تاريخ العرب .. وفيها تخلص للموضوع .

وعلى العادة فقد اتجه المعلقون والمعلقات .. ذات اليمين وذات اليسار ، ولكنهم اتفقوا على شيء واحد هو اكبار بحث الدكتور ...

وصباح يوم الخميس خلت القاعة للجنة الخامسة من لجان بحث مشاكل الكتاب العربي ، تلك هي لجنة حقوق المؤلفين ، وقد ناب عن الوفد فيها السيد عبد الكبير الفاسي .

اما مساء الخميس فقد كان موعد البحث الخامس : (البطولة كما يصورها الادب العربي الحديث)

ولقد وزع هذا الموضوع بين اساتذة ثلاثة . فتكلم عنه من حيث الرواية العربية الحديثة الدكتور سهيل ادريس (لبنان) الذي افتتح حديثه يقول :

اذا اردنا ان نبحث في روايتنا العربية الحديثة عن خصائص البطولة كما كان يصورها ادبنا العربي القديم فاننا سوف نفتقدها لا محالة ، في معظم انتاجنا القصصي المعاصر .. »

وتكلم عن الموضوع من حيث الشعر الاستاذ عبد الرزاق البصري (الكويت) وقد بذل جهدا لا ينكر في استيعاب حديثه ولو انه لا يتوفر على المشجعات وقد افتتح بهذه الكلمات :

« نعتقد ان للايمان بعقيدة من العقائد او بهدف من الاهداف اكبر الاثر في خلق البطولات في بعض الافراد ، فالبطل لا يكون جريء الجنان مستعدا للتضحية الا اذا كان مؤمنا بعقيدة من العقائد او بهدف من الاهداف . »

وتكلم عن الموضوع من حيث المسرح والسينما الدكتور عبد القادر القط ، الذي ذكر باديء ذي بدء :

« انه جدت على الادب العربي ، فنون لم تكن فيه من قبل ، لعل اهمها المسرحية والرواية ، وقد تطورت الرواية منذ ذلك الحين حين اصبح لدينا فيها الآن من الاعمال ما لا يقل فى مستواه عن الروايات العالمية المعروفة ، اما المسرحية فانها رغم ما احرزت عليه من تقدم كبير لم تزل تعاني كثيرا من مظاهر النقص فى كم الانتاج وكيفه على السواء ... »

ولقد كان المعلقان الرئيسيان على هذه الاحاديث فى مجموعها : عبد الكريم الكرمي (فلسطين) والسيد محمد الفضل بن عاشور (تونس) .

وكان الرئيس فى هذه المرة ايضا (مصر) صارما ولكنه رفيق ايضا .. بيد ان عدد المتطوعين من بعد تضاعف .. فقد علق الدكتور محمد يوسف بخسم (فلسطين) الذي انتقد خروج بعض الادباء عن الموضوع المفروض عليهم ، ثم عبد الكريم المدرس (جامعة الدول العربية) ثم الاستاذ عكاش (ج ع م) ثم الاستاذ خليفة (ليبيا) ثم الاستاذ الشرباصي (مصر) ثم الاستاذ عبد الرزاق الضرير (الكويت) ثم الآنسة نجيبة السراج ملاحظة من فلسطين ، وهي تلاحظ لماذا لم يذكر ابراهيم طوقان فى معرض شعراء البطولة ؟ ثم الاستاذ الكبير سامي الكيالي الذي عتب على سهيل ادريس اهماله لبعض ادباء القصة .. ويرجع الدكتور القط ليخمش منتقديه ويحتج على سلوكهم معه .. وكانت لحظة دقيقة فى المؤتمر ايضا .. ولم تنقذ الموقف الا تلك **(اللازمة)** التي كان يعتصم بها الرئيس دائما (ثلاث دقائق لا اكثر)

واقبل ظهر السبت .. فكان البحث السادس (البطولة فى ادب الاطفال) وقد تحدث فى الموضوع الاستاذ احمد ابو بكر ابراهيم (الكويت) الذي افتتح حديثه يقول : « عندي ان ادب الاطفال اهم الآداب جميعا اذا كان قياس الادب باثره الباقي فى النفوس ، فهو بذلك يعد الادب الموجه للجيل الصاعد وغارس العادات ، ومقوم الاخلاق ، وموضع امل الآباء والمجتمع والامة ، بل يعد ادب الحياة لانه الادب الصانع لمستقبل الحياة ... »

وقد علقت عليه اولا الدكتورة بنت الشاطيء (ج ع م) التي استهلت تعليقها بانتقاد حظ الاديبة العربية فى هذا المؤتمر .. « شاء المؤتمر ان يجبر خاطر حواء فيسمح آخر ايامه لواحدة من بناتها ، لواحدة نعم وبالتعليق فقط ، من بين هؤلاء الادباء الذين تقدموا ! ان الامومة هي واهبة البطولة ولذلك فهي اولى بهذه الاحاديث من غيرها ... »

ثم انتقدت المتحدث عندما تجاهل قيمة الجدة فى تنشئة الابناء على المكارم .

وشكرها الرئيس بعد ان استبدت بست دقائق عوض ثلاث ، ذاكرا ان هذه المراة التي تدعي انه لا حول لها ولا قوة ، استطاعت ان تثار لنفسها وتاخذ عوض الحصة حصتين ...

ثم ثانيا الاستاذ رئيف الخوري ... الذي كان تعليقه (احماضة) رفه بها عن « الابطال » المستمعين الذين صمدوا امام هذه الاحاديث البطولية طيلة ايام .. قائلا : ارجو ان اتجاوز بكم دور البطولة الى الدور الذي يليه وهو الاستشهاد ! ! ..

وانطلقت بعد المعلقين هذين ، سلسلة اخرى من المناقشين والمقترحين .. الدكتور نجم يلاحظ على بنت الشاطيء فى حملتها على المتنبي .. صالح صبحي (فلسطين) ينتقد على الاستاذ ابي بكر انه لم يذكر صديق الاطفال الكيلاني (رحمه الله) وقد دوت صيحة فى القاعة تؤكد للاديب الفلسطيني ان الكيلاني ما زال حيا يرزق ! ! .. ثم علي قدور (ج ع م) ثم منذر توام (الكويت) ثم عبد الرزاق البصير (الكويت) ثم الخرفي (الجزائر) الذي اكد ان الجدات خطر على شهامة النشء ، ولو كانت الجدات كلهن بنات شاطيء لسحبت فكرتي ، والدليل على ذلك ان طه حسين ما يزال متوفرا على رصيد من الخوف بثته فيه جدته منذ الصغر ، ولهذا لم يركب الطائرة لحد الآن ! ! ..

واخيرا كان الحديث السابع (البطولة فى الادب الشعبي) وقد تناوله الدكتور عبد الحميد يونس (ج ع م) وقد استهل حديثه قائلا :

« ان الادب الشعبي يتسم بخصلتين اساسيتين : اولا هما انه ادخل فى الجهد الجمعي منه فى الجهد الفردي ، والثانية ان الابداع والتذوق فى الادب الشعبي واحد »

وقد كانت محاضرة الدكتور هذه من بين المحاضرات القليلة التي قوبلت بالتصفيقات المتوالية ..

ولقد كان المعلقان الرئيسيان على المحاضرة : اولا السيد سامي الكيالي (ج ع م) وقد نوه بالمتحدث ثم لاحظ عليه في بعض النظريات التي اوردها .. ثم ثانيا نهض الاستاذ عزيمان (المغرب) فاشاد هو الآخر بالدكتور عبد الحميد يونس لافتا النظر لبعض مظاهر الادب الشعبي بالمغرب ... واقترحت (الشرفة العليا) ان تتكلم الاديبة المصرية (جاذبية صدقي) وما كان من رئيس الجلسة الدكتور سليم حيدر الا ان رفع ذلك (الضغط) عن نفسه ، وسمح لها بالكلام .. ثم بعد هذا كانت مناقشات .. ابراهيم العريض (البحرين) سامي الدهان (ج ع م) عثمان سعدي (الجزائر) صالح شهاب (الكويت) رئيف الخوري . ثم نهض السيد بشر فارس فلاحظ على بعض المؤتمرين من الالف الى الياء : ان بعض المتحدثين كان يستجدي تصفيقات الجمهور ! خلط الادب بالعاطفة الجامحة .. حاد بعض الناس عن جوهر الموضوع .. سن بعض الخطباء سنة الاعتذار فاخذها من ورد من بعدهم وما كان ينبغي ذلك علينا ان لا ننشد النجاح الرخيص .. وعلينا ان نتهيأ اكثر .. ومع هذا فقد اشاد باهمية المؤتمر ، وما يعلق عليه ...

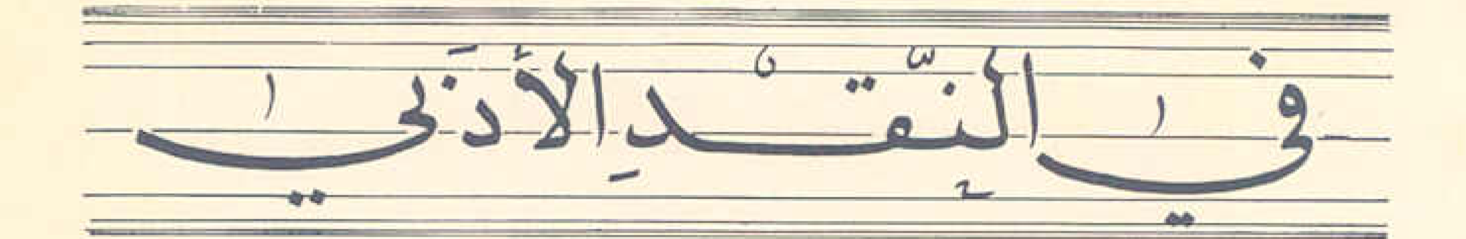
وبعد فهل استعرضت امامكم هذه الايام كما هي؟ سيكون علي ان اقدم بين يديكم جميع ما قيل ، وسيكون عليكم باعتباركم حملة الاقلام ان تقرأوا جميع ما قيل ، فان في ذلك بحق متعة فكرية لا توازي ... والشيء الذي ارجوه من الآن الى اخواني بهذه البلاد ان يعطوا القيمة الجديرة لمثل هذه المؤتمرات ... فانه من العار ان يتقاعس عنه البعض ، ويبخل عنه الآخر ، ويستهين به ثالث ...

ولا يفوتني قبل ان اودعكم ان اذكر انه الى جانب هذه الجلسات (الرسمية) كانت هناك ندوات وسهرات واستجوابات .. ساعدت الى حد كبير على تجديد الاواصر بين ابناء العروبة في الشرق والغرب وعسى ان تتيح لي الظروف الحديث عن المؤتمر اكثر في فرصة قابلة باذن الله .



« وادي زيز » بتافيلالت

تمثل الصورة منعرجا من (وادي زيز) بين « قصر السوق » و « كراندو »



الأخطل

أثر الاسلام في شعره

للأستاذ محمد سليمان الزرابيني

كتب الاستاذ محمد برادة فى (دعوة الحق) عدد دسمبر مقالا ممتعا عن الاخطل وعبد الملك مشيرا الى الاسباب التى جعلت الشاعر يحظى بالمكانة الممتازة عند الخليفة ، كما اشار الى ان المستشرقين قد لاحظوا ان التجديد الذي طرا على الشعر فى العصر الاموي منحصر فى بعض نواحي المضمون وفى استعمال الفاظ جديدة .

وقد احببت ان اشارك الاستاذ برادة فى هذا البحث لابين التاثيرات الاسلامية فى شعر الاخطل النصراني .

ونحن نعلم ان الاخطل وزميليه — الفرزدق وجرير — عاشوا فى العصر الاموي يصيبون — مع غيرهم من الشعراء — من دنيا الامويين كثيرا من الجاه والثراء، وكان البلاط الاموي يزخر طوال العصر بهذه الصحف الشعرية تدافع عن حق الامويين فى الخلافة ، وترسل شواظها على الثائرين من زبيريين وشيعة وخوارج ، وترسل حممها على الصحف المعادية تثير فى اعمدتها كوامن الحقد، وتحيي ماكاد الاسلام يخفيه من عصبيات الجاهلين .

وكان الشعراء يختلف حظهم — بين الاقبال والادبار — فى اتصالهم بخلفاء بني امية تبعا لتطورات السياسة المتقلبة فى ذلك العصر الذي تتحدث عنه .

فاما الفرزدق فلم يكن له الحظوة الاولى الا عند ما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك بعد اخيه الوليد.

واما جرير فاتصل بقصر الخليفة فى عهد عبد الملك ولكنه اتصال لم يسمح له ان يكون الشاعر الاول فى بلاطه .

واما شاعرنا الاخطل فقد بكر عن زميليه فى ان يتبوا الكرسي الممتاز عند مادخل على عبد الملك وانشده قصيدته التي اولها : —

خف القطين فراحوا منك او بكروا
وازعجتهم نوى فى صرفها غير

فقال عبد الملك : ويحك يا اخطل ، اتريد ان تكتب الى الآفاق انك اشعر العرب (والقصة معروفة) .

ومع ان عبد الملك صاحب ذوق فى فهم الشعر ونقده الا انه لم يعط الامارة لشاعرنا بعد دراسة لقصائده ومقارنات بينه وبين معاصريه ، وانما راعى فى هذا التقدير محاباة واضحة لقبيلة الشاعر — تغلب — لما لها من اياد بيض فى الوقوف والدفاع فى صف الامويين ، كما وضح ذلك الاستاذ برادة فى مقاله السابق .

وتلك — على ما اعلم — كانت سنة القوم فى الحكم على شعرائهم ؛ فلم يكن التبريز فى الفن هو الحكم الاول فى الامتياز ،وانما كان لعصبية الشاعر وعلاقته بالمجتمع اثر واضح فى احكامهم مما جعل لكل شاعر طائفة تقدمه وتتعصب له .

فأبو عمرو يقول عن الاخطل — كما فى الاغاني — لو ادرك الاخطل يوما واحدا فى الجاهلية ما قدمت عليه احدا .

وابن سلام فى (طبقات الشعراء) جعله هو والفرزدق وجرير اول طبقات الاسلام ويقول : لم يقع اجماع على احدهم انه افضل ، ولكل واحد منهم طبقة تفضله على الجماعة .

وقد سأل سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز : اجرير اشعر ام الاخطل ؟ فقال له : اعفني . قال : لا والله لا اعفيك ، قال : ان الاخطل ضيق عليه كفره القول ، وان جريرا وسع عليه اسلامه قوله ، وبعد بلغ الاخطل منه حيث رأيت ، فقال له سليمان : فضلت والله الاخطل .

❊

ونقف هنا وقفة لنسأل : اكانت نصرانية الاخطل وسط الدولة الاسلامية لها اثر واضح فى طبع شعره بطابع خاص ؟ ونسأل كذلك : اكان للاسلام أثر ملموس فى شعر الاخطل النصراني ؟ والسؤالان ممتزجان يحملان فى الحقيقة سؤالا واحدا ، ولا معدى لمن يتحدث عن احدهما من ان يتحدث عن الآخر .

اما نصرانية الاخطل فاغلب الظن انها كانت عاملا واضحا فى تضييق القول عليه كما لاحظ عمر بن عبد العزيز عند اجابته سليمان ، وانت اذا قرات ديوان الشاعر كله لا تجده يتعرض للدفاع عن عقيدته عند ما يهاجمه خصومه ويعيرونه بها .

فجرير – فى النقائض – يقول له : –

ليس ابن عابدة الصليب بمنته
حتى يذوق بكأس من عاداني

ويقول فيها : –

اتصدقون بمار سرجس وابنه
وتكذبون محمد الفرقان

وفى اخرى :

حجوا الصليب وقربوا قربانكم
وخذوا نصيبكم من الخنزير

فاذا تصدى الاخطل للرد على الذين يتهجمون على الصليب والقربان ومار سرجس لم يستطع ان يبوح بما فى نفسه فسكت على مضض ، ورد على هاجيه يقول فيه ما يشاء الا ان يتعرض للدفاع عن الصليب والقربان والخنزير ، لا يستطيع الاخطل ان يرد الا بمثل قوله : –

فانعق بضأنك يا جرير فانما
منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

منتك نفسك ان تكون كدارم
او ان توازن حاجبا وعقالا .

وما كنت تنتظر منه ان يفعل غير ذلك والاخطل يعيش فى ظلال عبد الملك الخليفة الاموي المسلم يأكل من نداه ويمرح فى جاهه ، وهو كذلك يعيش فى وسط اسلامي خالص ، لا يقدر ان يتمدح بالكنيسة والخنزير والصليب .

فنصرانية الاخطل وقفت فى سبيله واعجزته عن ان يناقض صاحبه ، واسلامية جرير وسعت عليه القول فطرق موضوعا يعلم تمام العلم ان الاخطل يصعب عليه ان يجول فيه .

ورب سائل يقول : لعل نصرانية الاخطل لم تكن عميقة فى نفسه عمقا يظهر اثره فى شعره ، ولكن نصين هامين فى الاغاني يدلان على تمسك الاخطل بعقيدته :

« قال له عبد الملك : الا تسلم فنفرض لك فى الفيء ونعطيك عشرة آلاف ، قال : وكيف بالخمر ؟ قال وما تصنع بها وان اولها لمر وان آخرها لسكر ، فقال : اما اذا قلت ذلك ، فان فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها الا كعلقة ماء من الفرات بالاصبع . فضحك عبد الملك . »

وهذا النص وان كان فى ظاهره يدل على شغف الاخطل بالخمر الا ان تعلقه بدينه هو الذي منعه من الاسلام ، فقد كان يستطيع – لو اراد – ان يسلم ويستطيع مع ذلك ان يشرب الخمر فى خفاء .

والنص الآخر فيه ان القسيس حبسه فى كنيسة دمشق لشتمه الناس فلما تشفع له شفيع لدى القسيس اخذ الاخطل يقول : « لست بعائد ولا افعل واستخذى للقس حتى اطلق سراحه، فسأله الشفيع: يا ابا مالك ، الناس يهابونك ، والخليفة يكرمك ، وقدرك فى الناس قدرك ، وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له ، فرد عليه : انه الدين ، انه الدين » .

واذن فقد كان الاخطل متمسكا بعقيدته ، وانما الوسط الاسلامي الذي عاش فيه حال بينه وبين الدفاع عنها .

❊

ونخرج من ذلك الى السؤال الثاني فنبحث : اذا كان الاخطل نصرانيا محبا لنصرانيته فهل يستطيع الاسلام – بعد هذا – أن يكون له اثر فى اية ناحية من نواحي شعره ؟

وهنا نذكر ان الشاعر الاموي كان ينظم قصيدته فى جو يخالف جو الشاعر الجاهلي ، فهذا متأثر بالحياة الوثنية ، وذاك ينظم فى جو اسلامي خالص ، فعلماء الدين يجلسون فى المساجد وغير المساجد يدرسون القرآن والفقه والحديث ، ويناظرون ويجادلون فى العقيدة والايمان والقدر ، وشعراء العصر يحضرون مجالس هؤلاء العلماء يسمعون منهم ويأخذون عنهم، ويناقشون كذلك فى شعرهم مسائل الدين المختلفة .

والملاحظ ان السمات الاسلامية ظهرت بوضوح فى الفن الشعري ، وكان شعراء الخوارج اكثر شعراء العصر تاثرا بالناحية الاسلامية لما فيهم من قوة العقيدة ولان الخارجي كان يعبر عن عواطفه هو ، لانه كان فى الحزب القائد والزعيم والشاعر .

وكان الزميلان – الفرزدق وجرير – لهما نصيب كبير فى ان يتضمن شعرهما كثيرا من السمات الاسلامية .

وكان لتاثر الاخطل بتلك الناحية مظهران بينان.

اما المظهر الاول فمظهر عكسي اشرنا اليه فيما سبق ، وهو ان الاخطل وقف عاجزا امام جرير الذي يصب عليه الكثير من الفخر بالاسلام والخلافة والنبوة، والكثير من الهجاء فى الصليب والقربان ومارسرجس وهو مكتوف اليدين معقول اللسان مقيد القدمين لا يستطيع ان يذكر شرا فى رد هذا الهجاء وذلك الفخر . بل ان الاخطل فى هجائه يكاد ديوانه يخلو من الفحش الذي تورط فيه زميلاه ذلك انه لا يمكنه ان يتمادى فى هجاء نساء المسلمين .

فاذا تعرض الاخطل للاسلام بشيء من مثل قوله:

ولست بصائم رمضان طوعا
ولست بآكل لحم الاضاحي

ولست بقائم ابدا انادي
كمثل العير : حي على الفلاح

ولكني سأشربها شمولا
واسجد عند منبلج الصباح

وجدناها ابياتا نادرة فى ديوانه – وهي هنا لا تعدو انها فكاهة وسط هذا المحيط الاسلامي الذي كان مغمورا فيه الاخطل يتفاعل معه ويتنفس فيه حتى ضعفت الصورة المسيحية فى شعره .

*

واما المظهر الثاني فمظهر ايجابي ، نرى الظلال الاسلامية واضحة فى شعره من حيث الالفاظ والمعاني .

فهو يقول :

اني حلفت برب الراقصات وما
اضحى بمكة من حجب واستار

وبالهدى اذا احمرت مدارعها
فى يوم نسك وتشريق وتنحار

ويقول :

لقد حلفت بما اسرى الحجيج له
والناذرين دماء البدن فى الحرم

فالاخطل يقسم – وهو النصراني – بالكعبة ورب الكعبة ويضمن قسمه مشاعر الحج ويذكر النحر والهدى والتعبد وايام التشريق .

ويقول :

فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
كأنهم من بقايا امة ذهبوا

محاكيا فى ذلك حديث الله جل وعلا عما حل بعاد والريح التي اتتهم (... تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) .

*

والمعاني الاسلامية تحتل فى مدائح الاخطل وهجائه المقام الاول، فهواذا مدح الامويين واشياعهم مدحهم بالكرم والشجاعة كما كان يمدح الجاهليون ومدحهم بالتقوى والايمان كما يمدح الفرزدق وجرير والشعراء المسلمون

فعبد الملك امير المؤمنين

الخائض الغمر والميمون طائره
خليفة الله يستسقى به المطر

فهو خليفة الله – وما كان ابو بكر يرضى ان يسمي نفسه الا خليفة رسول الله – وهو مقبول عند ربه يتوسل به اليه فى نزول المطر .

ويقول :

فى جنة هي ارواح الاله ، فما
يفزع الطير فى اغصانها فزع

وما اظن ان الدين المسيحي يصور الجنة تصويرا حسيا كما صورها الاخطل فيها اشجار يلعب عليها الطير آمنا لا يعكر هدوءه ما يعكر حياة الطيور فى حياتنا التي نحياها .

ويقول فى معاوية :

زعموا ولم اك شاهدا لمقامة
ان الخطيب لدى الامام الهيثم

صدرت وفود الناس عن كلماته
بالشام اذ خرج الامام الاعظم

والامام من الصفات التي اضفاها الشيعة على زعمائهم .

❊

وفكرة الجبر التي شغل بها العلماء والشعراء فى هذا العصر وكانت واضحة ومقررة عند الامويين وشعرائهم ظهرت كذلك فى شعر الاخطل .

فهو يقول :

وقد جعل الله الخلافة فيكم
بأبيض لاعاري الخوان ولاجدب

ولكن رآه الله موضع حقها
على رغم اعداء وصدادة كذب .

والاخطل اذا ذم مزج ذمه بالمعنيين : المعنى الجاهلي والمعنى الاسلامي ، فالمذموم عنده :

قبيلته لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

وربما تظن ان البيت مدح لا ذم لما فيه من صفات الوفاء والعدل التي امر الاسلام وحض عليها ، ولكننا عندما نقرا البيت الثاني

ولا يردون الماء الا عشية
على طول اظماء ووجه ملطم

علمنا ان الذم جاهلي على طريقة الجاهليين فيه .

ولكنه يهجو بني اسد بانهم لم يسلموا الا طمعا فى المال وفرارا من الجوع :

فما الدين حاولتم ولكن دعاكم
الى الدين جوع لا يغمض ساهر

وفيها :

بني اسد لا تذكروا المجد والعلا
فانكم فى السوق كذب فواجر

وهكذا يمضي فى ذمه يذكر الاسلام والنبوة والكذب والفجور ، وكلها معان اسلامية كثر دورانها فى هذا العصر الذي عاش فيه صاحبها .

❊

واذا راينا ان الفرزدق كان يجلس الى درس الحسن البصري ، وجريرا كان يجلس الى ابن سيرين، والكميت كان شيعيا معتزلا اخذ الاعتزال عن واصل ابن عطاء ، وغيرهم من الشعراء كان يتأثر بالوعاظ والفقهاء فى هذا العصر ، فانك بعد قراءتك لديوان الاخطل تجده متأثرا بهذا ايضا ، انظر اليه حين يقول :

ونفس المرء ترصدها المنايا
وتحدر حوله حتى يصابا

اذا امرت به التقت عليه
احد سلاحها ظفرا ونابا

واعلم انني عما قليل
ستكسوني جنادل او ترابا

ويقول :

والناس همهم الحياة وما ارى
طول الحياة يزيد غير خبال

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الاعمال

فالاخطل يذكر كيف يحوم الموت حول الانسان وكيف يأتيه على غير انتظار ، ويذكر القبر والتراب ، ويذكر الحياة وتفاهتها ، وان الاعمال الصالحة خير ما يدخر في الحياة ، وماذا كان يقول الوعاظ والفقهاء في هذا العصر الا هذا او شبيها من هذا .

*

حتى في الغزل والخمر نجد التأثيرات الاسلامية تدخل هذين الفنين في شعر الاخطل .

ولئن كان جرير اشد تأثرا بروح الاسلام حتى كان في النسيب أول زملائه في رقة الاسلوب وعفافه فاننا نجد السمات الاسلامية تظهر كذلك عند شاعرنا اذا ذكر الخمر او قال في الغزل ، فاسلوبه يرق ويعف حين يقول :

وتغولت لتروعنا جنية
والغانيات يرينك الاهوالا

ما ان رأيت كمكرهن اذا جرى
فينا ، ولا كحبالهن حبالا

المهديات لمن هوين مسبة
والمحسنات لمن قلين مقالا

يرعين عهدك ما رأينك شاهدا
واذا مذلت يصرن عنك مذالا

ان الغواني ان رأينك طاويا
برد الشباب طوين عنك وصالا

واذا وعدنك نائلا اخلفنه
ووجدت عند عداتهن مطالا

وهذا الاسلوب العفيف الرقيق هو من انتاج الحياة الاسلامية الجديدة كما ان الاخطل يذكر في غزله خلف الوعد والتسويف ، واقبال الغانية عليك اذا كنت حاضرا ، والاعراض اذا غبت عنها ، وهذه صفات رددها الاسلام كثيرا .

وفي الخمر يقول :

شربنا فمتنا ميتة جاهلية
مضى اهلها لم يعرفوا ما محمد

حيينا حياة لم تكن من قيامة
علينا ولا حشر أتاناه موعد

فهو يذكر انه مات من الشراب كما مات الجاهليون الذين سبقوا الاسلام ، ويذكر الحياة بعد الموت ، ويذكر القيامة والحشر ، وهي اسماء لم يكن لها نصيب في الشعر الجاهلي .

ويقرن الحياة بالموت محاكيا اسلوب القرآن فيقول في الخمر كذلك :

تميت وتحيى بعد موت ، وموتها
لذيذ ، ومحياها الذ واحمد

ونلاحظ ان الاخطل في هذا الفن — الخمريات — استاذ عصره اذ كان محبا للخمر معاقرا لها ، والحق انه اختص بهذا الفن دون زميليه ، لان عدم اسلامه جعله حرا في ان يعب منها ما يشاء ، ويقول فيها ما يشاء .

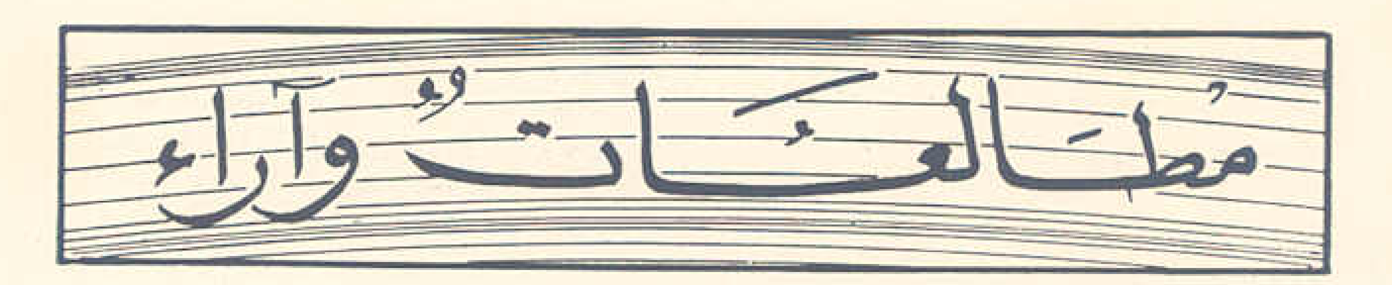
وهو في هذا الفن — كما لاحظ الادباء — تلميذ الاعشى واستاذ ابي نواس .

*

وهكذا نجد الاخطل في كل ما يأتي من ضروب الشعر متأثرا بالناحية الاسلامية اذ هو — كما ذكرنا — مغمور بهذا المحيط الاسلامي يتنفس فيه ويتفاعل معه فأتي شعره متفقا في كثير من الالفاظ والمعاني الاسلامية مع زميليه ومع غيرهما من الشعراء الذين جاوروا هؤلاء الفحول .

محمد سليمان الزرابيني

عضو البعثة التعليمية للجمهورية العربية المتحدة
مكناس — ثانوية مولاي اسماعيل



الاستاذ عبد الله كنون في كتابه الجديد

خل وبقل

بقلم : محمد عبد الواحد بناني

غنيت المكتبة العربية فى المغرب هذه الايام بكتاب جديد لاستاذنا الجليل السيد عبد الله كنون يحمل عنوان « خل وبقل » .

اما العنوان فهو — كما يقول المؤلف — اثارة مما علق بذهنه من دراساته الاولى ؛ اذ يروي عن شعبة انه قال « **كل علم ليس فيه : حدثنا ، واخبرنا ، فهو خل وبقل** » ، واما الكتاب فامتداد لزميليه السابقين « **التعاشيب** » و « **واحة الفكر** » ... تقراه — او تقراها — فتقرا ثقافة وعلما ، ادبا ونقدا ، وتخرج فى النهاية بنتائج ، منها هذه النتائج الايجابية التي لها قيمتها النفسية الايحائية فى فجر انبعاثنا الجديد ، هذه النتيجة التي هي ان الادب العربي فى جناح العروبة الغربي — رغم كساد بضاعته ، وكثرة المفلسين فى تجارته — له انصار ، وله ابرار ، بل له فدائيوه الذين آمنوا بقدسية رسالته فقاموا يناضلون عنها حتى الدماء ...

« ... **ورسالة الادب العربي — يقول المؤلف ص 155 — رسالة مقدسة يجب الا تقتصر على الاغراض اللفظية ، ولا على المتعة الذهنية ، ولا على المعاني الذاتية التي لا يشعر بها الا الاديب المتكلم نفسه ، انها رسالة ! ومفهوم اللفظ مما ينبغي الا يعزب عن البال ، فهو مهمة الهدم والبناء ، والعمل الجماعي المؤدي الى الغاية التي ادت اليها رسالة النبيين من قبل، غايته فتح الآذان الصم ، والاعين العمى ، والقلوب الغلف ، على (دعوة الحق) التي تنقذ البشرية من ضلالها الحديث ، كما انقذتها بالامس من ضلالها القديم . وانها مقدسة : وليس المراد بهذا الوصف معناه الخيالي الذي يتنقله به الحالمون ، وانما المراد به الاكبار من شان هذه الرسالة ، ذات المسؤولية العظمى ، التي لا يتحملها الا ابطال الكفاح من اجل القيم الانسانية العليا ، فهم المجاهدون الذين يزرى مداد اقلامهم بدم الشهداء** » .

تلكم هي رسالة الادب كما يؤمن بها المؤلف .. رسالة هادفة تتخذ الواقع العربي بمختلف مقوماته نقطة الانطلاق ، فاذا بالادب صرخة ، واذا به دفقة نحو الحق ، والخير ، والجمال .. لا كما يتخيله اصحاب نظرية «الفن للفن» قوقعة فارغة ، مقفلة على نفسها لا ترى النور ، او رياضة لفظية لا وظيفة لها سوى المتعة الذهنية وازجاء الفراغ .

❋

ومع ان الكتاب «**مجموعة مقالات ادبية ونقدية**» كما يقول المؤلف ، فان هدفها الاسمى وغايتها النبيلة التنويه بـ «**الاسلام**» كعقيدة ونظام ، و «**العروبة**» كمبدأ وشعار .. اذ «**الاسلام**» بمعناه الشمولي ، و (**العروبة**) بمفهومها الواسع هي الانفاس العطرة التي لا تكاد تخطئها فى اية صفحة من صفحات الكتاب او ثنية من ثناياه ، فهما المنبع وهما المصب ؛ اما البحوث اللغوية فى الكتاب ، او التحقيقات العلمية ، او المقالات ذات الصبغة المغربية ، فليست كلها فى الحقيقة الا روافد لهما ، وعناصر لا تطلب لذاتها وانما من اجلهما ...

ففي مقال « **من تاريخ الفدائية فى الاسلام** » ص 88 — 96 يستعرض المؤلف نماذج فذة من اعمال الفدائية والفدائيين المسلمين ، تقف امامها فدائية نساء اثينا فى حرب اسبرطة ، وفرنسا فى حرب السبعين — رغم تنويه المؤرخين بها — خجلى موردة الجبين .. اقراها لتصور حقا معنى قوله تعالى « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » ثم اقرا « **ديوان الشاعر القروي** » (المقال بالصفحات 268 — 273)

حيث ستشارك المؤلف – دون شك – اعجابه بالشاعر اللبناني الكبير ، لاسيما حين تقرا للاستاذ المؤلف قوله : (ص 270) .

« والشعور الوطني عند صاحبنا القروي لا يتركز مطلقا فى تلك البقعة الضيقة من بلاد العرب التي هي لبنان ، ثم يفيض بعد ذلك فى احساسه على البلاد العربية كما هو الحال عند غيره من شعراء الوطنية عند العرب ، وانما هو على العكس يتركز فى الوطنية العربية العامة التي تنتظم بلاد العرب جمعاء ، ثم يفيض من خلجاته وذكريات ايامه السعيدة على بلده لبنان ، كما راينا فيما اقتبسناه من كلماته السابقة ، ويحلو لنا ان نؤكده بعباراته الآتية :

« امتي انا مكثرا ، ووطني انا مكبرا ، اذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكانما اكلوا جارحة من جوارحي ، واذا هدروا عربيا فى لبنان او تطوان فكانما شربوا نقبة من دمي ، وكان كل بلد قوي من بلادي ساعدي مفتولا ، وكل شعب خامل فيها زندي مشلولا ، بل ما اعد ذاتي الا خلية فى جسد امتي ، انا واحد من سبعين مليونا من العرب ، كل واحد منهم انا ، فينبغي ان احبهم سبعين مليون ضعف حبي لنفسي ، من افتداهم فكانما احياني سبعين مليون مرة، ومن خانهم فكانما ... »

تلكم هي الفكرة العربية كما يجب ان تكون .. حقيقة ملموسة فى كل قلب ، وفى كل قول ، وفى كل روح ، هكذا يجب ان تكون ، اولا تكون .

*

اول ما يجب ان يسجل للاستاذ المؤلف من فضل دعوته الى دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وما يلحق بهما من كتب الفقه والكلام والتصوف والتاريخ والرحلات دراسة موضوعية ، لا تقتصر على الشكل دون المضمون او العرض دون الجوهر ، وذلكم فى الخطاب الذي كان القاه الاستاذ المؤلف بمؤتمر ادباء العرب بالقاهرة فى دسمبر 1957 بعنوان « النقد والقومية العربية » (ص 148 من الكتاب) .

فما ان حال الحول حتى كان موضوع البحث فى الدورة الحالية «الرابعة» للمؤتمر هو « البطولة فى الادب العربي » وكان موضوع « البطولة كما يصورها القرآن الكريم ، وتصورها كتب الادب والرحلات » من اهم التفريعات التي شملها هذا الموضوع .. وفى هذا الصدد يقول الاستاذ : (ص156)

« وكما كان تقسيمنا للادب بحسب الاقاليم والعصور جناية على وحدته ، كذلك كان اعتبارنا للادب صناعة لفظية وزخرفة كلامية ، جناية على رسالته . فاعظم النصوص الادبية فى اللغة العربية وهو القرآن لا يعد فى مادة الادب عند كثيرين .. والطريقة التي ندرس بها هذا النص تبين الآثار التي تركها فى الادب من حيث التعبيروالاسلوب معا، واما دراستههو دراسة موضوعية على الاقل كما ندرس ديوان الحماسةاو رسائل البديع مثلا ، فهذا ما لا يهتم به احدا ، والا فاين هو هذا الكتاب فى ادب العرب الذي يعرض ولو سورة واحدة من القرآن – ولتكن سورة يوسف مثلا – ولو على انها قصة ، فى نماذجه الادبية ؟ ومثل هذا يقال فى الحديث الشريف ... الخ »

تلكم حسنة من حسنات الاستاذ ، يسعدنا ان نسجلها له فخورين .

*

مقال محدود كهذا المقال اضيق من ان يستوعب جميع حسنات الكتاب ، سيما وانه يقع فى مائتين ونيف وسبعين صفحة من القطع المتوسط ؛ ولهذا فساكتفي بالتنويه ببعض المواضيع البارزة فى الكتاب ، تاركا للقارىء فرصة الاطلاع على التفاصيل بنفسه ، وتكوين راي شخصي عنها .

فمقال « **عاميتنا والمعجمية** » جديد كل الجدة ، طريف كل الطرافة ، فيه من الاصالة والابتكار وخدمة لغة الضاد الشيء الكثير .

ومقال « **الشعر الاندلسي** » عرض سريع لكنه جامع لاولية هذا الشعر وديباجته ، ودراسة وافية لجوانب هامة منه تشمل المبنى والمعنى معا ، وتمتاز على غيرها من الدراسات التي تناولت هذا الشعر – وخاصة فى الشرق – بما سجلته لشعراء الاندلس من سبق الى « **الشعر الوطني** » هذا الشعر الذي صدروا فيه لا عن شعور عابر او فكرة عارضة – كما يقول الاستاذ ص 54 – بل عن عقيدة ثابتة واحساس اصيل .

كما ان مقالي « **الكتب المنسوبة لغير مؤلفيها** » و « **المعزى بفتح الميم** » فتح جديد فى دنيا التحقيق العلمي ، لا يدانيها فى الاهمية الا المقالان : «**المخطوطات العربية فى تطوان** » و « **المغرب فى حلى المغرب** » .

*

على ان الاستاذ المؤلف قد تعرض فى الكتاب لبعض الجزئيات التي لا تزال حتى الآن محل نزاع فاصطفى فيها رأيا دون آخر من غير ان يذكر الراي المخالف .. وله كامل الحق والحرية فى هذا ما دام كتابه ليس مدرسيا يقصد به البحث لذاته وفى ذاته ..

ولكننا – ونحن نريد عرض هذا الكتاب عرضا منتجا فى هذا المقال – لا نرى فى ذكر الآراء الاخرى المقابلة هنا اي غمز فى اطلاع الاستاذ الواسع عليها ، لان اهمال الناقد – لا المؤلف – لها يحمله مسؤوليتها، بالقدر الذي يجعل المؤلف فى مثل هذه الحال غير ملزم بذكرها ما دام يصطفي غيرها من الآراء المقابلة ..

فخطبة طارق بن زياد المشهورة ، التي القاها فى جنده بعد ان عبر بهم المضيق الى الاندلس : « ايها الناس : اين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو امامكم .. ص 7 » يعتمدها الاستاذ على علمه بأن هناك من مؤرخي الادب – حتى التاريخ – من يرفضها لمجرد التخمين بان طارقا « وهو بربري الاصل » ما كان ادراه بهذه اللغة العربية ، فقد خاطب بها جندا برابرة .. فكيف فهموها ؟ أم انهم – هم الآخرون – كانوا يتقنون العربية ايضا ؟

والاستاذ يعتمدها ، لان معانيها السهلة ليست مما لا تصل اليه عقلية طارق ، ولان قرنا كاملا كان قد مضى على العربية والاسلام بالمغرب ، وهو خليق بأن يجعل طارقا – والبربر معه – يتعلمون العربية ويفهمونها ، أو ان صياغتها من عمل الرواة ، والكل جائز ووجيه .

*

وفى ص 51 وما بعدها يتحدث الاستاذ المؤلف عن اختراع الاندلسيين للموشح ، فيعتمد رواية ابن خلدون فى «مقدمته» وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافي القبري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني (كانت خلافته من سنة 275 الى سنة 300 هـ).

ولكن ابن بسام فى الذخيرة يورد رواية اخرى فيقول : (الذخيرة : القسم الاول المجلد 2 ص 1) « واول من صنع اوزان هذه الموشحات بافقنا واخترع طريقتها – فيما بلغني – محمد بن محمود القبري الضرير » .

وقد كان استاذنا الدكتور جودة الركابي يظن ان الرجلين رجل واحد ، وان مخترع الموشح ما هو الا محمد بن محمود القبري كما جاء فى الذخيرة ، اما مقدم بن معافي الذي يورده ابن خلدون فما هو الا تحريف لذلك الاسم ، حتى ازاح النقاب عن هذه القضية الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني ، عندما اوضح فى مقال نشره فى مجلة الاندلس الاسبانية ان كلا من الشاعرين الاندلسيين المنسوبين الى قرية (قبرة) معروفان ، ولهما تراجم مدونة فى بغية الملتمس للضبي ، والمقتبس لابن حيان .. وان هناك نصا جديدا يثبت كلا من رواية ابن بسام ، ورواية ابن خلدون المنقولة عن الحجاري ، وهو مأخوذ عن كتاب « مزية المرية لابن خاتمة الانصاري » وقد نقله عنه المقري فى ازهار الرياض ..

ولكن الاستاذ الركابي يعجب مع الاستاذ غارسيا غومس فى تعليقه على مقال الدكتور الاهواني (مجلة الاندلس العدد الثالث عشر ص 28 – 31 عام 1948) من ان يكون مخترع الموشح شاعرين اندلسيين كلاهما من قرية واحدة هي قبرة ، وكلاهما من عصر واحد هو عصر الامير عبد الله بن محمد المرواني (فى الادب الاندلسي للدكتور جودة الركابي 304 – 307) .

وفى ص 52 يعتمد استاذنا المؤلف رواية ابن خلدون التي تنص على ان عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (يعني ابا عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز) هو الذي احكم صناعة الموشح ونهج طريقته ،و يضيف ابن خلدون (نقلا عن الحجاري عن ابن سعيد فى كتابه المخطوط بمكتبتي القاهرة والاسكوريال « المقتطف فى ازاهر الطرف » – الركابي هامش ص 305) قوله : « .. وزعموا انه – يعني ابن القزاز – لم يسبقه وشاح من معاصريه الذين كانوا فى زمن الطوائف » .

ولكن الدكتور الركابي يذكر ان اول من برع فى هذا الفن وحدد اصوله بعد ظهوره ، هو عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة 422 هـ. لا عبادة القزاز الذي جاء متأخرا عنه ، والذي اشتهر هو ايضا بموشحاته فى غضون القرن الخامس ، وقد استند فى هذا الى ما يقوله ابن بسام عن هذا الموضوع :

« وكان ابو بكر (عبادة بن ماء السماء) فى ذلك العصر شيخ الصناعة ، وامام الجماعة ، سلك الى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت له غرائبه مرحبا واهلا ، وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منآدها، وقوم ميلها وسنادها،

فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ، ولا اخذت الا عنه ، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته . وذهب بكثير من حسناته » (الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الثاني ، ص 1 ، وفوات الوفيات للكتبي 1 في ص 199 نقلا عن الدكتور الركابي في الادب الاندلسي ص 308) .

*

تلكم هي النقط التي هي محل نزاع وتبادل الآراء في الكتاب ، راجيا ان يكون ذكرها من باب تعميم الفائدة ، منوها بما لهؤلاء الاساتذة من فضل في كشفها ، واماطة اللثام عنها ، شاكرا لاستاذنا الجليل عبد الله كنون اثارتها واعطاء الفرصة للحديث عنها ، مؤكدا مرة اخرى ان اخذه ببعضها دون الآخر – ما دامت الآراء فيها محل خلاف – مما لا يمس الكتاب من قريب او بعيد ..

تحية لاستاذنا الجليل ، وهنيئا لمكتبتنا العربية بكتابها الجديد .

مالك بن نبي في كتابه : شروط النهضة ومشكلات الحضارة

بقلم : عبد السلام الهراس

ولد المؤلف بالقسطنطينية بالجزائر سنة 1905 في بيئة متدينة ، ومن هناك تشبعت نفسه بالروح الدينية .. ودرس – بعد الابتدائي – القضاء في المعهد الاسلامي المختلط ، غير انه لم يجد لطموحه مجالا في هذا النوع من الدراسة ، فتوجه لدراسة الباكلوريا . وبعد هذا التحق بالمعهد العالي للهندسة بباريس ، ليتخرج مهندسا في الميكانيك الكهربائية ؛ كما درس في السربون وكوليج دي فرانس العلوم واللغات الشرقية الحية ، واخذ عن شخصيات فرنسية بارزة علمية وادبية .

ولم يكن استاذنا مالك بمعزل عن المراقبة الاستعمارية ، التي تفطنت لنبوغه واتجاهه الفكري وعقيدته الراسخة . وموقف الاستعمار من هؤلاء الشخصيات الفريدة يتسم اول الامر بالمؤامرات الثقافية وبالدهاء التربوي ، حتى يستطيع ان يجعل منها « وسيلة » فعالة بارزة لخدمة اغراضه على مستوى عال . فاذا لم يجد الدهاء الثقافي والمكر السلمي ، التجا الى سياسة التضييق والتيئيس والخنق ، وقد يلجا اخيرا الى القتل . ويتخذ لخدمة هذه الاغراض ، جلة العلماء والاخصائيين، لان الاستيلاء على « النخبة » في بلدنا هو في الحقيقة استيلاء على القادة والمقودين معا .

ولقد اتبع الاستعمار هذه الخطة مع مالك بن نبي، فقد حاول اول الامر ان يحيط الاستاذ بجو ثقافي خاص ليتغذى منه بما يحقق اهداف الاستعمار فيه ، كما احاطه بشخصيات فرنسية كبيرة لتحدث فيه الاثر المرجو ، المحدد ، ولتزييف احساساته واتجاهه ؛ غير ان العقيدة كانت ارسخ من ان يعبث بها الاستعمار ، وان ينال منها شيئا . ولم يكن الاستعمار ملحا على ايجاد النتيجة التي يريد ، والغاية التي اليها يقصد ، بل ان محاولاته لتزييف فكر الاستاذ مالك وتطعيم عقيدته كانت تتسم بالصبر والاناة ، غير ان هذا الصبر نفد باصرار الاستاذ على الاستمرار في فكرته ؛ فلما تيقن الاستعمار ان الاستاذ مالك ليس ممن يسهل التاثير فيهم ، ولا هضمهم ، استعمل سلاحه الثاني : التقتير والتضييق وحرب الاعصاب والتهديد بالحرمان والقتل !! وتنفيذا لهذه السياسة ، أوصد باب الرزق في وجه الاستاذ مالك بن نبي ، مع انه يحمل شهادات عليا ومؤهلات مهمة ، ومما استعمله معه انه عزل والده من وظيفته وسلط عليه – اي الاستاذ – من يضايقه ويحاربه من بني جلدته ، بل ومن «النخبة» ، حتى يستقر في ذهن مالك ان المسلمين لا يستحقون ان يخدموا لانهم لا يقدرون مجهوداته الاصلاحية ، اذا فليترك المسلمين وشانهم ، ولينصرف الى الاهتمام بمصالحه الشخصية ، وفي ذلك – طبعا – بغية الاستعمار .

غير ان الاستاذ مالك ادرك ان « النخبة ليست سوى وجه آخر للاستعمار ، وسلاح من نوع جديد ، يراد به تهديمه ، ووسيلة تستخدم – بوعي منها او بلا وعي – لتحقيق اهداف الاستعمار فيه ؛ اذن فليتحد دهاء الاستعمار وليفل سلاحه الجديد ويلحق به الهزيمة في هذا الميدان كما هزمه في الميدان الاول ... وهكذا عاش مالك بن نبي في صراع جبار مع الاستعمار، وما زال يعيش .. ولهذا الصراع قصة طويلة رائعة من كفاح الجزائر الفكري والثقافي سينشرها استاذنا مالك في الوقت المناسب .

...واخيرا استقر مقام مالك بالقاهرة بعد ان حج بيت الله الحرام مرتين، وهناك تعرفت عليه متزويا

في احدى «شقق» القاهرة ، وهو يكاد ييأس من اصلاح العالم الاسلامي ، غير ان اتصاله بشباب العالم الاسلامي المتعصبين «للفكرة» وجذوة ايمانه الخالدة بهذا الدين، اهبا من جديد عزيمته الجبارة ، ونشاطه الذي لا يعرف الركود ، وابتدا صفحة جديدة في حياته النضالية ؛ فقد وجد الوسط الذي يقدر «الفكرة» ويحملها وينشرها وله الآن «مدرسة اسلامية فكرية مكونة من طلاب العالم الاسلامي الذين يدرسون في مدارس مصر وجامعاتها ..

... وقد عين اخيرا مستشارا في المؤتمر الاسلامي بالقاهرة ، واصبح الاستاذ الرائد الفكري المنتظر بوجه العبقرية الاسلامية والبطولة العربية نحو خلق مجتمع متحضر !! .

ولمالك كتب متكاملة ، مرتبط بعضها ببعض ارتباطا يكاد يكون عضويا ، وقد الفها بالفرنسية ، وترجمت كلها الى العربية بالقاهرة . ويضع كتبه تحت عنوان عام : مشكلات الحضارة . وهذه الكتب هي :

الظاهرة القرآنية ، مستقبل الاسلام ، شروط النهضة ، الافريقيا الاسيوية . وللاستاذ كتب قيمة ستنشر في الوقت المناسب .

وقد درس في الكتاب الاول مشكلة الاعجاز ، فاستطاع ان يثبت سمو القرآن عن طاقة البشر ، وانه من عند الله ، كما هزم فيه المذهب المادي واثبت وجود الله بطريقة علمية بحتة ، وانتهى الى ان الظاهرة النبوية ظاهرة طبيعية كظاهرة الشمس والقمر .

وفي الكتاب الثاني « مستقبل الاسلام » دراسة لمختلف الاتجاهات الاصلاحية في العالم الاسلامي ونقدها وتبيان الاخطاء التي عرقلت جهودها ، وفي هذا الكتاب تحديد علمي للداء الحقيقي الذي نتخبط فيه .

اما « شروط النهضة » فهو تتمة لهذا الكتاب ، اذ هو تحديد للدواء .

وتدور فلسفة مالك في هذا الكتاب حول مشكلة الحضارة ؛ فيرى ان العالم الاسلامي ليس مريضا بالتفرقة والجهل والاستعمار ، الى آخر ما هنالك من الظواهر الخطيرة .. وانما هذه اعراض « مرض » فقط ، اما المرض الحقيقي فيجب ان يلتمس وراء هذه الاعراض الخداعة ، التي شغلت العالم الاسلامي واتعبته وضللته عن معرفة حقيقة الداء ، ومن ثم جهل حقيقة الدواء .. والمرض يكمن في « النفس » في الذات الاسلامية ، ويطلق عليه الاستاذ : « القابلية للاستعمار (1) » وهذه القابلية هي الجاذبية التي تجذب نحوها الاستعمار ، كالاوساخ بالنسبة للذباب . فللقضاء على الاستعمار يجب اولا القضاء على سببه الجوهري الذي يكمن في النفوس — اي « القابلية للاستعمار » . وفلسفة مالك هذه مستمدة من قوله تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .. ومن قوله تعالى : وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير . « .. هذه الملاحظة الاجتماعية تدعونا لان تقرر ان الاستعمار ليس من عبث السياسيين ولا من افعالهم بل هو من النفس ذاتها ، التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكن له في ارضها (2) .

فالاصلاح يجب ان يستهدف النفس قبل كل شيء « الم يكن موطن المعجزة هو ما دل عليه القرآن ، اي النفس ذاتها (2) .

ان اولئك الذين جهلوا هذه الحقيقة او تعاموا عنها واستعاضوا عنها بالخطب والشعر ، واندفعوا يحاولون «تقديم» العالم الاسلامي بتقليد اوربا تقليد الاعمى ، ظانين ان لبس البدلة الاوربية البرنيطة وركوب السيارات وشراء الثلاجات والراديو وبناء الفيلات ، ووضع سلات المهملات في الشوارع — كاف لان « يحضر » الامة ويضفي عليها حلة التقدم .. فيبدو هذا الصنيع منهم مضحكا كما يدعو للالم الشديد ، لانه يضيع على الامة الفرصة للتفكير في امراضها ومشاكلها حتى تهتدي الى الحل ، ويتيح « للمرض » ان يتعقد وينمو وينفجر انحطاطا شاملا !!

وهذه المظاهر الحضارية الجوفاء يطلق عليها الاستاذ مالك « الحضارة الشيئية » ويسمي العمل لاقامة هذه الحضارة « بالتكديس » . والحضارة ليست تكديسا ولكنها بناء ، ودورنا في الحضارة الغربية لا يتعدى دور « الزبائن » الذين يسعد على حسابهم الغرب .

وهذه الحضارة الشيئية لا تخلص شعبا ما من مشاكله المتعددة ، لانها لا تبتر مرضه الاساسي الذي لا يبتر الا ببناء حضارة !

(1) للاحاطة بهذه الفكرة لابد من دراسة كتابي الاستاذ : مستقبل الاسلام وفكرة الافريقيا الاسيوية

(2) شروط النهضة

ولكن كيف نبني الحضارة ؟

ان الجواب يقتضينا النظر في التاريخ الانساني الطويل ، ومن دراستنا لمختلف الحضارات والبواعث التي ادت الى ظهورها ، نستطيع ان نصل الى اسس الحضارة وشروط النهضة ، ولكن قبل ان نحاول معرفة هذا الباعث الحضاري يجب ان نعرف ما هي الحضارة .

يعرف بعضهم الحضارة بانها نظام اجتماعي ، يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي ، كما يعرفها الآخرون بانها : فكرة عن الانسان والكون والحياة ، واما المدنية فهي التعبير المادي عن تلك الفكرة ! !

اما الاستاذ مالك فيعرف الحضارة تعريفا كيماويا او رياضيا فيقول :

ان الحضارة = انسان + تراب + وقت .

وقد توصل لهذا التعريف بعد دراسة استقرائية تحليلية لمنتوجات الحضارة كالنظارة والساعة والسيارة والصحن والكرسي والمصباح الكهربائي ، اذ وجد ان كل منتوج حضاري هو نتيجة اشتراك ثلاثة عوامل لا غير : التراب (1) (اي المادة المكونة له) والانسان الذي صنعه ، والوقت الذي صنع فيه . وليس هناك عنصر آخر يستطيع ان يدخل في تكوين وصنع هذا النتاج الحضاري .

وقد (2) يقال : اننا اذن على هذا نعتبر متحضرين اذ يوجد لدينا : الانسان والتراب والوقت . ويجيب الاستاذ ان مجرد وجود هذه العناصر ليس كاف لايجاد حضارة ، والا لكان مجرد اكسجين وادروجين بنسبة معينة كاف لتكوين الماء ، مع انه لابد من مركب لهذين العنصرين كالشرارة الكهربائية . وكذلك الحضارة فانها تحتاج لمركب ، يركب ما بين عناصرها ، وهذا المركب او هذه الشرارة يجب الا نختلقها اختلاقا بل اننا لا نستطيع ايجادها وانما يبحث عنها في التاريخ ، فهو الوحيد الذي يسعفنا بالخبر عن الشرارة المكونة للحضارات و التي استطاعت ان توجد العلاقة بين العناصر الثلاثة ، وعن تلك العلاقة انبثقت المدنية .

ويرى الاستاذ مالك ان الشرارة هي : الدين « فالحضارة لا تنبعث ، كما هو ملاحظ ، الا بالعقيدة الدينية ، وينبغي ان نبحث في كل حضارة من الحضارات عن اصلها الديني الذي بعثها ... فالحضارة لا تظهر في امة من الامم الا في صورة وحي يهبط من السماء يكون شرعة ومنهاجا ، او هي على الاقل تقوم اسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي (3) .

ويرى ان للحضارة مدارا تسير فيه ، وهذا المدار يتكون من ثلاث مراحل : مرحلة الروح ، وذلك عندما تكون الحضارة تسير فيه ، وهذا المدار يتكون من ثلاث مراحل : مرحلة الروح ، وذلك عندما تكون الحضارة في عنفوان قوتها ، ومرحلة العقل عندما تبلغ الحضارة اقصى توسعها ، وفي نهاية هذه المرحلة تبدا الحضارة في الانحدار ، ويأتي دور الغريزة التي تعود بالانسان الى مستوى الحياة البدائية ، فالحضارة الاسلامية مرت بهذه المراحل ، ابتدات المرحلة الاولى من قوله تعالى « اقرا »الى حرب صفين ، ومن هناك دخلت في مرحلة العقل الى زمن ابن خلدون ، وهنا استسلم العالم الاسلامي لقيادة الغريزة التي ما تزال لها القيادة الى اليوم ! !

وبحدثنا عن الثقافة ـ التي هي التعبير عن الحضارة ـ فيعرفها بانها : مجموعة من الصفات الخليقة والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كراسمال اولي في الوسط الذي ولد فيه (4) .

والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ، والثقافة على ضوء هذا التعريف تشتمل في معناها العام على اطار حياة واحدة تجمع بين راعي الغنم والعالم . وبعبارة : فالثقافة وسط او اطار يطبع جميع افراده بطابع مشترك لانهم يتغذون بغذاء واحد ومعين .

وتتحلل الثقافة الى عناصر اربعة :

1 ـ الاخلاق : التي تخلق الصلات الاجتماعية بين الافراد .

2 ـ ذوق الجمال : لتكوين الذوق العام .

3 ـ المنطق العملي : لتحديد النشاط العام .

---

(1) في هامش 48 علل تعبيره بالتراب وتجنبه « المادة » .

(2) هذا سؤال كنت اوردته عليه واجاب عنه في الكتاب ص 49

(3) سالناه عن الشيوعية فقال : انها « ازمة »حضارة ، وان كانت لا تخلو من عاملها الروحي والسيكولوجي ـ 4) ص 79 ـ 84 .

4 ـ الصناعة « التقنية » او الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من انواع المجتمع .

ويتكلم عن هذه المبادىء او العناصر الاربعة فى الكتاب بوضوح وعمق وجدة .

وبعد هذه الاشارة الى لب فلسفة مالك فى هذا الكتاب ، احب ان اعطي نظرة عامة عن الكتاب : قسم الاستاذ كتابه الى بابين ، الباب الاول تحت عنوان « الحاضر والتاريخ » والباب الثاني تحت عنوان « المستقبل » .

ويبحث فى الباب الاول الادوار التي تمر بها الامم فى التاريخ ، كدور البطولة الذي يتسم بانه لا يلتفت الى حل المشاكل التي مهدت للاستعمار وتغلغله داخل البلاد (17) لان الباعث على جهود الابطال هو الطموح الى المجد دون ان يكون لديهم طريقة محددة لتخليص الشعب من « القابلية للاستعمار » . وقد شاهدنا العالم الاسلامي يمر بهذا الطور البطولي فى صور شخصيات رائعة .

غير ان الخميرة الروحية التي نبتت من مرحلة الروح ما زالت تبعث اضواءها حينا بعد حين فى ارجاء العالم الاسلامي « كصوت جمال الدين الافغاني الذي ايقظ هذه الامة من سباتها العميق »(19 ـ 20) وقد استجاب العالم الاسلامي لصيحة جمال الدين المدوية وان كانت هذه الاستجابة غير تامة النضج .

ثم يتكلم عن دور السياسة والفكرة .. ويدرس فى هذه الصفحات الحركة الاسلامية الجزائرية ، التي قامت على ايدي العلماء ، فيرى انها ابتدات دعوتها الاصلاحية من الفكرة وبالفكرة ، واستطاعت ان توجد ظاهرة جديدة فى الجزائر ، وقد تنبه الاستعمار لخطورة هذه الظاهرة التي بدلت النفوس او ابتدات فى تبديلها ... ولكن لم تلتزم هذه الجماعة خطته الاولى بل انغمست فى السياسة التي يطلق عليها مالك بن نبي « دور الوثنية » او الجاهلية » « فكان يجب على الحركة الاسلامية ان تبقى متعالية عن اوحال السياسة والمعامع الانتخابية ومعارك الاوثان ... »

ويرى ان السياسة او الوثنية ليست الا صورة اخرى للطرقية ونظام الدروشة وان اختلفت الاسماء والاصطلاحات .

واخيرا يرى ـ كما قدمت ـ ان اهم مبدا يجب ان يعتمد عليه الاصلاح هو « غير نفسك تغير التاريخ »

ويدرس فى الباب الثاني ـ « المستقبل » الدواء الناجع للقابلية للاستعمار ... وقد تحدثنا عن هذا اول المقال .

كما تناول الكلام فى هذا الباب عن «مشكلة المراة» ويرى انها لا تتعدى ان تكون مشكلة « الفرد » ومشكلة الفرد هي مشكلة حضارة ويجب ان لا تجزا المشاكل .

ويتحدث عن « مشكلة الزي » و « الفنون الجميلة » و « مشكلة التكيف » كما يتحدث بالتفصيل عن عناصر الثقافة .

والكتاب جديد فى موضوعه وفى طريقة معالجة المشاكل ، وقد كان لظهوره اثر كبير فى الاوساط الثقافية الغربية ، مما جعل الكاتبة المسيحية مدموزيل سوجيي تقول عنه فى مجلة «الروح» الفرنسية : لقد انتهى الاستعمار بصدور كتاب مالك بن نبي « شروط النهضة » .

واری من الضروري ان اشير الى ملاحظات تتعلق بالكتاب :

1 ـ فى الترجمة العربية زيادات عن الاصل الفرنسي؛ فكان الترجمة كتاب جديد ، وكان للحلقات الدراسية التي كان يعقدها مالك مع تلامذته من العالم الاسلامي بالقاهرة ـ كان لذلك اثر فى اخراج الترجمة على ذلك النحو .

2 ـ للطبعة الفرنسية مقدمة رائعة بقلم الكاتب الكبير الدكتور عبد العزيز الخالدي .

3 ـ للاخ الاستاذ عمر كامل مسقاوي (من لبنان) فضل كبير على هذه الترجمة ، فقد استطاع ان يلين اسلوب الاستاذ مالك الذي لا يتساهل فى الكلمات، ويود لو كانت كتابته رموزا علمية محددة .

وقد ساهم الاخ الاستاذ عبد الصبور شاهين ـ معين بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ـ فى ترجمة الكتاب وجعله يخرج على هذه الصورة ... وقد اصبح الاستاذ عبد الصبور المترجم الرسمي لكتب الاستاذ مالك .

وموعدنا مع كتاب « مستقبل الاسلام » ان شاء الله .

العدد الماضي في الميزان

لا احب أن يفوتني ، وانا اضـع العدد الماضي من « **دعوة الحق** » فى الميزان ، ان ابدى ملاحظة اراها مـن الاهمية بمكان عن هذا العدد ، وربما تكون هذه الملاحظة صالحة حتى بالنسبة للاعداد السابقة من المجلة .

فالشيء الذي لفت نظري وانا اتصفح العدد الماضي من مجلة « **دعوة الحق** » واقرا ما به من دراسـات ومقالات وشعر ، هو الاعراض التام عن حياتنا ومشاكلنا الحاضرة ، فليس فى المجلة دراسة او مقـال او شعـر يعنى بالمجتمع المغربي الحديث ، وما يسوده من قلق مبعثه التطلع الى مستقبل افضل ، وحياة اكرم وارقى ، وما يعانيه هذا المجتمع من ضروب الكفاح فى سبيـل تاكيد ذاته والقضاء على سائر ما يعوقه عن التقـدم والسير نحو تحقيق امانيه الانسانية الكبرى . **وذلك اذا استثنينا مقال الاستاذ الصمودي عن شعرنا المعاصر .**

الأستاذ محمد العربي الخطابي

لقد تناول الكتاب الذين شاركوا فى هـذا العدد موضوعات مختلفة لا يمت احدها بصلة الى المغرب الجديد، ومجتمعه المعاصر، وما يواجهه من مشاكل فكرية وانسانية ومادية كبرى تتطلب الدرس والعناية والحلول الصائبة . والتوجيه الهادف . كانه ليس من شأن الباحثين والادباء والمفكرين ان يعنوا بواقع بلادهم ، ويعالجوا باقلامهم قضايا المجتمع القائمة ، ومشاكـل المواطنين التي يصبحون عليها ويمسون .

فعوضا من أن يعالج الاستاذ الجراري ــ مثلا ــ قضية اللغة العربية بالنسبة لواقعنا الحاضر ــ وهي مشكلة الساعة فى ميدان الكفاح من اجل تعريب التعليم والادارة فى المغرب ــ يحدثنا الاستاذ الجراري عن اللغة العربية وانتشارها فى عهد الفتح الاسلامي الاول ، وعصر الادارسة ...

ويحدثنا الاستاذ محمد كاظم سباق عن الاسماء واهميتها منذ العهد الذي اقتضت فيه ارادة اللـه ان يجعل آدم خليفة فى الارض ، وعن خطورة هذه الاسماء فى حياة الانسان ، عوضا من أن يعرض لاسماء الامراض والآفات التي تفتك فى جسم الامة واسماء الادوية ووسائل العلاج .

ويطيب للاستاذ القادري ان يحدث قراء المجلة عن الدونمة ــ اليهود الذين تحولوا عن اليهودية واعتنقوا الاسلام فى تركيا بنية مبيتة ضد المسلمين ، وكان الاجدر به ان يتناول بالدرس ــ والمغرب فى مرحلته الانقلابية الكبرى ــ مشكلة من المشاكل الحيوية التي نواجهها . . . وقل مثل ذلك فى بقية المقالات والقصائد والابحاث ، **لا نستثني منها الا مقال الاستاذ الصمودي الذي سبق ذكره .**

انني اعتقد أن العناية « بشؤون الفكر والثقافة » التي هي من أهداف المجلة ، كما يحدد ذلك المحرر فى كلمة العدد ، معناها العناية بالثقافة الحية النابضة ، والفكر المبدع الوثاب ، الثقافة التي من شانها ان ترسم الطريق واضحا امام الجيل الحاضر من هذه الامة ، وتنير له طريق المستقبـل ليرتاده فى عزم وثقة ، والفكر الوضاء الموجه الذي يدعو الى الحياة والنضال والتطور .

فاذا كان لابد لمجلة (دعوة الحق) أن تخصص قسطا من صفحاتها للدراسات والبحوث الاسلامية ، باعتبار ذلك شطرا من منهاجها وخطتها ، فان من حق القراء على المجلة أن يكون الشطر الثاني من خطتها الذي هو « العناية بشؤون الثقافة والفكر » ــ متجها الى الواقع الحاضر للامة المغربية، يعالج مشاكلها ويدرس القضايا التي تهم حاضرها ومستقبلها .

كيف يهمل الكتاب والباحثون والمفكرون مشاكل التعليم والثقافة والاجتماع والاقتصاد التي تثقل كاهل

المغرب في وثبته الحاضرة ، ويتناولون بالدرس والتحليل على صفحات هذه المجلة ــ التي تكاد تكون مجلة الثقافة والفكر الوحيد في المغرب ــ اللغة العربية في عهد الفتح الاسلامي ، والدونمة ، والاسماء ، وغير ذلك من الموضوعات التي تصح انتكون فصولا من كتاب لا مقالات تنشر في مجلة شهرية يلزم ان تكون على اتصال وثيق بقرائها وبمشاكلهم وقضاياهم الفكرية والعاطفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؟

والشعراء ؟ اما كان اجدر بهم ان يتغلغلوا في صميم حياة بلادهم يتغنون بآمالها ورغائبها ، ويصورون كدح ابنائها ونضالهم في سبيل مستقبل مشرق رائق سعيد ، عوضا من ان يستسلموا لترانيم عاطفية قدتريح النفس، ولكنها لا تبعث على الانطلاق والتوثب ؟

لست ادعو بهذا الى مدرسة ادبية او فكرية معينة ، وانما قصدي ان تكون الثقافة والفكر من عوامل الحياة والتحرر .

وعندي ملاحظات اخرى على العدد الماضي في جملته احب ان ابديها قبل الشروع في نقد المواد التي احتوى عليها هذا العدد ، تفصيلا .

الملاحظة الاولى تتعلق بالشكل . فترتيب المواد لا يتبع نظاما معينا ، فالكلمة المنقولة **عن كتاب لتوفيق الحكيم** بعنوان ((**الدين والفن**)) تسبق في الترتيب المقالات الرئيسية التي حررها الكتاب خصيصا للمجلة ، وكذلك القول في **محاضرات الاستاذ محمد الفاسي ، والمقال المترجم عن طه حسين** . وقد يكون من الانسب ان تخصص المجلة بابا لمثل هذه المسائل اي لما تختاره المجلة لقرائها من الكتب ، او ما تنقله عن الصحف الاخرى لقيمته الفنية والادبية او لاهميته العلمية ، كما يستحسن ان تترك المجلة بابا خاصا لنشر ما يستحق النشر من المحاضرات والخطب والاحاديث الاذاعية . ويستحسن ايضا ان تتبع المجلة نظاما ثابتا في ترتيب المواد ، وهذه مسالة ذوق فقط ، وليست قاعدة ثابتة، فتعطى الاسبقية مثلا ــ للدراسات الاسلامية ، تليها في الترتيب البحوث العلمية والثقافية ثم المقالات الادبية والقصص والروايات ثم الشعر .

ومما يسترعي الانتباه كثرة الاخطاء المطبعية والتصحيف مما يلزم مضاعفة العناية بالتصحيح .

ولما كانت المجلة تعنى زيادة على الدراسات الاسلامية بشؤون الثقافة والفكر ، فانني الاحظ نقصا بينا في العناية بشتى الوان الثقافة ، فهي تخلو من كل دراسة او تعليق او شيء مترجم عن المسرح والموسيقى والتصوير والنحت ، وعن مختلف الاتجاهات الفنية والفكرية التي يزخر بها عالمنا الحديث .

وقد لاحظت من خلال « دعوة الحق » ضعف الانتاج القصصي والروائي عندنا ، ولا يد للمجلة ــ بطبيعة الحال ــ في هذا النقص ، وربما كان في الامكان تعويضه بنقل بعض روائع الانتاج الاجنبي في هذا الباب .

انتقل الآن الى نقد المواد التي احتوى عليها العدد الماضي من هذه المجلة ، مراعيا الاختصار ما امكنني .

❋

من الدراسات الاسلامية التي اشتمل عليها العدد الماضي **مقال للاستاذ ابي الاعلى المودودي** ، شيخ الجماعة الاسلامية بباكستان ، تحت عنوان ((**المصدر الحقيقي لقوة المسلم**)) وقد عودنا هذا الاستاذ الكبير بما كنا نقراه له في مجلة ((**المسلمون**)) وفي اعداد ماضية من ((**دعوة الحق**)) ، ان نرى في كل ما يكتبه من دراسات عمقا في التحليل واشراقا في العرض ، وايمانا بقوة الاسلام وصلاحية دعوته ومقاصده لكل زمان ومكان .

وقد جعل الاستاذ المودودي في بحثه المذكور ، الايمان والنية والاخلاق وطاعة الله ورسوله مصدرا لقوة المسلمين الحقيقية . ولاشك ان الاستاذ الفاضل مصيب فيما يراه من ان ذلك الاشعاع الروحي الكبير الذي كان يغمر قلوب المسلمين في الصدر الاول للاسلام مصدر قوتهم وتفوقهم على كثير من اقطار الارض . وانا متفق مع الاستاذ المودودي فيما ذهب اليه من ان الذي يجعل ((**امة غالبة بين الامم هو المبادىء التي تقوم عليها حضارتها ، ثم هو رسوخ تلك المبادىء في القلوب، وهيمنتها على الاعمال . . .**)) ، ولكني لا اتفق مع العالم الفاضل فيما قاله من ان الامة ((**التي توفرت فيها هذه الامور الثلاثة فلا جرم ان تكون غالبة بين الامم . . . وان كانت تسكن الاكواخ وتلبس الاسمال ، وكان افرادها ضامري البطون من الحاح الفاقة .**

لست اتفق مع الاستاذ المودودي لان التاريخ قد علمنا ان الفقر والجهل عدوان للمبادىء ، فلن تقوم لها قائمة في امة يغلب عليها الفقر ويسودها الجهل ، لان الفقر عدو الاخلاق ، فلا بد اذن ان تقوم بجانب المبادىء القومية حضارة صالحة ونظام اقتصادي واجتماعي سليم يكفل للناس جميعا العيش الكريم ، ويضمن لهم المساواة والعدل وتكافؤ الفرص .

كما انني لا اتفق مع الاستاذ المـــودودي في ان الاسلام « **لم يدع المسلمين ان ينشئوا الكليات ويقيموا الجامعات ويؤلفوا الشركات ويقيموا المصانع ..** » .

فكتاب الله وان لم يدع صراحة الى هذا ، فانه اراد للمسلمين العزة والغلبة حين دعاهم الى الايمان والعمل الصالح ، وهم لذلك لابد ان يقيموا دولتهم على اساس من العلم والمدنية ، لان الاخلاق لا تستقيم بدون علم ولن يكون ايمان بدون اخلاق ، ووسيلة العلـــم المدارس والجامعات والمصانع وغيرها ، ثم ان الاسلام كما نعرف هو دين التطور والتجديد ، وهو لذلك لابد ان يساير تقدم العلوم وازدهار المدنية والعمران ، وياخذ من هذا كله بالنصيب الاوفى .

و « هداية الاربعين » ، للاستاذ مصطفى الزرقا ، مقال عن مزايا الصيام وفضائله ، يدخل في باب الوعظ والارشاد ، وفيه تذكير لكثير من شبابنا الذين يكادون يجهلون كل شيء عن الاسلام وعن القيم الروحية الكبرى التي ينطوي عليها .

وبلي مقال الاستاذ الزرقا ، فصل بعنوان « **الدين والفن** » ، **منقول عن كتاب « فن الادب » لتوفيق الحكيم،** ولست اتفق مع الكاتب البارع في قوله « **... من اجل هذا كان لابد للفن ان يقوم على قواعد الاخلاق** » ، **وذلك لانني اعتقد ان الفن في حد ذاته فضيلة فطرية تلقائية ، فلا يصح ان تقوم على الاخلاق او على اللااخلاق ، اما الدين ففضيلة اجتماعية تقوم حتما على قواعد الاخلاق، لهذا لا تصح المقارنة من اسسها بين الدين والفـــن ، بالرغم من الصفات التي ذكر الاستاذ الحكيم انهمـــا يتفقان فيها .**

اما مقال الدكتور طه حسين الذي ترجمه الاستاذ محمد برادة عن الغرنسية بعنوان « الاتجاهات الدينية في الادب المصري المعاصر » فانني لا اجد فيه جدة او طرافة ، ولعل الدكتور طه حسين كتبه للاجانب الذين ليس لهم المام بالحركات الفكرية والادبية المعاصـرة في العالم العربي ، وحبذا لو كان الاستاذ برادة قد ترجم لنا « مناظرة في مراكش » للاستاذ « طيري » وهو بحث منشور في نفس العدد من مجلة (الاسلام والغرب) التي ترجم منها مقال الدكتور طه حسين ، ويتناول البحث المذكور مقابلة الفيلسوف ابن رشد للامير ابي يعقوب بن عبد المومن الموحدي في مراكش ، والمناظرة الفلسفية التي دارت بينهما بحضور ابن طفيل . وهو تحقيق تاريخي طريف .

وكتب الاستاذ محمد كاظم مقالا في هذا العـــدد بعنوان « في الاسماء » وهو بدون شك بحث جمع بين الطرافة والامتاع ، طرقه الباحث من الوجهة الدينية الاسلامية في الغالب ، ولكنه مع ذلك بحث ناقص ، لانه لم يتعرض للاسماء ومدلولها والطرائف التي تروى عنها عند الامم غير الاسلامية . والبحث ، بعد هذا ، لا يفيد القارىء ، فهو متعة وتزجية للوقت ليس الا .

ويلي هذا البحث ، الفصل الاخير من محاضرة الاستاذ محمد الفاسي بعنوان « الرحالة المغاربة وآثارهم» وقد علق عليها كل من الاستاذين فريد رمضان واحمد زباد في العددين السابقين .

اما الدراسة التي قام بها الاستاذ محمد العابد الفاسي عن ابن عبد الملك المراكشي ، صاحب كتاب « الذيل والتكملة » فانها لم تنشر بكاملها في هذا العدد ، ويشكو الاستاذ الفاسي من قلة المصادر التي تحدثنا عن هذا العالم العربي الجليل وتعطينا ترجمة وافية له . وهذه العقبة ، التي تبعث على الاسف ، يصطدم بها كل باحث يريد ان يترجم لاحد المشاهير من الادبـاء او المؤرخين او العلماء المغاربة ، وهي عقبة يتغلب عليهـا بعض الباحثين المنقبين الذين يتاح لهم الاطلاع علـــى المخطوطات والكتب النادرة المبعثرة هنا وهناك .

وقد بذل الاستاذ محمد العابد الفاسي مجهـودا حميدا في ابراز شخصية ابن عبد الملك المراكشي معتمدا على ما امكنه الاطلاع عليه من المصادر القليلة التـي لا تعطينا اية صورة واضحة كاملة عن هذا العالم المغربي .

وقد اهمل المترجم السيد محمد العابد الفاسي الاشارة الى الصفحة والعدد الذي نقل عنه ما قاله ابن الزبير في صلة الصلة ، واورده الاستاذ الاهواني في مجلة المعهد المصري بمدريد . كما انه لم يشر بشيء الى كتاب المرتبة العليا للنباهي ، والريحانة لابن الخطيب (رقم الصفحة ، الطبعة او المخطوط ،) وفي ذلك فائدة للباحث المحقق .

وتابع الاستاذ محمد الطنجي في هذا العدد بحثه عن « الموارد المالية في دولة الاسلام » وهو يبحث في هذا القسم الاخير موضوع اخذ الزكاة على جميع ما تنبته الارض ، واورد آراء الائمة في هذا الموضوع ، وحيث قال لنا الاستاذ الطنجي في هذا القسم من بحثه « **ولاباس ان نشير مقدما الى اننا نبحث في امكانيات احياء قاعـدة الزكاة على اساس عملي دقيق ، يتلاءم ويتمشى مـــع مقتضيات العصر الحاضر ...** » فقد حسبنـــا ان الاستاذ الفاضل سيأتينا بدراسة مقارنة عن التشريع

الجبالي في الاسلام وفي الانظمة الجديدة الاخرى ، وخاصة التي استنتها وتسير عليها بعض « الاقطار الاسلامية » اذ بذلك يمكن استخلاص تشريع جبائي يتلاءم مع روح الاسلام ويساير مقتضيات العصر ، غير أن الاستاذ الطنجي اكتفى بسرد بعض الآيات والاحاديث واقوال الائمة واختلافهم في باب زكاة الحبوب وما تنبته الارض من خيرات .

ولم نجد في بحث الاستاذ الجراري عن « اللغة العربية في المغرب » شيئا جديدا أو طريفا . وقد كنا نود أن يحدثنا عن الطريقة التي اتبعها الفاتحون العرب لتعليم سكان البلاد الاصليين اللغة العربية ، والى أي مدى تم لهم ذلك بالنسبة لسواد البربر ، وهل استعرب هذا السواد وتمكن من اللغة العربية ابان الفتـــح وفي العهود التي تلته .

ونريد من الاستاذ عبد السلام الهراس الذي كتب في هذا العدد مقالا بعنوان « فلسفة الحركة » نريد منه ان يبسط الموضوع الطريف الذي طرقه بسطا ويزيده ايضاحا ، ويعطينا امثلة حسية عن الحركة الخالية من الفكرة ، والحركة الناقصة التي تتولد عن الفكر الناقص والوعي السطحي ، كما نود أن يحدثنا عن الفكرة التي يراها محور الحركة الحية الناجعة ، الفكرة التي تسري في شرايين الامم فتدفعها الى النهوض والتطور وتحبب اليها النضال لرفع مستواها الانساني والمادي .

وكتب الاستاذ عالم ادريس بحثا بعنوان « الوحدة العربية وتوفر مقوماتها » وهو بحث قيم مستند على البراهين العلمية والحجج التاريخية . ولن يتأتى الحكم الصحيح على هذه الدراسة الا بقراءتها كاملة وستنشر بقيتها في لعدد القادم .

اما البحث القصير الذي كتبه الاستاذ القادري عن « الدونمة » فهو طريف ايضا اظهرنا فيه على معلومات عن هذه الجماعة الذين كان اصلهم من اليهود فاسلموا اسلاما مشوبا . وربما يكون الاستاذ القادري مبالغا في قوله بان هؤلاء الدونمة هم الذين قضوا على تراث تركيا المسلمة ، وابعدوها عن العروبة والاسلام والمسلمين . لقد كانوا ولا شك عاملا مهما في ذلك لكن هناك عوامل اخرى من جملتها المطامع الاوربية في الشرق والحركة المناهضة للاتراك العثمانيين التي ظهرت في كثير مـــن اقطار الشرق العربي في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن .

وكتب الاستاذ المهدي البرجالي مقالا عن مشروع معاهدة الاوراتوم ، وهو مقال مركز لم ينس كاتبه ان يربط ما بسطه عن مشروع الاوراتوم وعن الاتجاهات التعاونية التي تتحكم في توجيه كثير من التيــارات الدولية في منطقة النصف الغربي من اوربا ، لم ينس أن يربط ذلك بما يثيره في ضميرنا الواعي **« كامة نامية اولا وكجزء من المركب الافريقي الشمالي ــ على حد تعبير الكاتب »** ــ وقد جعلنا الاستاذ البرجالي نفكر في ينابيع الطاقة والثراء التي تزخر بها اقاليمنا الصحراوية ، وما يحوم حولها من مساومات واطماع اجنبية ، كما جعلنا نفكر في المصير الاقتصادي والدولي لهذه الوحـــدة الجغرافية والسياسية والسلالية التي نطلق عليها المغرب العربي .

وننتقل الآن الى الصورة الخيالية التي وقعت للاستاذ السميحي فسجلها بعنوان « مع حكيم القردة » وحيث انني لا استسيغ في الادب والسياسة أن يتحدث قرد بلسان البشر ، لاسيما حين يريد الكاتب ان يجعل من القرد حكيما ، فانني لم اتذوق ما كتبه السيـــد السميحي على لسان هذا الحيوان ولم اطرب له . وقد جرت العادة ان ينطق الكتاب حيوانات اليفة تعيش مع الانسان مثل الحمار والكلب والديك ...

تأتي بعد ذلك القصائد ، **الاولى للاستاذ ابن ثابت بعنوان « سوسة عروس الساحل »** وانا اعيب عليه فيها وحدة القافية التي لا تنسجم مع تعدد الصـــور والمناظر التي تجعل من سوسة عروس الساحـــل . والمقطوعة ليست وصفا لسوسة وما قد يكون فيها من مناظر جميلة ، وانما هي ارتسامات عاطفية طبعتها هذه البلدة في نفس الشاعر ابن ثابت .

والقصيدة الثانية للاستاذ احمد البقالي ، وهي بعنوان « انا الاعمى » ، واعيب على الاستاذ البقالي اولا، انه سبق له ان نشر هذه القصيدة في مجلة الانيس سنة 1953 ، واظن ان مدة ست سنوات كافية لان ينمو فيها الخيال وتتكامل احساسات الشاعر ، وتتغيـــر نظرته الى الدنيا ، خصوصا وان الاستاذ البقالي قد رحل الى الشرق طلبا للعلم وعاش فيه مدة طويلة عايش خلالها الاجواء الادبية هناك ، واطلع علــى مختلـــف الاتجاهات الشعرية . واعيب عليه ثانيا النزعة التصوفية التي طغت على قصيدته هذه ، تلك النزعة التــي لا تهدف الى شيء . **اننا نحب ان نقرأ للشاعر البقالـي شعرا منبثقا عن تجربته الحاضرة التي ترتبط حتــى**

بالانقلاب الذي حدث في وطنه، في السنين الاخيرة، وانا اعرف ان له رصيدا من الاحساسات الانسانية اود ان يصوغها في شعر جديد بروح مجددة .

اما القصيدة الثالثة فهي للاستاذ مصطفى المعداوي بعنوان « انشودة للبلد الاخضر » وهي مقطوعة تنم عن صفاء في الاحساس ، الا انه لا يبدو فيها ذلك التوقد الذي يبعث في النفس الحماس والانفعال . فالشاعر يتغنى في انشودته بموطنه – موطن الكفاح – فلا يوفق الى العبارة القوية ، والنبرة المشتعلة ، وهو فيما عدا ذلك ذو خيال متسع ، واستعداد فني يبشر بالخير .

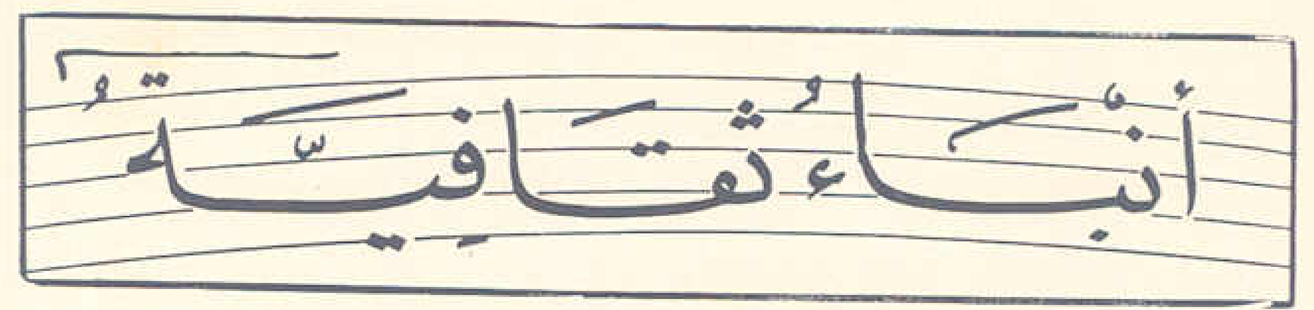
ولا احب ان اتعرض بشيء للرد الذي كتبه الاستاذ علال الفاسي على نقد الاستاذ فريد رمضان لقصيدته المولدية المنشورة في عدد ديسمبر الماضي من « دعوة الحق » ، وذلك لان « اصلاح الميزان » رد مستفيض على نقد ، وهو كذلك بمثابة بحث في اللغة و لشعر .

وانتقل الى مقال « في شعرنا المعاصر » للاستاذ محمد الامري المصمودي، الذي اثار فيه قضية التقصير في دراسة الشعر المغربي، واستقصاء آثار الشعراء المغاربة، وخاصة المعاصرين منهم . والحقيقة ان الاستاذ المصمودي اثار مسالة حيوية نحس جميعا انها لم تعط الاهمية التي تستحقها ، ولاشك ان لكثير من الشعراء المغاربة المعاصرين آثارا رائعة طيبة من الشعر الجيد الرصين ، وهي في حاجة الى ان تدرس دراسة نقدية ، كما ان كثيرا من هذه الآثار في حاجة الى الاخراج والنشر .

واني لاهنيء الاستاذ المصمودي على جراته الادبية، وارجو ان يوفق الى دراسة الشعر المغربي الحديث واظهار خصائصه ومميزاته في الاعداد القادمة من هذه المجلة .



اعمدة من الآثار الرومانية بمدينة (وليلي) العتيقة



* يشتغل الاستاذ السيد عبد الله السعداني ى كتاب عن الادب المغربي المعاصر ، سيكون محتويا على منتخبات شعرية ، ونثرية ، وقصصية لالمع ادباء المغرب المعاصرين مع ترجمات عن حياتهم واعمالهم التي قاموا بها في الحقل الادبي . ومنذ مدة والاستاذ السعداني يجري اتصالات مع الادباء المغاربة ليزودوه بانتاجهم وترجمات حياتهم وصورهم الفتوغرافية . ولا شك ان هذا « المختار من الادب المغربي المعاصر » سيكون دليلا للبحاث الشرقيين وغير الشرقيين الذين يريدون الكتابة عن الادب المغربي الجديد ولا يقدمون عليها لقلة المراجع . ولا يسعنا الا ان نشجع الاخ السعداني على مشروعه الادبي متمنين لـه النجاح وبعد الانتشار والصدى .

* يسرنا ان نزف للادباء والشعراء والقراء خبر صدور ديوان شاعر الحمراء الخالد محمد بن ابراهيم الذي تبنى نشره والاشراف على صدوره السيد محمد بوستة .

* عكف الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون على مراجعة كتابه القيم « النبوغ المغربي في الادب العربي » واضافة مواد جديدة فيه ليقدمه للطبع في نهج جديد في البحث . وكان للطبعة الاولى التي صدرت منذ زمان نجاح كبير لا في المغرب فحسب بل في الشرق وعند المستشرقين الذين استندوا اليه في ابحاثهم عن المغرب الادبي ونال عليه لقب الدكتورة الشرفية من جامعة مدريد .

* على اثر الدراسات التي قام بها الدكتور صلاح الدين المنجد في مكتبات المغرب العامة والخاصة صرح الدكتور المنجد بان المغرب يشتمل على قدر عظيم من مخطوطات عربية هامة . وذكر انه وجد في مكتبة ابزو نسخة قديمة من كتاب كان يعتبر مفقودا يشتمل على رسائل للجاحظ ، كما عثر الدكتور في مكتبة الجلاوي بمراكش على نسخة قديمة من كتاب «انساب الاشراف» للبلاذري وهو الكتاب الذي يقوم معهد المخطوطات بطبعه اليوم .

* استدعى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعة العربية لالقاء سلسلة من المحاضرات عن المغرب ومبادينه الثقافية .

* ينظم القسم الثقافي لسفارة الجمهورية العربية المتحدة بالرباط ندوات ثقافية أدبية . فقد عقد اخيرا ندوة في موضوع « قيمة تراثنا القديم وهل يجب احياؤه » ؟ شارك فيه الدكاترة : صلاح الدين المنجد ، وعبد العزيز الاهواني ، وسليم حيدر سفير لبنان بالمغرب ، والاستاذ احمد التيجاني من علماء الجزائر ، والاستاذ فريد رمضان عضو البعثة التعليمية للجمهورية العربية المتحدة . كما نظم ندوة شعرية في مطل شهر يناير في موضوع « الاتجاهات الحديثة في الشعر » شارك فيه شعراء وادباء مغاربة . تنبيه : اجهل الاسماء

* انهى الاستاذ محيي الدين المشرفي من كتابة مؤلف عن « تأريخ المغرب » الذي ارخ فيه للمغرب وعصوره الاولى حتى عهد الاستقلال .

* صدر للدكتور يحي الدين زيان كتاب « الجزائر ارض المعارك » ويشتمل الكتاب على دراسة تأريخية منظمة للجزائر الحبيبة قبل الغزو الفرنسي ، وكيف بدا هذا الغزو ، والمرارة التي عاشتها الشقيقة الشهيدة بسبب حرب الابادة والمحو .

* عادت الى الصدور في تونس بعد احتجاب طويل جريدة « الزهرة » . فندعو لها بالعمر الطويل ، والرسالة الفعالة .

* اصدر الاستاذ مصطفى زبيس متفقد الآثار في المعهد القومي للآثار والفنون في تونس كتابا بعنوان « آثار المغرب العربي » وذلك في سلسلة كتاب «البعث» الشهرية التي يديرها الاستاذ ابو القاسم محمد كرو .

* تهتم كتابة الدولة للثقافة القومية بتونس احداث معهد قومي للابحاث الفنية والعلمية . وسيبدأ المعهد اعماله فى الايام القريبة . وينتظر ان تكون لهذا المعهد اهمية كبرى ، وان تتولد عنه نتائج مهمة . والمرشح لادارة هذا المعهد هو الاستاذ محمد علي العنابي .

* صدرت فى الايام الاخيرة بتونس الكتب الآتية : « فى رياض التعليم » للاستاذ عبد الرحمن للونة « الحريق » وهي قصة من وحي الثورة الجزائرية لمؤلفها الاستاذ نور الدين بوجدرة « المختار من شعر الوزير » للاستاذ احمد المختار الوزير

* تبرع المؤتمر الاسلامي بمبلغ ستة ملايين فرنك لبناء معهد ديني بالصومال .

* « التعريف بالاسلام » هو عنوان كتاب جديد سيصدر للدكتور طه حسين .

* سرق فى احد الايام الاخيرة سوار كليوبطرا الذهبي الذي كان معروضا فى احد متاحف القاهرة ، والذي تبلغ قيمته 700.000 دولار اي ما يزيد على 400.000.000 فرنك .

* منح الرئيس جمال عبد الناصر اكبر وسام فى الدولة للاستاذ توفيق الحكيم تقديرا لخدماته فى الحقل الادبي .

* تدرس وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة مشروع انشاء جامعة بطنطا على ان تبدا ببعض الكليات العلمية فى اول العام الدراسي القادم .

* عقد الاستاذ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة مؤتمرا علميا حضره اكثر من مائة وخمسين عالما فى الجيلوجيا ، والصناعات ، الكيماوية والهندسية والزراعية والبيولوجيا ، وذلك بقصد توحيد الجهود العلمية لاستغلال امكانيات البلاد فى تاريخها الحاسم ، لتلحق ركب الحضارة النابع من الصناعة والعلم .

* بلغت عدد الجوائز التي وزعت بمناسبة الاحتفال بعيد العلم بالقاهرة 12 الف جائزة قيمتها نحو 72 مليون فرنك .

* صدرت فى الشهر الماضي بالقاهرة الترجمة العربية لكتاب « اميل » لروسو الذي رسم فيه دستورا صحيحا لتعليم النشء .

* ستصدر عن دار المعارف بمصر مجموعة جديدة اسمها « الرحالة والمكتشفون » تتناول تراجم قصصية للرجال المخاطرين الذين قاموا بكشوف جغرافية ، او بارتياد البحار والمحيطات ، او برحلات عجيبة فى القديم والحديث ، وفى المشرق والمغرب .

* مثل للطبع فى القاهرة كتاب « جوامع السير » لابن حزم الاندلسي قام بتحقيقه الاساتذة احمد شاكر ، واحسان عباس ، وناصر الدين الاسد .

* صدرت مؤخرا فى القاهرة الكتب الآتية : « النوم والارق» للدكتور احمد فؤاد الاهواني «الخطب والمواعظ» للاستاذ محمد عبد الغني حسن « عنترة بن شداد » جزء 5 و 6 « الف ليلة وليلة » جزء 9 و 10 للدكتور زكي المحاسني .

* « وطني » اسم مجلة سيصدرها المحامي المصري الاستاذ عزيز مشرقي صاحب مطبعة الاساس . وقد اعلن عنها وبدا يختار معاونيه من اداريين ومحررين . وستكون على غرار « الاوبزيرفر » الانجليزية فى مادتها الزاخرة .

* بعث المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة بعثة من الفنيين الى ايطاليا لدراسة المسرح وهندسته .

* جاء فى احد الاعداد الاخيرة من مجلة «المصور» القاهرية هذا النبا : « ترددت من جديد فكرة الحاق الطالبات بالازهر بعد ادخال اللغات الاجنبية ، وتبين ان فى المغرب العربي جامعتين دينيتين على غرار الازهر هما جامعة القرويين بفاس ، وجامعة ابن يوسف بمدينة مراكش . وقد تخرجت منها « شيخات » يحملن شهادات « العالمية » لاول مرة فى العالم العربي

* قدم المسرح التوجيهي فى القاهرة بمناسبة ذكرى رفاعة الطهطاوي مسرحية تروى تاريخ حياته من اخراج محمد الغزاوي .

* اختير فضيلة الاستاذ الاكبر السيد محمود شلتوت شيخا للجامع الازهر .

* تكونت بكلية الاداب بجامعة القاهرة جمعية لفضح السرقات الادبية . وقد انضم اليها كثير من طلبة الكلية . وستبدا عملها باصدار كشف بالسرقات سواء فى الكتب العلمية او الادبية لهذا الموسم .

* نعت استامبول شاعرها الكبير يحيى كمال .

* ستؤسس في دمشق مدينة جامعية قدر لتكاليفها ثلاثة ملايين ليرة .

* قررت وزارة التربية والتعليم في دمشق انشاء معهد للتربية الموسيقية في كل من دمشق وحلب .

* تقرر في سوريا تاسيس مؤسسة لابنية التعليم في الاقليم السوري على غرار المؤسسة القائمة في الاقليم المصري .

* « نجوى » هو اسم ديوان شعر صدر في هذه الايام للشاعر المجمعي عدنان مردم بك .

* صدرت في لبنان طبعة جديدة لكتاب « النور والديجور » لاديب لبنان الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمة.

*اصدر العلامة فؤاد صروف كتابا بعنوان « آفاق لا تحد » مشتملا على دراسات قيمة تعالج عدد كبيرا من الموضوعات ابتداء من الذرة حتى الاقمار الصناعية

* ترجم الاستاذ احمد سويد كتاب « الام » للقاص الروسي مكسيم كورغي . وسيصدر قريبا في لبنان .

* اتمت جمعية الكتاب المقدس الاميركية الترجمة الكاملة الى العربية لست نسخ من التوراة اربع منها للعهد الجديد واثنتان للعهد القديم .

* بولس سلامة . ومن من الشعراء والادباء المعاصرين والمعنيين بالحرف لا يعرف هذا الشاعر العظيم من خلال كتبه الفلسفية ، ومباحثه الادبية ، وملاحمه الشعرية التي سطرها بدماء جراحاته الفائرة. فقد قضى بولس سلامه اكثر من عشرين سنة مقعدا في فراش الالم ، قاسى فيها من الالم ، والمرارة والعذاب، والوحشة ما لم تسجله الاساطير حتى سمي بأيوب القرن العشرين . فقد نيفت العمليات الجراحية التي اجريت له عن العشرين . وكان يقابل كل واحدة منها بابتسامة عريضة . وفي هذه الايام حملت الينا انباء لبنان ان هذا الشاعر الجريح قد عولج وخرج من بيته الى الشارع . ويطيب لنا ان نهنيء الشاعر بولس سلامة ، كما نقدم تهنئتنا الى ذويه والمعجبين بشعره في العالم العربي . وبهذه المناسبة الطيبة ناتي بنبذة وجيزة من حياة الشاعر الكبير : ولد بولس سلامه في قرية بتدين اللقش من اعمال لبنان . درس الحقوق . شغل بالقضاء مدة طويلة في محاكم لبنان ، كان فيها نعم الحكم . تزوج باسبانية من اميركا اللاتينية اسمها ادلينا شاطرته مرارة المرض وانجبت اربعة اولاد . عندما بلغ من عمره الخامسة والثلاثين سقط على فراش الالم . اجريت له اكثر من عشرين عملية جراحية يجد القاريء اخبارها في كتابه « مذكرات جريح » . وخلال مدة مرضه طلع على الادب العربي بهذه المؤلفات : « الامير بشير » « فلسطين واخواتها » « علي والحسين » « مذكرات جريح » « حديث العشية » « عيد الغدير » ملحمة في اربعة آلاف بيت من النفس المسترسل الطويل « الصراع في الوجود » مباحث في الفلسفة والادب « عيد الرياض » ملحمة تقع في 8000 بيت . وعند صدور ملحمة « عيد الغدير » وهي اول ملحمة عربية تنادي ادباء العرب واقاموا له تكريما كبيرا بنادي الكلية العاملة ببيروت مساء يوم الاحد 22 يونيو 1949 . اضفت عليه الجامعة الاميركية الدكتورة الشرفية . نقلت بعض آثاره الى اكثر من لغة اجنبية .

* اكتشفت في تدمر مدافن مملوءة بالآثار النفيسة وكلها عربية .

* ما برحت الآثار القديمة تظهر من وقت لآخر . والذي اكتشف منها قد وضع في المتاحف .

* تالفت في دار المعلمين العالية ببغداد جمعيات ثقافية في مختلف الاقسام . منها « جمعية الثقافة العربية » التابعة لقسم الآداب ، ومنها جماعة « اهل الفن » التي قامت بتنظيم عدة امسيات شعرية شارك فيها الطالبات والطلاب ، واخرى « جمعية الارشاد الديني » التي عقدت طائفة من الاجتماعات تلتها عدة محاضرات .

* قررت مجلة « المعلم الجديد » التي تصدر ببغداد اصدار جزء خاص بالثورة العراقية .

*** يعد الركن عبد الركن عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية مشروعا لاقامة احتفال عالمي كبير للشاعر العراقي الشهير معروف الرصافي في يوم ذكرى وفاته اي في 16 مارس سنة 1959 على ان يشترك في اللجنة التحضيرية للاحتفال عدد من الادباء والشعراء والمفكرين في العرق ، والبلاد العربية وبعض المستشرقين . وسيقوم بعض النحاتين العراقيين بصنع تمثال لشاعر العراق الخالد . وسيدعى لحضور الاحتفال الف شخصية فكرية من مختلف الاقطار .**

※ تبرع الامير طلال بن عبد العزيز على وزارة المعارف السعودية بقصره المسمى بقصر الزعفران . وستتخذه الوزارة مقرا للتعليم .

※ صدر بالكويت مجلة « المجتمع » وهي جامعة مصورة شهرية .

※ تم التوقيع بين الهند واندونيسيا على معاهدة ثقافية تعرب عن رغبتهما فى التشجيع وتوسيع نطاق التعاون الثقافي وتعزيزه بين البلدين .

※ تولى الدكتور راجندرابرشاد رئيس الجمهورية الهندية افتتاح معهد التمثيل الاسيوي الذي اقيم فى دلهي الجديدة بمساعدة اليونسكو والحكومة الهندية معا . وسيدرس الطلبة فى المعهد الدراسات العليا فى الفن التمثيلي .

※ اقامت بلدية دلهي حفلة استقبال للمطربة الحبشية الشهيرة الانسة مارين اندرس التي غنت امام تمثال غاندي اغانيها المحببة الى المهاتما غاندي .

※ اهدت الحكومة الهندية الى المتحف الوطني لتشكوسلوفاكيا فى « براها » مجموعة من منتجات الحرف الهندية وقد جمعتها هيئة الحرف اليدوية لعموم الهند من شتى ارجاء البلاد .

※ قامت بعثة من العلماء الهنود بزيارة روسيا تلبية لدعوة الاكاديمية العلمية السوفيتية .

※ بعث الدكتور راجنداجندرا برث رئيس جمهورية الهند مجموعة من المخطوطات باللغة التيبتية الى قسم الدراسات البوذية فى جامعة دلهي . وقد اسفرت الحفريات الجارية فى مواقع هارابا فى لوتهال من اعمال ججرات عن عدة هياكل بشرية واثار اخرى عن الشوارع والخنادق . وتفيد الانباء بانه عثر على عدد كبير من اثار قصر ومدينة وغرف واسعة وكذلك عثر فى مدينة هارابا على بقايا مخازن الحبوب من آثار تنطق بانها تراث لثقافة متقدمة وجدت قبل مائتي عام قبل مدينة هارابا . وذلك نتيجة للاحصاء الذي قامت به محكمة الآثار القديمة الباكستانية فى قرية كوث دجي الواقعة على بعد خمسة ميلا فى جنوب كهري بدر بغربي باكستان .

※ عزلت الاديبة الصينية تينغ لينغ ممثلة مقاطعة شانتونغ من المؤتمر القومي للصين الشيوعية . وهذه الاديبة متحصلة على جائزة لينين للآداب . ولم تعرف الاسباب التي ادت الى طردها من هذا المؤتمر .

※ اضرب المدرسون اليبانيون احتجاجا على القانون الجديد الذي يقضي بأن يتولوا اعطاء دروس فى حسن السلوك لتلاميذهم . وهم يقولون ان المدرس يجب ان يقتصر رسالته على التعليم لا على التهذيب الذي هو من شأن الابوين .

※ نعت روسيا كاتبها الشهير سير جيبيف شينسكي وعمره 83 سنة .

※ فى اواسط شهر دجنبر الماضي هرب الروائي الروسي الكسندر تشيسفيلي من روسيا واختفى فى المانيا الغربية . فى سنة 1951 احرز هذا الروائي على جائزة ستالين للاداب . واخيرا جاءت الانباء تكذب هذا النبأ .

※ فى الشهر الماضي سافر الى الاتحاد السوفياتي ادباء كثيرون من البلدان العربية للاشتراك فى الاحتفال بمرور 400 سنة على وفاة الشاعر المسلم « فضولي » فى مدينة « باكو » باذربيجان . فهل يا ترى شارك المغرب فى هذا المؤتمر ؟

※ فى براغ اقيم معرض للفن السوري عرضت فيه نماذج من الرسوم والحرف الفنية .

※ اخترع مؤخرا احد مدرسي الثانوية فى « هامبورغ » خريطة اوتوماتيكية اطلق عليها اسم « كوميات » . وهذه الخريطة ذات نفع عظيم للسائحين لانها مزودة بثلاث لوحات اذا ما ضغط الانسان على زر معين ظهر على اللوحة الوسطى صورة عامة للمدينة مقسمة بشكل مربعات ، فاذا ما اراد الاطلاع بصورة مفصلة على قسم معين من المدينة ضغط على زر آخر ؛ وعند ذلك يظهر له القسم المطلوب مكبرا على اللوحة الثانية بحيث تبرز فيه كل الشوارع والمباني الشهيرة والميادين العامة بصورة واضحة ، واذا ما ضغط على زر ثالث ظهر على اللوحة الثالثة المعلومات المطلوبة عن ذلك الجزء من المدينة كالارشادات المتعلقة بخطوط المواصلات هناك ومواقع دور اللهو البرىء والمباني الحكومية والمؤسسات المالية وغيرها .. وهذا المخترع قد اهلك ست سنوات حتى وصل باختراعه الى درجة الكمال .

※ توفى العالم الكيماوي وولفانك بولي الاستاذ بجامعة زوريخ والحائز على جائزة نوبل للكيمياء عن سن 59 سنة .

※ اصدرت هيئة اليونسكو دليلا عن المؤلفات التي ترجمت من اللغات واليها خلال العام الماضي . وقد خرج الدليل في 695 صفحة بقلم جوردي لرمانس من منظمة اليونسكو . ويتضمن الكتاب قوائم واحصاءات واعلام وعناوين وتواريخ . وقد سمي دليل الترجمات » . وقد جاء فيه انه ترجمت مؤلفات صينية استغرقت ترجمتها عدة سنوات ويبلغ عددها 70 تتناول في معظمها ثلاثة موضوعات . مجموعات القصص الشعبية ودراسات وتأملات لين بوتانج بالانجليزية ، وخطب ماوتسن تونغ باللغات اليونانية والعبرية والروسية والبولونية والتشيكية والسلوفاكية و40 مؤلفا في الادب والفلسفة والتاريخ 23 منها بالروسية و5 بالبلغارية موزعة بين 14 لغة . اما اللغة اليابانية فقد ترجم منها 41 مؤلفا الى 13 لغة عربية بيد ان الذي ترجم راسا منها بلغ 22 مؤلفا . ومن اللغة العربية ظهرت طبعات جديدة للقرآن الكريم في بريطانيا واميركا.اما المؤلفات العربية المترجمة فلا يزيدعددهاعن 15 مؤلفا . 3 الى الفرنسية و3 الى التركية و3 الى السويدية والى جانب هذا ظهر كتاب «الف ليلة وليلة» في 13 طبعة جديدة . اما الترجمة الى العربية فقد بلغت المئات من مختلف الثقافات .

※ « حاليات 3 اخبار جزائرية » هو عنوان الكتاب الجديد الذي صدر اخيرا عن دار « قلمار » بباريس للكاتب الفرنسي المعروف البير كامو .

※ اجرى مجلس اليونسكو التنفيذي عملية انتخاب مكتبه الجديد ، على اثر انتهاء الدورة العاشرة لمؤتمر اليونسكو العام . وقد انتخب المجلس رئيسا له السير باون توماس وكيل وزارة التعليم البريطانية لمقاطعة ويلز وعضو المجلس التنفيذي منذ عام 1953 وانتخب المجلس وكيلا له الاستاذ الدكتور محمد عوض محمد المدير السابق لجامعة الاسكندرية ووزير المعارف المصري السابق، واما الوكيل الثاني الذي انتخبه مجلس اليونسكو التنفيذي هو السيد اكيرماتسوي وزير اليابان المفوض السابق في باريس ، كما انتخب المجلس رئيسا للجنة الادارية السيد رودلف كاسترو من سالفادور . هذا ويتالف مجلس اليونسكو التنفيذي من 24 عضوا يمثلون حكوماتهم . ومن هؤلاء عضو عربي جديد هو الاستاذ محمد الفاسي مدير الجامعة المغربية .

※ ستصدر قريبا في فرنسا الكتب الآتية : « عقدة تيوفل النقية » لجورج دوهاميل « على طريق نرسيس » لموريس ساليه « اختراعات البحر » لبول رومان « رسائل جان بول تولي الى اميل هنريو »

※ شرع في باريس في صنع نحت للشاعر الفرنسي فرنسوا كوبيه .

※ فاز بجائزة كونكور الادبية لهذه السنة الكاتب البلجيكي فرنتيس والدير .

※ لقد نجحت ترجمة رواية « الدكتور تشيفاكو » الى الاسبانية لبوريس باسترناك الحائز على جائزة نوبل لهذه السنة بحيث ان دار نشر ببرشلونة طبعت من هذه الترجمة 000 60 نسخة . ونفدت في الحال اي بعد يومين من صدورها . وبمناسبة اعياد راس السنة الماضية اعاد نفس الناشر طبعة جديدة اخرى .

※ توفيت مؤخرا الشاعرة متويلا بافون بوينو المعروفة في عالم الشعر الاسباني باسم اوكاكمانتشو .

※ كتب الشاعر الاسباني المعروف لويس لوبيث انكلادا دراسة مطولة في مجلة « المراسلة الادبية » عدد 256 المدريدية عن الشعر العربي المعاصر عموما وعن الشعر العربي في المملكة السعودية خصوصا . فتحدث عن شعراء مصر المجددين كأبي شادي ، وطه محمود وغيرهما ثم تطرق الى شعراء المهجر ولبنان الذين كان لهم الاثر الاكبر في تجديد الشعر العربي فتكلم عن جبران ، ونعيه ، وابي ماضي ، والياس ابى شبكة ، وبولس سلامة الذي قال فيه انه شاعر الملحمة العربية ، والالم والنخوة ، وساق ترجمة لرائعته « صلاة » ، واخيرا تفرغ للشعر العربي في المملكة العربية السعودية فتحدث عن المع شعرائها كعبد القدوس الانصاري ، وطاهر الزمخشري ، واحمد محمد جمال ، وشكيب الاموي ، والشيخ محمد سرور الصبان ، وعبد الله بلخير وسواهم .

※ احتفل في مدريد بالذكرى المائوية لتأسيس المجمع العلمي الاسباني . وقد حضر في هذه الحفلة زيادة على العلماء ورجال الثقافة والادب الاسبانيين واعضاء المجامع الاسبانية بمدريد بعض اعضاء المجمع العلمي الفرنسي . وقد القيت في هذه الذكرى عدة كلمات كلها تشيد بالاعمال المهمة التي انجزها هذا المجمع في الميدان العلمي والثقافي .

※ صدر بمدريد عن معهد الدراسات الاسلامية للجمهورية العربية المتحدة المجلد الخامس لمجلة «صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد » بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء هذه المجلة . وقد شارك

بابحاثهم القيمة فى هذا العدد الاساتذة البحاث : عبد الرحمن بدوي ، ومحمد بن تاويت التطواني ، وحسين مؤنس ، واحمد مختار العبادي ، وعبد الرحمن زكي ، وعبد العزيز سالم وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الله كنون ، كما يشتمل هذا العدد على عرض ونقد طائفة من الكتب المهمة ككتاب «مختصر تاريخ تطوان» للاستاذ محمد داود ، وكتاب « الزجل فى الاندلس » للدكتور عبد العزيز الاهواني الى جانب انباء ثقافية وملخصات للابحاث العربية مترجمة الى الاسبانية . تهنيء معهد الدراسات الاسلامية بمدريد على هـذا العدد الخاص القيم ، ونتمنى لها ولمحرريها حياة مليئة بالاعمال الثقافية والفكرية .

☼ ظهرت نتائج المسابقات الادبية فى اسبانيا التي تجري فى آخر كل سنة . وهذه هي نتيجتها :

ـ الجائزة الوطنية للآداب المسماة بجائزة فرانسيسكو فرانكو احرز عليها الكاتبان خيراردو اروكوبيتا اربييول وثيسار كرثيا سانتيس .

ـ جائزة مننديث بلايو منحت لكتاب « الحرب فى الفضاء » لمؤلفه خوسي كوما اودنيا .

ـ جائزة ميكيل دي سرفانطيس احرز عليها الكاتب خوسي لويس كسطييو بوتشي .

ـ الجائزة القومية المسماة بجائزة خوسي انطونيو فاز بها الشاعر الاشبيلي رفائيل مونيسينوس .

☼ فاز باول جائزة للصحافة الاسبانية للسنة الماضية الصحافي سانتاغو لوثانو كرثيا مدير جريدة « اديال » التي تصدر بغرناطة .

☼ احتفل بروما برفع الستارة عن تمثال شاعر ايران الفردوسي .

☼ عثر المنقبون فى ايطاليا على لوحة حجرية يرجع تاريخها الى 190 سنة قبل الميلاد وقد حفر عليها نص قانون يقضي بمعاقبة الذين يتهربون من تسديد الضرائب بالغرامة او بالاعدام او بالعقوبتين معا .

☼ عرضت فى الايام الاخيرة باحد المتاحف بانجلترا مجموعة من التحف الفضية كانت مدفونة تحت التراب ويرجع عهدها الى 1200 سنة . وقد عثر على هـذا الكنز فى شهر يوليو الماضي فى جزيرة سان تيبنيان مدفونا فى كنيسة عتيقة متهدمة ، واغلب الظن ان هذا الكنز قد خبيء اثناء الحملات التي كان يشنها «الفيكينغ» ضد « الشيتلندس » .

☼ صدرت عن دار الطباعة النيويوركية ترجمة لثلاثة اجزاء لعدة رسائل للفنان فان كوك .

☼ اثارت قصة « بيتر تاونسنو » للقصصي الانجليزي نورمان باريمين ضجة من النقد .

☼ قال الاستاذ الاديب امحمد عزيمان نائب وزارة التعليم فى الشمال لمندوبنا بتطوان بعد ما رجع من مؤتمر ادباء العرب الاخير : « عدت من هذا المؤتمر الادبي متحمسا لاستانف اعمالي فى الحقل الادبي الذي هجرته منذ اكثر من ثلاثة اعوام اضطرارا لما انيط بي من الاعمال الادارية المستنفدة للفكر ، والعائقة عن التحليق فى عالم الادب الرفيع ، الذي يشده الوظيف واعباؤه والتزاماته الى حضيض الرتابة والجمود » .

☼ كنا المعنا فى انباء العدد الثالث الى ان نيابة وزارة التعليم فى الشمال ستدمج فى مصالح وزارة التعليم . وقد علمنا اخيرا ان وزير التربية الجديد قد امر باستمرار وجود نيابة التعليم فى الشمال كما كانت من قبل تحت رئاسة الاستاذ المقتدر امحمد عزيمان .

☼ ستصدر الاذاعة التونسية مجلة خاصة بها . وستكون جامعة بين الفن والادب والفكاهة والبحوث العلمية والشعر والصور الفنية .

☼ افتتح فرع الشبيبة الاستقلالية بالبيضاء الموسم الثقافي السنوي بمحاضرة القاها الاستاذ عبد الكريم غلاب بعنوان « المغرب العربي والتاريخ المشترك »

☼ فى مساء يوم الجمعة 16 يناير الماضي نظمت جمعية الرابطة بقاعة المحاضرات بالرباط حفلا ادبيا القى فيه الدكتور محمود ابو السعود محاضرة بعنوان : « ثورة من اجل الحياة » استمع اليها كثير من المثقفين والادباء .

☼ عقد مجلس رابطة مديري معاهد التعليم الحر فى الايام الاخيرة جمعا حضره مندوبون من سائر نواحي المغرب وبعد استعراض حالة المدرس وسير التعليم والظروف التي يجتازها التعليم الحر فى الوقت الحاضر

اتخذت عدة مقررات لصالح هذا التعليم تتلخص فى عشر ملتمسات الى وزارة التربية .

※ ابرقت وفود الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب الذي انعقد بالكويت اخيرا الى صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس بتأييدهم لجلالته وللشعب المغربي فى النضال من اجل تحقيق جلاء الجيوش الاجنبية عن التراب المغربي .

※ بعد ان انهى وفد المغرب اعماله فى الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب المنعقد بالكويت ، استدعته وزارة التربية والتعليم للجمهورية العربية المتحدة لقضاء اسبوع فى القاهرة لزيارة مآثرها الثقافية والعلمية والتاريخية .

※ اسس قسم الشبيبة والرياضة التابع لوزارة التهذيب الوطني اول مدرسة للفن المسرحي بالمغرب ، وذلك لتغذية المسرح المغربي الناشيء بالكفايات الفنية فى ميادين التمثيل . ومدة الدراسة ثلاث سنوات .

※ منذ ان عين الاستاذ عبد الكريم بن جلون وزيرا للتربية الوطنية وهو يعقد اجتماعات متوالية مع المديرين رؤساء الاقسام المغاربة بوزارته للنظر فى تعريب التعليم ومغربته طبقا لرغبة الشعب المغربي .

※ اعد للطبع الاستاذ حماد العراقي كتابا بعنوان « محاضرات فى تاريخ التشريع الاسلامي » وفقا لمنهاج السنة الاولى من كلية الحقوق المغربية .

※ مثل المغرب فى مؤتمر لجنة الصحافة والانباء للجامعة العربية الاستاذ عبد الخالق الطريس سفير المغرب لدى الجمهورية العربية المتحدة .

※ فى عدد نوفمبر 1958 من مجلة « الاديب » اللبنانية كتب الاستاذ زكي المحاسني تقريظا لديوان « ملك غرناطة » يوسف الثالث الذي حققه الاستاذ الكبير عبد الله كنون ونشره معهد مولاي الحسن . واشاد الاستاذ المحاسني بالاعمال الادبية التي يضطلع بها الاستاذ كنون الذي اعتزل الوظيف وكرس حياته ــ الطويلة ان شاء الله ــ للاعمال الفكرية . وفى المغرب هل قام النقاد بواجبهم نحو هذا الديوان (؟) .

※ نشرت مجلة «الاديب» فى عددها الصادر فى نوفمبر من السنة الماضية النبا الآتي الذي ننقله عنها :

« قال الدكتور صلاح الدين المنجد رئيس دائرة المخطوطات فى الجامعة العربية : فى قرية من جبال الاطلس الوسطى التي تبعد اكثر من 400 كلم عن الرباط عثرت على مؤلف للجاحظ اسمه كتاب « العرجان والبرصان والعميان » وقد ذكره الجاحظ نفسه بين كتبه التي سرد اسماءها فى مقدمة كتاب الحيوان . وعمر هذا المخطوط الف سنة . وقد كتب بخط كوفي جميل وتملكه ثلاثة من الخلفاء الفاطميين وابنائهم وكتبوا اسماءهم بخطوطهم على الورقة الاولى منه . وسننشر هذا المخطوط قريبا . وفى مكتبة القرويين بفاس ارانا العالم المغربي العابد الفاسي نسخة قديمة جدا من سيرة ابن اسحاق ، ووجود هذه النسخة من سيرة الرسول محمد عليه السلام ينقض ما يزعمه المستشرقون ان سيرة ابن اسحاق لا وجود لها . والمعروف ان ابن هشام اختصر سيرة ابن اسحاق وتداول الناس المختصر اما الاصل فضاع . وقال الدكتور المنجد : كان العلماء يعتقدون ان اقدم مخطوط كتب على الورق هو كتاب مسائل احمد بن حنبل الموجود فى دار الكتب الظاهرية بدمشق والمكتوب سنة 247 للهجرة . ولكن فى زاوية تامكروت على بعد 800 كلم من الرباط عثر على مخطوط فى الانساب كتب سنة 230 هجرية اي قبل 17 سنة من مخطوط الظاهرية .

※ فى الوقت الذي قدم فيه الاستاذ ابراهيم الابياري اقتراحا الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة يتضمن تيسير الكتابة العربية ليدرسه المجمع اللغوي فى درته المنعقدة اخيرا فى القاهرة ، يطلع علينا الاستاذ يحيى بن العباس من المغرب بابتكار جديد لتيسير الكتابة العربية . ومن اراد من القراء ان يطلع على خلاصة الرايين فى تيسير الكتابة العربية فليقرا الاول وهو للاستاذ الابياري فى عدد نوفمبر من مجلة « المجلة » القاهرية ، وعلى خلاصة الراي الثاني وهو للاستاذ يحيى بن العباس فى عدد يناير الماضي من مجلة « الاذاعة الوطنية » الرباطية .

※ وشح عاهل مملكة ليبيا ادريس السنوسي صدر الاديب الاستاذ محمد فريد ابو حديد بوسام الاستقلال اعترافا بخدماته الفعالة فى حقل التعليم الليبي .

※ قررت جامعة الازهر انشاء معهد مهمته اخراج رجال للتبشير بالدين الاسلامي فى بقاع العالم بعدما رصدت لهذا المعهد ميزانية كبيرة .

* اشتد الاقبال على شراء كتاب « حمار الحكيم » بعد المعركة التي اثارها النقاد حول الاقتباس الشديد الذي اتهم توفيق الحكيم بارتكابه من كتاب « بلاتيرو وانا » للشاعر الاسباني خوان رامون خيمينث . ولما عرف توفيق الحكيم ان جميع نسخ كتاب « حمار الحكيم » قد نفدت من السوق عقب هذا النقد ، واقبل الناشرون يتسابقون الى التعاقد على طبعه ، واوعز الى بعض النقاد ان يهاجموا كتبه الاخرى ويتهموه باقتباسها حتى تنفد ويعاد طبعها !

* وقع في بغداد في مطلع شهر يناير على اتفاق علمي بين العراق وبولونيا .

* من اهم المقررات التي اتخذها مؤتمر ادباء العرب في دورته الرابعة : انشاء مصرف ثقافي لتمويل المشاريع الثقافية في الاقطار العربية ، وتاسيس شركة لتوزيع الكتاب ومطالبة الحكومات العربية باتخاذ التدابير الضرورية لتحرير تجارة الكتب من الاجراءات الادارية والمالية التي تعرقل سيرها مثل رخص الاستيراد والتصدير وقيود تبادل العملات المختلفة ، واصدار مجلة عربية تعنى بانتاج الادباء العرب جميعا ، ومطالبة الجامعة العربية بوضع نشيد قومي عام ، كما اتخذ قرارات سياسية تتعلق بالجزائر ، وعيد النصر المصري .

* احتفلت منظمة الطلبة العرب الموجودة بنيويورك بالذكرى الاولى لوفاة الشاعر اللبناني الخالد ايليا ابي ماضي وذلك في قاعة كنيسة مارنقولا الارثوذكسية ببروكلن .



« اكادير » ليلا

فهرس العدد الخامس - السنة الثانية

دعوة الحق

مجلة الانتاج الرفيع ، والمستوى العالي . مجلة العالم والاديب والفنان والشاعـر .

*

((**دعـوة الحـق**)) تقرا فيها الابواب الثابتة التالية :

1) العدد الماضي في الميزان
2) في النقد الادبي
3) مطالعات وآراء
4) من تراثنا الفكري
5) من تراثنا الادبي
6) انباء ثقافية
7) بريد دعوة الحق
8) القراء يسألـون

الى جانب كثير من البحوث والدراسات والمقالات والقصائد والقصص الرائعة

*

لخدمة الثقافة والفكر والادب ، ابعثوا بانتاجكم الى مجلة ((**دعـوة الحـق**))

*

لاتشترط مجلة ((**دعـوة الحـق**)) فيما تنشره الا شيئا واحدا فقط ، هو ان يكون من مستوى فكري معين ، لاينبغـي لمجلة تحترم نفسهـا واهدافها ان تنزل عنه او تتسامـح فيـه .

*

للمساهمة في النهوض بالمستوى الفكري في وطنك ، ابعث باشتراكك الـى مجلة ((**دعـوة الحـق**)) .

بحيرة ايسلي

مطبعـة فضالـة ـ فضالـة